

محمد بن دريد وكتابه الجوهرة

تأليف
د. شرف الدين علي الراحي
مدير العلوم اللغوية
لمسة الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم
الأستاذ الدكتور عبد الرأحيم
أستاذ العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية
في شارع مونسية - الإسكندرية
اسكندرية

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين ، وبعد

فقد عرف علماء العربية العمل . المعجمي « منذ فترة باكرة جداً من تاريخ
الدرس اللغوي لدى الأمم ، وقد تتابعت جهودهم من كتابة « الرسائل اللغوية »
التي تعد مهاجم متخصصة في « موضوع » واحد ، إلى المرسعات المعجمية
الكبيرة ، كما تتابعت هذه الجهود على امتداد القرون الماضية في الشرق العربي وفي
الغرب الإسلامي على السواء .

وإذا كان العصر الحاضر قد شهد تطوراً هائلاً في فن صناعة « المعجم » ، بأن
الوضع قد « إلتكس » عندنا حتى أصبح فيه القول بأننا غير جديرين بنرائتنا
التي قدمه إلينا أسلافنا الكبار .

على أنه ما من شك في أن الخطوة الأولى نحو التقدم هي أن نفهم قديمنا فهما
أصيلاً ثم نسمى بعد ذلك إلى الجديد لنتمثله تمثلاً يوائم خصائصنا الذاتية .

والدراسة التي يتقدم بها الدكتور شرف الدين الراجحي هي إسهام في
هذا السبيل ؛ فإن دريد واحد من كبار المجددين العرب ، وكتابه الجهرة له
مكانته في تقديم اللهجات التي لاتزال في حاجة إلى جمع مادتها من كل المصادر المتاحة
الأدبية واللغوية ، ولعلمها مع ما ينتظره من نتائج الحفريات الأثرية التي تجري الآن
في شبه الجزيرة وما قد نتوصل إليه من نفوس قديمة ، أن تعيننا على فهم التطور
اللغوي العربية .

إن الدراسات التي يتقدم بها الباحثون للحصول على درجات عليية جامعية وفيها هذه الدراسة — لا ينبغي أن تظل حبيسة المكتبات الجامعية ، بل ينبغي تخرج إلى الناس ، وبخاصة أن هذه الدراسات تحظى بشيء من العناية نتيجة عرضها على لجنة من المختصين من أصحاب التجربة الطويلة ، فيضيف تصويهم لها أهمية خاصة . إننا نرجب بنشر هذه الأعمال بهذا الفهم ، ومن ثم نرحب بهذه الدراسة عن محمد بن دريد وكتابه الجمهرة .

دكتور

وبالله وحده التوفيق

عبد الرأجي

مقدمة

لم تهتم أمة بلسانها اهتمام العرب بلغتهم - وكانوا يفاخرون بفصاحتهم حتى أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه بالعربية - اعجازا وتحديا لفصاحة العرب - وانتشر الإسلام وأصبح القرآن الكريم الدستور الأول للمسلمين ودخل في الإسلام عدد كبير من غير العرب واختلطوا بالعرب الخاص فتسرب المحن إلى الألسنة العربية ، وكان هذا خطراً يهدد حياة العربية - لغة القرآن الكريم - فهب علماء اللغة يجمعونها ويحافظون عليها وكانت جهودهم المبكرة تنحصر في رسائل صغيرة تتعلق بما يهتم به العربي ويفخر بها مثل الفرس والوحش والشاة وجاء الخليل بن أحمد فقدم لنا أول معجم حقيقي في اللغة العربية ورتبه على الترتيب الصوتي وكان باكورة طيبة ومدخلا يسر السبل لغيره من الخلف ، وجاء محمد بن دريد ، وقدم لنا معجمه « جمهرة اللغة » ورتبه على الترتيب الهجائي وسار على طريقة الخليل في نظام التقليبات ، لكنه خالفه في كثير من الأمور واستطاع ابن دريد أن يقدم لنا بحق منهجا جديدا للنظام المعجمي إذ هو أول عالم لغوي اتبع النظام الأبجدي الذي سار عليه كثير من أصحاب المعاجم وإن كانوا قد خالفوه في الترتيب والمنهج والمواد ، وإذا كان معجمه لم ينل الشهرة في عصره فإنه جمع في كتابه مواداً لغوية تبين فصاحة العرب وحرصهم على لغتهم والإبداع فيها ، ثم إنه مثلاً كتابه بثرات شعري لفظاحل الشعراء الجاهليين وبمجموعة من النوادر بلغة من اللغويين الأوائل ضاعت كتبهم أو كادت تضيع ، واقد شارك ابن دريد بجهوده في المراحل الأولى التي مهدت لظهور فن المعاجم العربية فقد كتب في السحاب والمطر وغريب الحديث وغريب القرآن ، ونعتبره لذلك من الرواد الأوائل الذين شاركوا في تأسيس فن المعجم العربي ، ومهد الطريق أمام غيره :

فهاجم بعضهم وأنقضى عليه كثيرون واتبعه بعضهم واعتبروه حجة في اللغة ، ونقل كثير من علماء اللغة في معاجمهم وأمالهم أغواله التي ذكرها في الجهرة .

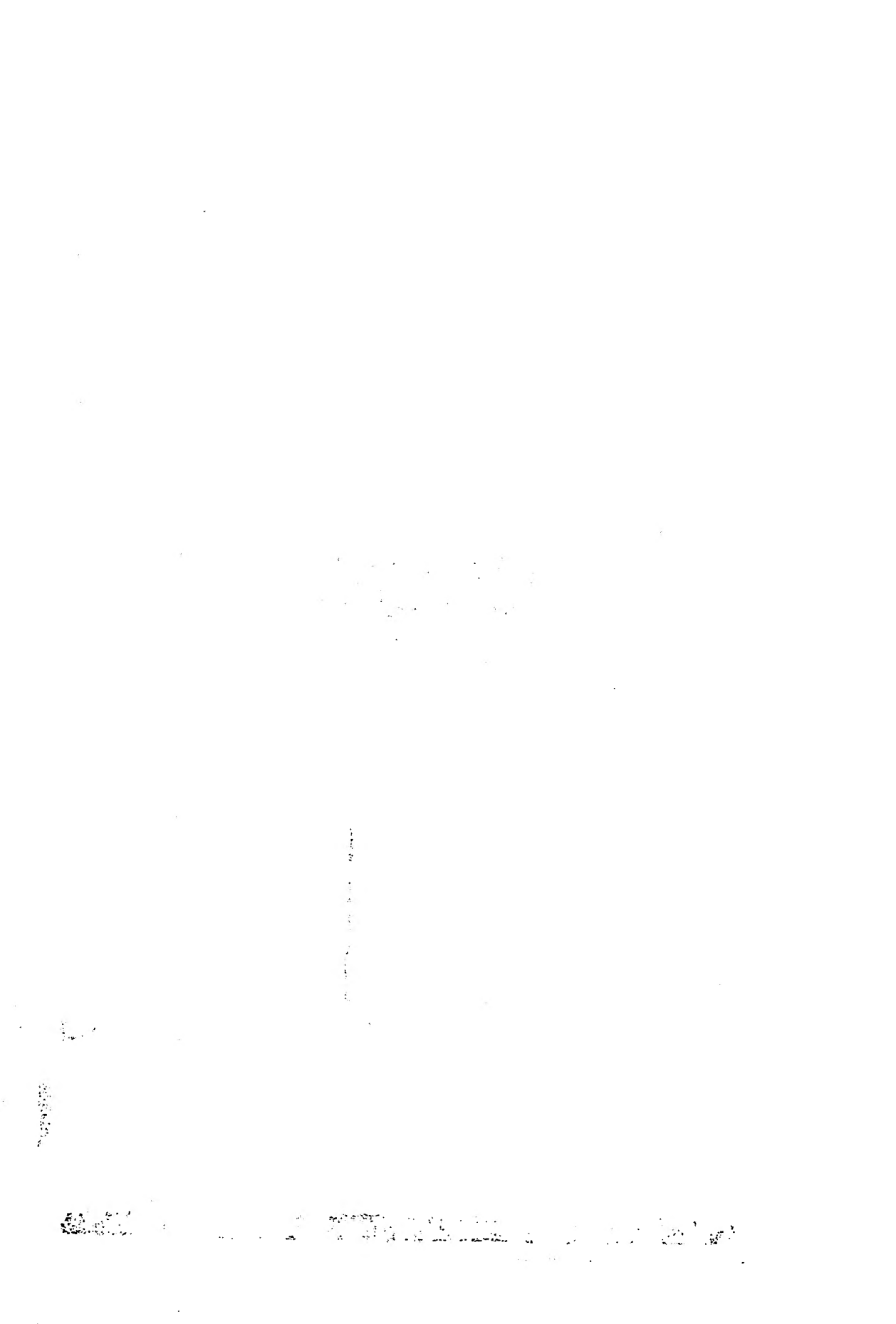
هذا هو ابن دريد الذي اخترت أن يكون بحثي هذا مهدى إليه ، وقد قسمت هذا البحث إلى بابين ، ينقسم كل باب إلى فصلين ، تحدثت في الفصل الأول من الباب الأول عن الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في عصره وألمحت إلى ظروف الحياة السياسية في ذلك العصر وما كان يتمتع به الترك من غلبة على الخليفة ، وعلى نظام الحكم وما تبع ذلك من اضطراب وضعف للخلفاء والخلافة وذكرت أثر تلك الحياة على شخصية ابن دريد العلمية ، وتحدثت عن الحياة الثقافية في ذلك العصر فأشرت إلى علوم النفس والحديث وأشهر شعراء ذلك العصر وأشهر ناقديه ، وألمحت إلى جهود ابن دريد النثرية التي كانت قد مهدت الطريق إلى ظهور فن (المقامات) ، وجعلت الفصل الثاني من الباب الأول لحياة ابن دريد فذكرت شيوخه وطلبه للعلم وشخصيته العلمية وشخصيته المعادية وذكرت تحميلا لتهمة شرب الخمر التي اتهمه بها كثير من العلماء وأنزلوه منزلة دانية بسبب تلك التهمة ثم تحدثت عن ابن دريد شاعراً وناثراً فذكرت جهوده الشعرية وبخاصة المقصورة التي كان ابن دريد أول من نظمها ، أما الباب الثاني فقد قسمته إلى فصلين تحدثت في الفصل الأول عن آثاره العامة وما تركه لنفسه من ثراث يفيد الباحث اللغوي فذكرت أهم مؤلفاته مثل الاشتقاق ، ومررث مسرعا على مؤلفاته مثل في المحتفى ، وكتابه الملاحن ، الذي حاول فيه أن يظهر براعته اللغوية في قلب معاني الكلمات وتغيير ألفاظها ، وكان اهتمامي بمقتضوره الرائعة التي مدح بها ابنى ميكال والذي كان قد اخترعها ولم يسبقه أحد من القدماء واتبعه أو عارضه فيها كثيرون ، ثم ذكرت طرفا من شعره الذي أظهر براعته اللغوية وروحه اللطيفة المداعبة ، وفي

الفصل الثاني الذي خصصته بكتاب جمهرة اللغة ، فقد قدمت له بمقدمة عن تطور
فن المعاجم العربية وتأسيسها فذكرت جهود الأوائل في التأليف اللغوي وأيقنت
أن أول التأليف في جمع اللغة كان مهتما بالقرآن الكريم والحديث الشريف وهما
أساسا الدين ، وذكرت جهود الخليل بن أحمد ، في كتابه العين الذي كان سابقا
لابن دريد وبينت الآراء التي تبين فضل الخليل والآراء التي تنكر نسبة العين إلى
الخليل وذكرت بعد ذلك تأليف ابن دريد للجمهرة وسبب اختياره لهذا الاسم ،
ومنهجه في المعجم ، وحاولت تحايل بعض المواد والنظام الذي اتبعه في معجمه ،
وذكرت آراء اللغويين الذين هاجموا ابن دريد والذين دافعوا عنه ، وحاولت
أن أقف محايذا بين الرأيين ، ثم ذكرت عيوب الجمهرة ومزاياها ، وختمت البحث
بتطور التأليف في المعاجم حتى عصرنا الحديث وأشرت إلى جهود المستشرقين
مثل لين وفيشر ، في الكتابة عن المعاجم العربية ، ثم ذكرت النتائج التي
حاولت أن استخلصها من خلال دراستي لحياة الرجل ومؤلفاته ، وأخيرا فما
زلت أخطو على أول الطريق درسا للعربية - لغة القرآن الكريم - وندعو الله تعالى
أن يأخذ بيدنا على طريقه حتى ندفع عن عربيتنا كل هجوم ، ويدين منهج هذا
البحث إلى استاذي واستاذ أساتذتي الدكتور السيد أحمد خليل الذي كان يشير إلى
بليحات تفيض علما ،

والله أسأل أن يهدينا إلى سواء السراط وأن يأخذ بيدنا حتى نحقق للغة
القرآن الكريم ما يصبو إليه كل محب للعربية والقرآن الكريم .

1. The first part of the document is a list of names and titles, including "The Hon. Mr. Justice" and "The Hon. Mr. Justice".

البَابُ الْأَوَّلُ



الفصل الأول

الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية

في عصر ابن دريد

أولاً: الحياة السياسية

يتميز العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة وكان العباسيون قد أسندوا إلى الفرس، أولئك الذين ساعدوهم على قيام دولتهم، معظم المناصب السياسية في الدولة، مما مكنهم من التغلغل في جميع شئونها، وصبغ ذلك بالصبغة الفارسية. ويتميز العصر العباسي الثاني (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) بضعف الخلافة، وكان الخلفاء لعبة بين يدي الأتراك الذين لعبوا دوراً خطيراً في هذا العصر ويعتبر الخليفة أبو جعفر المنصور المتوفى عام ١٨٠ هـ أول من استخدم الأتراك، ولكنهم كانوا قلة قليلة لا سطوة لها ولا سيطرة وكان العرب والفرس يسيطرون على أغلب شئون الدولة، ولقد ألف الخليفة المأمون فرقة صغيرة منهم ولكنهم بعيدين عن شئون الدولة وسياساتها لميل المأمون إلى الفرس وهم أخواله.

وجاء المعتصم - وهو الخليفة الذي ولد في عهد ابن دريد - وكانت أم المعتصم ماردة سغدية وكان أبوما قد نشأ بالسواد أو بالبدينجين ويقال أنها كانت من دولات الكوفة (١)، واستقدم المعتصم عام ٢٢٠ هـ عدداً كبيراً من الأتراك استراهم وبذل فيهم أموالاً طائلة وراجمع له منهم أربعة آلاف فأبجسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة، وأبانتهم بالزى عن سائر جنوده (٢).

(١) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل ج ٩ ص ١٢٣

(٢) مروج الذهب وبعادن الجوهر، تصنيف علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ٤ ص ٥٣

وقد بلغ اهتمام المعتصم بالأتراك أنه كتب إلى عماله بأسقاط من في دواوينهم من العرب وقطع العطاء عنهم ومنعوا الولايات وانتقلت سياسة الدولة من أيدي الفرس إلى أيدي الأتراك الذين أخذوا يشكلون بالفرس والعرب جميعا .

ورغم ذلك فإن المعتصم حافظ على النزعة العربية المتعصبة ودليل ذلك ما يروى عن تجهيزه جيشا لمحاربة الروم لأن رجلا روميا صنع امرأة عربية كانت تساومه ثمن سلعة ونادت المرأة « وامتصمها » فكان أن أمر المعتصم بتجهيز جيش لحرب الروم وتنتهى الحرب بفتح عمورية ، وقد أشاد بهذه الحرب الشاعر أبو تمام في شعره .

وكان أهم عمل قام به المعتصم بعد توليه الخلافة أن طلب الإمام أحمد بن حنبل وكان في سجن المأمون وامتحنه بخلق القرآن مدة خلافته وكانت محنة خلق القرآن فتنة تعرض لها المسلمون بنير حق ، سالت فيها دماء طاهرة ، ونادى المعتزلة بخلق القرآن ، وكانوا بذلك يدافعون عن عقيدة التوحيد — فوحدانية الله — يتنافى معها وجود شيء له صفة القدم والأزلية كالقرآن مثلا — هذا هو رأيهم — ويذهب أحمد أمين إلى أن القرل بخلق القرآن « ظهر في أواخر الدولة الأموية على لسان الجعد بن درهم ، الذي كان معلما لمروان بن محمد ، وقيل إن الجعد أخذ ذلك عن أبان بن سميعان ، وأخذه أبان عن طالوت بن أعصم اليمهردى ، (١) ، ويرى بعض الباحثين أن مصدر هذه الفتنة كان يهوديا مستنداً إلى رواية ابن قتيبة الذي ذهب إلى أن « المخير بن سعيد العجلي ، كان يقول بخلق القرآن ، وقد أخذ ذلك عن بيان بن سميعان ، اليهودي الأصل ، (٢) ، ويذكر الخطيب البغدادي أن بشراً

(١) ضحى الإسلام ، الجزء الثالث ص ١٦١ ، أحمد أمين

(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٨

المريسي المتوفى عام ٢١٨ هـ اليهودي الأصل، كان يقرّل بخلق القرآن في أيام الرشيد، وظل يدعّر لذلك نحواً من أربعين سنة، (١).

وتسلط جماعة من المعتزلة وفي مقدمتهم القاضي أحمد بن أبي دؤاد على المأمون وأدخلوا في روعه مسألة لاغنيدي في شيء، بل إنها تسيء إلى جمهرة علماء المسلمين ونزرع الفرقة بينهم، وبعث المأمون كتاباً إلى اسحق بن إبراهيم عامله على بغداد يأمره أن يستحضر علماء بغداد وقضاة في موضوع (خلق القرآن) ونشر الكتاب في الامصار الإسلامية وجرى امتحان القضاة فيها أما في بغداد عاصمة المقاومة فقد صمد الإمام أحمد بن حنبل، وقد اضطر المأمون وهو في طرطوس أن يبعث في طلبه هو «ومحمد بن نوح» فحملوا إليه حملاً غير كريم ولكن المأمون يموت والإمام أحمد ورفيقه في الطريق إليه ويعاد الإمام أحمد مقيداً إلى بغداد ويموت ابن نوح في الرحلة ويودع الإمام أحمد السجن حتى يتم تعيين الخليفة الجديد، وكان المأمون قد أوصى أخاه المعتصم بأن يحمل الناس على القول بخلق القرآن ويقدّم مجلساً للمناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق، والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيرهما فناظروا أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ولم يزل معهم في مناقشة إلى اليوم الرابع فأمر بنجر به بالسياط ونخس بالسيف ويعذب ويودع السجن ثمانية وعشرين شهراً ثم حمل وصار إلى منزله وظل هكذا في أيام الواثق حتى رفع المتوكل عنه المحنة ومات.

وبنى المعتصم في عمره سائراً «فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل إليها أنواع الخروس والأشجار» (٢)،

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٧ ص ٦٠

(٢) مروج الذهب ومجادن الجواهر، لعلي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد

محي الدين عبد الحميد، ج ٤ ص ٥٥

وارتفع البناء وشيدت القصور وكثرت العماره واتسع رزق الناس وأصبحت مدينة عظيمة وكان وزراء المعتصم محمد بن عبد الملك إلى آخر أيامه وغلب عليه أحمد بن أبي دؤاد .

أما أهم الحروب التي دارت في عصر المعتصم — فهذه الحرب التي وقعت بينه وبين بابك الخرمي وكان بابك ، مذا قد ظهر عام أربع ومائتين ولكنه لم يلبث أن اشتد أمره وفرق الجيوش وهزم الجند المجندة وقامت معارك صغيرة بين بابك وبعض قواد المعتصم انتصر فيها المعتصم وهزم أحيانا ولكن الفضل الكبير يرجع إلى الأفشين في حرب بابك والقضاء عليه ، وأهم الحروب التي دارت بين الأفشين وبابك كانت «أرشق» وفيها خدع الأفشين بابك بانصرافه عن «أرشق» وقامت معركة وقتل عدد كبير من أصحاب بابك لكنه استطاع الهروب إلى قريته «البند» وفي عام ٥٢١ هـ حدثت موقعة أخرى بين بابك والأفشين ، وكان قد أرسل «بغا الكبير» أحد قواد الأتراك لحرب بابك ولكنه هزم فاستعد الأفشين لحرب جديدة وألتقى ببابك عام ٥٢٢ هـ ، وفيها هزم بابك وفتح الله تعالى على المسلمين في ذلك العام قرية «البند» وأسر جميع حاشيته وأولاده ، وأرسل المعتصم لبابك فقابل الأمان بغير مسعرة ومزقه وشتم المعتصم وحاول الهروب إلى جبال أرمينية لكن بطريقة أغلق الطريق وأرسل إلى المعتصم ، وكان المعتصم قد جعل لمن أسره حيا مائة ألف دينار ودخل بابك بغداد على جمل وفي عام ٥٢٣ هـ أمر المعتصم بقطع يديه ورجليه وتوج الأفشين بتاج من الذهب ولكن لم يلبث أن يبغض المعتصم بالأفشين ، وهكذا كان جزاؤه جزاء سنمار .

كان بابك يريد أن يقيم المجوسية بين المسلمين وكانت عبادته تنحصر في التماسخ والحلول والقول بالرجعة والثنوية والإباحة .

أما الحرب الأخرى فكانت بين المعتصم والروم ، وكان توفيل ملك الروم قد أوقع بأهل زبطرة عام ٢٢٣ هـ ، ومضى من فوره إلى ملطية فأغار على أهلها وعلى أهل حصن من حصون المسلمين ، إلى غير ذلك ، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة ، ومثل بن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم وقطع آذانهم وآنافهم ، (١) . وخرج المعتصم لحرب الروم وكان من قواده ، أشناس التركي ومحمد بن إبراهيم وكانا في المقدمة وفي اليمين أيتاخ التركي وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط وعلى إلقته بنو الكبير وكان جيش المعتصم كما تقول الروايات بين خمسمائة ألف واستطاع الأفشين أن يهزم ملك الروم - وتحصن الروم بحصن عمورية وكان جوطها خندقا وسورا طريقا لفر بها المعتصم بالمجانيق ويقال أنه كان بالحصن ثغرة كانت مبنية بناء واهيا استطاع المعتصم أن يضرها ضربا شديدا فتحت على أثره عمورية وأسر المسلمون عددا كبيرا من الروم وكانوا قد حاصروا عمورية مدة خمسة وخمسين يوما .

ثم هناك ثورة المازيار وكان صاحب جبال طبرستان وكان قد دعى المعتصم فأرسل المعتصم عبد الله بن طاهر لحربه واستطاع المعتصم أن يقبض عليه ويصلب بجانب بابك ، وقد عدت بعض الروايات المازيارية شعبة من شعب البابكية وقد غضب المعتصم على الأفشين وكان الوشاة قد أوقعوا به وقالوا أنه كان يأخذ الهدايا والأموال ولا يعطى للمعتصم منها شيئا ، أما الوشاة التي تقول أنه كان يدين بدين مازيار وأدعوا أن مازيار كان يدعى الألوهية فهي أقرب إلى الصحة

(١) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري،

ولذلك حبس الأفشين ومات في الحبس ، وتقول بعض الروايات بأن المعتصم قد صلبه (١) .

ومات المعتصم عام سبع وعشرين ومائتين وخلفه الواثق وسار على نهج أبيه ولم تحدث في عهده أحداث تستحق الذكر فقد كان صورة من أبيه واستمر يدعو إلى فتنة خلق القرآن ، وقتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي في المحنة على القرآن في سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، (٢) .

أما المتوكل فقد تولى الخلافة بعد الواثق عام ٢٣٢ هـ ويضيف المسعودي أيام المتوكل بأنها كانت « أحسن أيام وأنضرها ، من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل » (٣) ؛ وأحدث المتوكل تغييراً حقيقياً على غير ما كان يسير عليه المعتصم والواثق ، وكان يميل إلى أهل السنة ويعمل على نصرتهم وضرب بالسياط رجلا سب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويرى بروكلمان أنه « كان يرجو أن يتخذ من الشاميين وهم من أهل السنة عضداً يجابه العلويين » (٤) .

وأمر المتوكل لرفع محنة خلق القرآن وعدم التحدث فيها وأمر المتحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة فأحترمه المسلمون حتى قال قائلهم « الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق في يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز في رده المظالم والمتوكل

(١) دول الإسلام للذهبي ج١

(٢) مروح الذهب ومعادن الجوهر تصنيف على بن الحسين المسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج٤ ص ٧٦

(٣) نفس المصدر السابق ج٤ ص ٨٦

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي الجزء الثاني ص ٥٢

في إحياء السنة ، ولكنه أساء إلى نفسه لأنه أمر عام ٢٣١ هـ بهدم قبر الحسين رضى الله عنه وما حوله من الدور وأن يحترق ويزرع ويسقى موضع قبره ، وألا يقربه أحد من الناس وأثار بذلك المتوكل حفيظة المسلمين وخاصة أهل بغداد الذين ردوا على الأمانات التي ألحقها بالعلويين بسببه في المساجد والطرق وحدث في عهده من الحوادث الطبيعية هبوب عاصفة شديدة على بغداد ن البصرة والكوفة وغيرهما من مدن العراق فاحترق الزرع والماشية وانقطعت المواد الغذائية عن الأمصار في بغداد وانتشرت المجاعة وذلك كثير من الناس ، ثم إن الروم كانوا قد استأنفوا غاراتهم على الدولة العباسية فأغاروا على دمياط وأحرقوا ديارها ، ثم غزوا قاليقلا في جنوب آسيا الصغرى وهزموا أهلها .

وظهر في عهد المتوكل رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابورى ، فزعم أنه ذو القرنين ومعه سبعة وعشرون رجلا عند خشبة بابك ، وخرج من أصحابه بباب العامة رجلا ن ، وببغداد في مسجد مدينتها آخرا ن ، وزعم أن ن نبي ، وأنه ذو القرنين فأتى به وأصحابه المتوكل ، فأمر بضربه بالسياط فمضرب ضربا شديدا فمات من بعد ضربه ذلك وحبس أصحابه ، (١)

وغضب المتوكل على وزيرين مشهورين هما محمد بن عبد الملك الزيات فحبسه المتوكل ، والثاني ابن أبي دلاؤد وحبسه أيضا وحبس أخوته ، وقد دبر الأتراك مؤامرة لقتل المتوكل وكان بغا الصغير قد دعا باغرا التركي وأغواه بقتل المتوكل خوفا من بطشه بهم وضربه باغرا التركي بالسيف واستقرت الخلافة لابنه المنتصر بالله الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام ٢٤٧ للهجرة .

(١) تاريخ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى تحقيق

وكان المنتصر بخلاف أبيه يحسن إلى العلويين فأزال عنهم ما كانوا فيه من الخوف وسمح لهم بزيارة قبر الحسين وكان أبوه قد منعهم من ذلك وعلى الرغم من أن المنتصر كان يعطف على الأتراك قبل قتل أبيه لكنه لم يلبث أن غضب عليهم وصار يسبهم ويقول: «هؤلاء قتلة الخلفاء» ففكروا في قتله وأغروا ابن طيفور بذلك وكان طيبيه وأعطوه ثلاثين ألف دينار ففصده بريشة مسمومة فمات عام ٢٤٨ هـ ولم يمكث في الحكم سوى فترة قصيرة .

وفي عهد المستعين بالله الذي تولى الحكم من عام ٢٤٨ هـ إلى عام ٢٥٢ هـ نجد الأتراك يصبحون ذا سطوة ونفوذ وأصبح المستعين بالله لعبة في أيديهم — وذكر ابن الأثير — « أن الأتراك انقسموا على أنفسهم فريق منهم على رأسه وصيف بغا صاحب الخليفة إلى بغداد وفريق آخر طالب إليه العودة إلى سامرا ، واعتذروا عما بدر منهم ، فامتنع عن تأدية طلبهم » (١)

ولما رأى الأتراك تنكر المستعين لهم وامتناعه عن العودة إلى سامرا خلعوه وبايعوا ابن عمه المعتز بن المتوكل ومن ثم قامت الحرب بينهما ودامت أشهراً وكان أثر ذلك واضحاً في الناحية الاقتصادية للبلاد فأشتد غلاء الأسعار وانهمزم المستعين ولكنه حاول أن يستنجد بمحمد بن عبد الله بن طاهر فتحذله ومال إلى المعتز وبلغ من سطوة الأتراك أنهم استطاعوا أن يوقعوا بين المستعين والمعتز حتى أنهم أوعزوا إلى المعتز بقتل المستعين فقتل .

ويصور أحد الشعراء موقف المستعين من الأتراك بقوله :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قال له كما تقول البغيا

وكان المعتز أيضا مثل المستمين - ضعيف الرأي والسيرة والعقل « وكان
الأتراك قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء ، فكان
الخليفة في يدهم كالأسير ، إن شاءوا أبقوه ، وإن شاءوا خلعوه ، وإن شاءوا
قتلوه » (١) ، ولم يمض المعتز في الخلافة سوى فترة قصيرة استطاع الأتراك أن
يخلعوه وأن يشهد على نفسه مكرها « ثم بعد خمسة أيام أدخلوه الحمام ومنعوه من
الماء حتى عاين التلف ثم أدركوه بماء ثلج فشربه وسقط ميتا » (٢)

وجاء بعد المعتز المهتدي بن الواثق فتولى الخلافة عام ٢٥٥ هـ وفي عهده نجد
ثورات وحركات ضده - أولها أن العامة في مستهل خلافته قاموا بثورة في
بغداد وأبوا مبايعته ولكنه أنفق أموالا في إخماد هذه الثورة وبايعوه ، ثم إن
الجنيد ثاروا عليه بسبب استيلاء سليمان بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد على
رواتبهم ، كما أشعل العلويون نار الثورة في كثير من البلاد الإسلامية فقد
ثار الحسن بن زيد العلوي بطبرستان وثار أحمد بن عيسى الشيخ وكان أبوه واليا
على فلسطين والأردن ولما مات أبوه ضم الابن دمشق إليه واهتنع عن حمل المال
إلى دار الخلافة ، وانتهر فرصة اضطراب أحوال الدولة فصور لنفسه العصيان
والاستيلاء على بلاد الشام كلها وطمع في مصر ولكن المهتدي عمده إلى التخلص
منه بالمكر والخديعة فولاه أرمينية على أن يستخلف من ينوب عنه في ولاية
الشام ليقصده عنها ، وندب ابن طولون لقتاله على أن يحكم الشام لكنه استعفى عنها ،
وقدم ماجور التركي من العراق وهزم قوة ابن الشيخ واستولى على دمشق ولحق
ابن الشيخ بنواحي أرمينية فتولى ماجور أعمال الشام كلها .

(١) الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن طباطبا

(٢) دول الإسلام للذهبي ج ١

وكان المهتدى العوبة في أيدي الأتراك - وكانت قيادة الجند تحت إمرة موسى بن بغا التركي ولكن المهتدى اتخذ من هذا الضعف قوة لأخذ الثأر فحاول أن يستميل إليه «باكباك» أحد قواد الجيش ولكنه لم يثق بالخليفة وعوده وتعاون مع موسى بن بغا على قتل المهتدى واجتمعت كلفة الأتراك على قتل الخليفة المهتدى على أثر قتله بعض المراتلى فثاروا عليه ثم أسروه وخلعوه ولم يكتفوا بذلك حتى عذبه حتى مات في رجب سنة ٢٥٦ هـ (١)

أما الحركات الاجتماعية الدينية الكبرى التي حدثت في ذلك العصر فكانت ثورة الزنج أو فتنة الزنج ، وقد ظهرت هذه الحركة عام ٢٤٥ هـ في آخر عهد المهتدى وتولى المعتمد الخلافة عام ٢٥٦ هـ وقامت حروب بين الدولة والزنج مدة طويلة وقد ساعد على قيام هذه الحركة ضعف الحكومة المركزية في ذلك العصر بسبب استبداد أمراء الجيش وتبدل الحكومة المتواصل (٢) ، وكان مسرح هذه الثورة التي دامت أكثر من أربع عشرة سنة هذه المستنقعات الممتدة بين البصرة وواسط ، وانضمت إليهم جماعات من العبيد الهاربين من الفرس والمدن المجاورة تخلصا من حالتهم ، وكانوا لا يتقاضون من الأجر شيئا ، بل كانوا يقتاتون من الدقيق والتمر والسويق مما جعلهم إزاء هذه الحالة الاقتصادية والاجتماعية السيئة على أتم الاستعداد للخروج على ولاية الأمر منهم وكان هؤلاء العبيد يعملون لمصلحة بعض المتعبددين البصريين في كسح السباخ القائمة قرب البصرة وسمرعان مظهر رجل يدعى على بن محمد وكان يزعم أنه ينتسب إلى على وفاطمة رضي الله عنهما عن طريق زيد بن علي ويذهب بعض المستشرقين إلى

(١) تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ٢٤٢

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ج ٢ ص ٥٢

أنه ربما كان ذلك صحيحا لكثرة عدد بيت زيد بن علي ، (١)

ولكن هذا الرأي لا يرقى إلى الصواب فإن الروايات تطعن في نسب ذلك الرجل فبعضها يشير إلى أن هذا الرجل « كان يعتقد نظرية الخوارج في الخلافة » (٢) التي تنادى بأن الخلافة حق لكل مسلم ولو كان عبدا حبشيا وهذه الرواية تناقض رأى بروكلمان الذي ذهب إلى أنه يجوز أن يكون من بيت زيد بن علي ذلك لأن الشيعة تؤمن على العكس من الخوارج بمبدأ التوريث في الخلافة وتقتصر ذلك على أهل البيت وتذهب بعض الروايات إلى أنه كان رافضيا وتذهب أخرى إلى أنه مظهر في نسبه ، (٣)

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين « إلى أنه لم يكن يهدف إلا إلى السلطة وكان يتوسل إليها بكل وسيلة ممكنة ، فهو يدعى النسب العلوي حينما ليجتذب عطف المسلمين ، ويعتق آراء الرافضة إذا وجد في تأويلاتهم ما يخدم أغراضه ، وينتحل مذهب الخوارج حينما آخر ليجمع حوله الزنج ، (٤)

واقدم دعا على هذا الزنج إلى الخروج على الدولة ، ولقد وعدهم بتحسين حالهم وضمان الحرية والثروة لهم وادعى أيضا أن العناية الإلهية قد أرسلته لانقاذهم بما كانوا يعانونه من بؤس كما ادعى أيضا العلم بالغيب وادعى النبوة وقدم صاحب الزنج العراق عام ٢٤٧ / ٢٤٨ هـ ثم سار عام ٢٤٩ هـ إلى البحرين ودعا إلى تحرير

(١) المرجع السابق ص ٥٣

(٢) مروج الذهب ومهاذن الجواهر للمسعودي ج ٤ ص ١٤٥

(٣) دول الإسلام للذهبي ج ١

(٤) الثيارات الاجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن

الثالث الهجري ، عثمان موانى ص ١٩٢

العبيد في البصرة وضواحيها ، واستمال قلوبهم — حتى إنهم تركوا مواليتهم وانضموا إليه ثم سار إلى بغداد عام ٢٥٤ هـ وأقام هناك سنة ، ونقش على لواء صاحب الزنج أن ساعة القضاء على الرق والعبودية قد حانت وأول هذه الآيات الكريمة تأويلا سياسيا قصد به تضليل أنصاره :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (١)

وقد أول صاحب الزنج هذه الآية الكريمة بأن المؤمنين وقد اشترى أنفسهم لم يعودوا بعد عرضة للرق والعبودية .

وقدم صاحب الزنج البصرة ، وتبعه بعض علمائها رغبة في التخلص من الرق وفي يوم الفطر ، خطبهم وصلى بهم وذكرهم ما كانوا يلقونه من ظلم واضطهاد ومنهم بالآمانى الطيبة من إطلاق حرياتهم وتمتعهم بالأموال التي يفتنمونها في حروبهم واتخذ مدينة له سماها « المختارة » وبنها أولا بالبن ثم جهزها بالغنائم التي استولى عليها وانتشرت جيوش صاحب الزنج في العراق وخوزستان والبحرين ونهبوا القادسية وهزموا أهالي البصرة واستولوا على سفن كثيرة كانت تحمل الحجاج إلى مكة وسار إليهم المهدي لكن أحد قواده هزم وقتل واستولى صاحب الزنج على الأبله والأهواز وغربها واضطر أهل البصرة إلى مغادرة البلاد .

وقد استولى صاحب الزنج على البصرة عام ٢٥٧ هـ وذبح كثيرا من أهلها

ويقال أن عدد القتلى بلغ عشرة آلاف (١) ، ويهمننا هنا أن نذكر أن من بين الذين ذبحوا الرياشي أستاذ ابن دريد ، وقد غادر ابن دريد البصرة آنذاك إلى عمان حتى تهدأ الأمور وعاد بعد ذلك ، واقتحمت جيوش الزنج واسط ورامهرمز وأرسل إليهم المعتمد «موسى بن بغاء» فقتل عدداً كبيراً منهم ولكن هذه الهزيمة لم تقض عليهم فأرسل المعتمد إلى أخيه الذي كان قد نفاه إلى الحجاز وهو الموفق وعهد إليه بقتال الزنج فقاتلهم وأسر بعضهم وأجلاهم عن الأمواز وحاصر المختارة وبنى مدينة إزاءها سماها المرفقية نسبة إليه (٢) وقطع الموفق الإمداد عن «المختارة» واضطر بعض قواد الزنج إلى طاب الأمان ونضم بقية الثائرين إلى الموفق فأمنهم وعفا عنهم وأخيراً سقطت المختارة وقتل (يهودا) وكان من قواد الزنج وحمل رأسه إلى الموفق ، غير أن أحد أنصار صاحب الزنج رمى الموفق بسهم في صدره لكنه لم يلبث أن يقبض عليه ويقتله ابنه العباس الذي ولى الخلافة بعد المعتمد وقتل صاحب الزنج عام ٢٧٠ هـ ، وعلق رأسه على مع وزينت بغداد بأبهى معالم الزينة وطيف برأسه بين مظاهر الزينة وعاد الناس إلى بلادهم .

كانت حركة الزنج دعوة اجتماعية ذات صبغة دينية سياسية ذلك لأن مدعيها حاول أن يستغل بعض المظلومين من رعايا الدولة من الطبقة الكادحة لكن الدولة استطاعت أن تتمصر عليه ، وبتولى الخلفاء المعتضد بالله والمكتفي بالله والمقتدر والقاهر وكانوا جميعاً قد وصلوا إلى غاية من الضعف وانتشرت الفتن في عهد المقتدر وضاعت ممتلكات الدولة في الخارج وخلع المقتدر مرتين وذبح في النهاية ،

(١) دول الإسلام للذهبي ج ١

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٧ ص ١١١

وفي عهد القامر مات ابن دريد عام ٣٢١ هـ ومن عام ٣٢٤ هـ ابتداء عصر أمرة
الأمراء، وضمف شأن الخلافة العباسية فتقلد ابن رائق منصب أمير الأمراء
وبنو بويه في العراق وقامت دول مستقلة مثل الدولة الطائرية (٢٠٥ - ٥٩ هـ)
في خراسان ثم انتقلت السلطة إلى الدولة الصفارية (٢٥٤ - ٣٩٠ هـ) ثم الدولة
السامانية (٣٦٦ - ٣٨٩ هـ).

ثانياً: الحياة الدينية في عصر ابن دريد

١ - علوم القرآن الكريم والحديث الشريف :

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسي للشرعية الإسلامية ومنبعها للعلوم الإسلامية المختلفة وكان المسلمون الأول يتخرجون من تفسير القرآن الكريم ، عرف هذا في عصر عمر رضي الله عنه ويحكى لنا الطبري أن الشعبي مر على السدي وهو يفسر القرآن الكريم فقال « لان يضرب على أمتك بالطبل خير لك من مجلسك هذا (١) » ، على أن الطبري نفسه ذكر أمثلة تدل على أن الصحابة وخصوصاً ابن عباس كان يفسر القرآن تفسير محموداً .

وأخذ تفسير القرآن طريقة منتظمة في العصر العباسي الثاني وانجبه المفسرون في تفسير القرآن اتجاهين - الاتجاه الأول يعرف باسم التفسير المأثور وهو ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة ، وأشهر مفسري هذا النوع بن جرير الطبري وابن عطية الأندلسي والقرطبي . أما الاتجاه الثاني فيعرف باسم التفسير بالرأى وهو يعتمد على العقل أكثر من إيماده على النقل وأشهر مفسري هذا النوع المعتزلة والباطنية .

وكان لابن مجاهد المنبغدي عام ٣٢٤ هـ دور كبير في علم القراءات ، وضرب أبو علي ابن مقلة « ابن شنبوذ » بالسوط - ويزعم آدم منز أن الدولة كانت تحارب علم القراءات ولذلك ضرب أبو علي بن مقلة بن شنبوذ بالسيف (٢) وهذا رأى

(١) تفسير ابن جرير الطبري - ١ ص ٢٦

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لأدم منز ترجمة محمد

عبد الهادي أبو ريده - ٢ ص ١١ .

ضعيف ذلك أن ابن شنبوذ كان يرمى باللحن والحق هذا وابن النديم يقول فيه :

« كان دينافيه ملامة قال في الشيخ أبو محمد يوسف بن الحسن الراقي أيده الله عن أبيه أنه كان كثير اللحن قليل العلم وقد روى قراءات كثيرة وله كتب مصنفة في ذلك وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلثمائة في محبسه بدار السلطان وكان الوزير أبو علي بن مقله ضربه أسواطاً فدعا عليه بقطع اليد فأنتفق أن قطع يده ، (١)

فليس ابن شنبوذ حجة في علم القراءات وقد ذكر ابن النديم أيضاً نصوصاً تبين أنيانته بقراءة تخالف النص والمعنى ولم يذكر ابن النديم سبب ضربه ابن مقله إياه بالسوط وإن كان يفهم أنه ضربه لأجل تلك القراءات .

وقد اشتهر في ذلك العصر علماء كتبوا في القراءات ذكر منهم ابن النديم عبد الواحد البزار وله كتاب شراذم السبعة وكتاب قراءة حمزة الكبير وابن مقسم وكان أحد القراء بمدينة السلام وله من الكتب كتاب الأنوار في علم القرآن ، وكتاب اجتماع القراءات (٢) ، أما أشهر مفسري هذا العهد فهو ابن جرير الطبري وله مذهب في الفقه أيضاً ، وكتب في التاريخ وأشهر كتبه فيه تاريخ الرسل والملوك وتفسيره الذي يقع في ثلاثين مجلداً يسير على طريقة التفسير بالمأثور وهو يترخى الدقة في النقل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتابعين ، وفسر الآيات الكريمة بالروايات المروية عن العلماء وأيد ذلك بالأسانيد المختلفة بالرجال - واهتم ابن جرير في تفسير القرآن الكريم بالرجوع إلى الشعر القديم . لكن الطبري أشار

(١) الفهرست لابن النديم ص ٥٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٥٣

عليه كراهية الحنابلة وبعض السننيين الذين اتهموه بأن آراءه تنفق ببعض الشيء مع المعتزلة ، مع أنه كان يرد على القدرية آراءهم في القدر كما جادل علماء الكلام في كثير من المسائل وتمسك بروايات المحدثين العظام مثل البخاري والفسيري وأبي داود السجستاني ولكن الحنابلة وبعض الحنابلة حنقوا على بن جرير ورموه بالرفض والإلحاد وحالوا دون دفنه نهائياً فدفن ليلاً في داره .

ويذكر ابن الأثير أن سبب ذلك ، أن الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله ، ولم يذكر فيه أحد بن حنبل فقبل له ذلك فقال لم يكن فقيهاً وإنما كان محدثاً ، فاشتد ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد ، فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا (١)

وألف الرمانى النحوى المتوفى عام ٣٨٥ للهجرة — وهو عالم بالكلام والفقهاء والنحو والمغة تفسيرا للقرآن الكريم .

أما النوع الثانى من التفسير — وهو التفسير بالرأى — فقد اهتم به المعتزليون والباطنية ولجأت المعتزلة إلى التأويل إذا عترضتهم من الآيات القرآنية ما يخاف مبدأ نبي الصفات عندهم ومن أشهر مفسرى المعتزلة أبو بكر الأصم المتوفى عام ٢٤٠ هـ وأبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المتوفى عام ٣٢٢ هـ وابن جرير الأسدي .

وصنفت كتب أخرى في معانى القرآن الكريم والقراءات وأشهرها كتاب «إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ، وكتاب القراءات لابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ ، وكتاب القراءات الكبير والصغير لابن مجاهد وكتاب

القراءات لعلي بن بجر الدار قطنى المتوفى عام ٣٨٥ هـ وكتاب نظم القرآن
والمسائل فى القرآن للجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ وكتاب المخلوق لابن على
الجبائى . (١)

ونجد من قرأ بالبعرة لقراءة أبي عمرو بن العلام يحيى بن المبارك اليزيدى
وروى عنه أبو عمر حفص بن عمر الدورى المتوفى عام ٢٤٦ هـ ، وأبو شعيب
صالح بن زياد السوسى المتوفى عام ٢٦١ هـ .

٢ - علوم الحديث الشريف

وإذا انتقلنا إلى علوم الحديث الشريف وكان قد دون فى العصر العباسى
الاول وقبله بقليل ، فقد اختلفت الآراء حينما بين الصحابة فى تدوين الحديث
واستقر الرأى على تدوينه ولعل أول من خطا فى ذلك خطوة فعلية عمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه ، وفى القرن الثانى بدأ التأليف فى الحديث فنجد فى مكة
ابن جريح المتوفى عام ١٥٠ هـ بجمع الحديث ، وفى المدينة محمد بن اسحق
المتوفى عام ١٥١ هـ ومالك بن أنس المتوفى عام ١٧٩ هـ وهو صاحب الموطأ
وبالبصرة الربيع بن صبيح المتوفى عام ١٦٠ هـ وحامد بن سلمة المتوفى عام ١٧١ هـ
وبالكوفة سميان الثورى المتوفى عام ١٦١ هـ وبالشام الأوزاعى عام ١٥٦ هـ وبمصر
الليث ابن سعد المتوفى عام ١٧٥ هـ .

وحدثت خطوة أخرى فى تدوين الحديث على رأس المائتين وهى مراعاة
الابواب وخرج حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأقوال الصحابة

(١) الفهرست لابن النديم ص ٥٤

(٢) ضحى الاسلام ، لاحمد أمين الجزء الثانى ص ١٠٦

وفتأوى التابعين، وجاء القرن الثالث ونشطت حركة الجمع والنقد وتميز الصحيح من الضعيف وتشريح الرجال والحكم لهم أو عليهم وفيه ألف البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ الجامع الصحيح وألف مسلم المتوفى عام ٢٦١ هـ صحيحه وفيه ألف سنن ابن ماجه المتوفى عام ٢٧٣ هـ وسنن أبى داود المتوفى عام ٢٧٥ هـ وجامع الترمذى المتوفى عام ٢٧٩ هـ وسنن النسائى ٣٠٣ هـ .

أما البخارى وهو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه وكان أجداده من الفرس على دين المجوس ولد ببخارى عام ٢٩٤ هـ وكان أبوه محدثا ولما بلغ عشر سنين بدأ فى حفظ الحديث ولما بلغ ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وخطا خطوة جديدة فى جمع الحديث فلم يقصر جمع الحديث على ناحيته فقط كما كان متبعاً من قبل فارتحل يطلب الحديث وكانت رحلاته إلى بلخ وسرو ونيسابور والرى وبغداد والبصرة والكوفة وغيرها من المدن وقضى فى هذه الرحلات ستة عشر عاماً كما أن البخارى فرق فى جامعه بين الحديث الصحيح وغيره ولم تكن الكتب السابقة تعنى بذلك ، وكان يحتاج فى ذلك إلى معرفة تاريخية رجال الحديث وتاريخ حياتهم ووفاتهم كما أنه يحتاج إلى مقارنة الأحاديث التى تروىها الامصار المختلفة ويحتاج أيضا إلى معرفة مذاهب الرجال من معزلى وخارجى وشيعى وغير ذلك وكان البخارى حافظا له ذاكرة قوية .

يقول السبكي « أنه كان يحفظ فى صباه سبعين ألف حديث وأكثر ولا يجهل بحديث عن الصحابة والتابعين إلا ويعرف مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم » (١)

وكان البخارى ما رآ فى تعريف الرجال ونقدمه واقدم كتابه التاريخ
لتميز الرجال أما كتابه الجامع الصحيح فإن البخارى يقتصر فيه على الحديث
الصحيح وهو فى اصطلاح المحدثين الحديث المسند الذى يتصل اسناده عن الرارى
إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وجمع فيه حوالى ٧٣٩٧ حديثا ، ويدخل فى هذا
العدد الأحاديث المكررة ، وقد اشترط البخارى فى جماعة شروطا سماها شروط
البخارى فاشترط فى الحديث أن يكون اسناده متصلا وأن يكون كل راو من
رواته مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة ، ضابطا متحفظا ،
سلم الزمان قليل الوهم ، سليم الاعتقاد ، (١)

ونرى عند البخارى أنه لم يقتصر على الأحاديث الصحيحة بهذا المعنى بل
ذكر أحاديث موقوفة ومقطوعة ، وقالوا إنه إنما ذكرها للاستثناس ، ولكن
البخارى نفىها أيضا وبغده السبكي شافعيًا - ولقد رتب كتابه الجامع ترتيبا فقهيا
كما فعل مالك فى الموطأ فبعد أن بدأ بباب بدء الوحي أتبعه بالآيمان والعلوم ثم
أتبعه بكتاب الطهارة وقسم كل كتاب من هذه الكتب إلى أبواب ، وجملة الكتب
سبعة وتسعون كتابا فيها ٣٤٥٠ بابا ولقد نقد البخارى بقطع الحديث فيذكر
بعض الحديث فى باب وبعضه الآخر فى باب آخر ونقد فى بعض أحاديث
بلغت مائة وعشر حديثا ونقد فى أن بعض الرجال الذين روى لهم غير ثقات
وقد ضعف الحفاظ من رجال البخارى نحو ثمانين رجلا .

أما صحيح مسلم فصاحبه مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابورى
وعده ابن النديم « من المحدثين العلماء بالحديث والفقه » (٢)

(١) ضحى الاسلام لاحمد أمين الجزء الثانى ص ١١٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٣٦

كان مسلم نليذا للببخارى بل انها يقترنان دائماً للثرىق بهما ويختلف الناس فى تقديم الببخارى على مسلم والجهور يقدمون الببخارى ، وادعاز مسلم مثل الببخارى برحلته الكبيرة فرحل إلى العراق والشام ومصر والحجاز وأفاد من الببخارى أثناء اقامته فى نيسابور . ويوازن على حسن عبد القادر بين صحيحى الببخارى ومسلم بقوله . « وإذا ما قارناه (يعنى صحيح مسلم) بالببخارى (أى بصحيح الببخارى) بالنسبة لحتوياتها فى مجموعها ، فإننا نرى بينهما اختلافاً شكلياً فهو مصنف كالبخارى وقد نظمته حسب الابواب مثله ، ولكن الابواب عند مسلم لم يعنون لها ، وقد كان غرضه كزميله أن يستخدم كتابه فى الفقه ، ولكنه ترك للقارىء أن يستنتج وحده ما يراه حقاً فيما يظهر له ، وأمر آخر شكلى جاء عند العلماء المتأخرين فكلاهما كان يوى الحديث بطرق مختلفة زيادة فى الاثبات ولكن الببخارى كان يروىها فى أبواب مختلفة لسبب استعمال الحديث لهذه الابواب ، أما مسلم فكان يروى ذلك كرها ، (١)

أما مسند أحمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ وهو الامام الصادق الذى صعد أمام فتنة خلق القرآن وجلد وسجن حتى رفع الخليفة المتوكل المحنة عنه . وقد ترك الإمام أحمد مسنده ويحتوى على نيف وأربعين ألف حديث منها عشرة آلاف مكررة وقد لاحظ بعض المستشرقين أنه جمع « فى مسنده أحاديث تمدح العلويين والامويين ولم يخش بذلك بطش العباسيين » ، (٢)

وصنفت كتب أخرى وأطلق عليها اسم الصحاح مثل منن أبى داود والسجستانى

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى ، دكتور على عيد القادر

(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ، آدم متز ترجمة محمد أبوريدة ص ٢

المتوفى عام ٢٧٥ هـ وابن ماجه المتوفى عام ٢٧٣ هـ والترمذى المتوفى عام ٣٠٣ هـ ،
والنسائى المتوفى عام ٣٠٣ هـ

وأكبر محدثى القرن الرابع أبو الحسن على الدار قطنى المتوفى عام ٢٨٥ هـ
والعالم النيسابورى المتوفى عام ٤٠٥ هـ ، ولقد ألف الكرابيصى المتوفى عام ٢٧٨ هـ
كتبا فى أسماء الرواة وألقابهم ولقد وضعت الاصول التى يبنى عليها فقه الحديث
وتكامل بناؤه فى القرن الرابع وقد رتب ابن أبى حاتم المتوفى عام ٣٢٧ هـ ألفاظ
الجرح والتعديل .

الفقه

كان العصر العباسى الاول عصر أئمة مذاهب السنة الأربعة ونستطيع
أن نعد الإمام ابن حنبل فى عداد العصر العباسى الثانى فقد توفى عام ٢٤٢ هـ
وظهرت مذاهب فى الفقه — فى العصر العباسى الثانى — غير المذاهب الأربعة
لكنها لم تنتشر انتشارها ، وأولها مذهب أبى سليمان داود بن على بن داود
وقد أخذ فقه الشافعى عن بعض تلاميذه ويقال أنه « أول من استعمل قول الظاهر
وأخذ بالكتاب والسنة ، وألغى ماسوى ذلك من الرأى والقياس » (١) ، عرف
مذهبه بالظاهرى ، وقد خرج على الاصول والقواعد الفقهية عند الشافعية أنفسهم
وكان أساس مذهبه العمل بظاهر الكتاب والسنة ما لم يكن هناك دليل منها أو من
الاجماع على أنه يراد به غير الظاهر فانه لم يرجد نص عمل بالاجماع ورفض
القياس رفضا باتا وقال أن فى عمومات النصوص من الكتاب والسنة ما يعطى كل
جواب وقد سار ابنه محمد بن داود على شاكلته ومن متبعى داود ابن المغلس

المتوفى عام ٢٢٤ هـ والمنصري والرقى وابن الحلال ، واستمر نذب داود
الظاهرى إلى منتصف القرن الخامس وأشهر اتباعه ابن حزم الذى عرف بإبن
حزم الظاهرى ثم اضمحل مذهبه .

ومن أصحاب المذاهب الفقهية ابن جرير الطبرى صاحب كتاب الرسل
والملوك وصاحب التفسير المشهور ، وكان مفسراً ومؤرخاً وفقيهاً وكان شافعيًا
أول الامر ومذهبه لا يختلف عن مذهب الشافعى وكان قد تلقى مذهب الشافعية
على الربيع بن سليمان بمصر ، ولقد أداه اجتهاده إلى ما اختاره من كتبه الفقهية
ألزمها لطيف القول وهو بما اختاره وجوده ، وكتاب الخفيف ألفه بناء على
طلب وزير المكتفى ، (١)

ومن أصحاب ابن جرير الطبرى الدولابى ومنهم أبو الحسن أحمد بن يحيى
المتكلم وله كتاب المدخل إلى مذهب الطبرى .

وقد ظهر مذهب اسحاق بن راهويه المتوفى عام ٢٤٠ هـ لكنه لم يستمر
واستمرت المذاهب الأربعة فى انتشارها وحمل لواء علماء فقه الحنفية الكرخى
المتوفى عام ٣٤٠ هـ وأبو بكر أحمد بن على الرازى الجصاص وله كتاب فى أصول
الفقه والمتوفى عام ٣٧٠ هـ وأبو الليث السمرقندى المتوفى عام ٣٧٣ هـ وابن سماعه
المتوفى عام ٢٢٣ هـ .

ومن المالكية محمد بن يحيى بن إجابة الاندلسى المتوفى عام ٣٢٦ هـ
والمعيطى الاندلسى المتوفى عام ٣٦٧ هـ

ومن الشافعية المروزى المتوفى عام ٣٤٠ هـ وهناك مرورى آخر من فقهاء

الشافعية والقاضى أبو حامد بن بشر المروزي وله كتاب الجامع فى الأصول والفروع وتوفى عام ٣٦٢ هـ وابن أبى هريرة المتوفى عام ٣٤٥ هـ .

الحركات والذاهب الاسلامى الاخرى ويتصل أغلبها بالسياسة الداخلية والخارجية للدولة

ظهرت فى هذا العصر مذاهب أو فرق كان لها علاقة بسياسة الدولة إما مناوئة لها أو مساندة لحركتها وأغلبها كانت معارضة لها منها :

١ - المعتزلة :

وقد نشأت المعتزلة أول أمرها بعيداً عن السياسة لكنها لم تلبث أن دخلت ميدان السياسة، لقد كانوا يدعون أول الأمر إلى الدفاع عن الإسلام ومهاجمة من يخالفهم، لكنهم عندما استولوا على مناصب عليا وصاروا وزراء، وأطلق المأمون والمعتصم والواثق أيديهم فى السياسة أذاقوا الناصر العذاب فى محنة خلق القرآن التى أطفأها المتوكل ولذا نجد شأنهم يضعف فى عهد المتوكل .

ويسمى هذه الحركة أحد المستشرقين حركة المفكرين الاحرار فى الإسلام ويرجع ظهورها إلى أنها كانت تدل على نزعة التحرر من القيود الثقيلة المتبعة، وعلى القضاء على الفهم السنى الصارم للحياة وأنهم رفعوا العقل فوق كل شىء ، (١)

وتقوم عقيدة المعتزلة على التوحيد ونفوا أن يكون لله صفات أزلية من

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام للمستشرق اجناس جولد تسيهر ، ترجمة محمد يوسف موسى وعلى عبد القادر وآخر ص ١٠١

علم وقدرة وحياه وسمع وبصر ، غير ذاته بل هو عالم قدير حى سميع بصير بذاته واعتبروا مسألة نفى الصفات أساسا من أسس التوحيد وأصولهم الخمس « التوحيد والعدل ، الوعد والوعيد ، القرل بالمنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » (١)

ويرى كثير من الباحثين إلى أن مذهب المعتزلة انتشر تحت تأثير أرسطو وأنهم أكثر الفرق الإسلامية أخذوا بلباب الفلسفة اليونانية والانتفاع بها (٢) . وذكر تأثير الفلسفة اليونانية في آراء المعتزلة من المستشرقين جولد تسيهر (٣) ومن المحدثين « عثمان دواني » في كتابه التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجرى (٤) .

ومن أعلام المعتزلة في ذلك العصر أبو الهذيل العلاف المتوفى عام ٢٣٥ هـ وكان مشهورا بالجدل وعرف أتباعه بالهذلية ومنهم أيضا النظام المتوفى عام ٢٢١ هـ وفرقة تسمى النظامية وكان النظام عميقا في تعبيره وله اتجاه شيعى . ثم جاء الجاحظ « وكان لسان المعتزلة في عصره ورد على المشبهه وتكلم في اعجاز القرآن وألف في الاحتجاج للنبوّة ونصرة الرسالة » (٥) .

وفي القرن الرابع نرى من المعتزلة أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائي

(١) ضحى الإسلام لاحمد أمين ٣ ص ٢١

(٢) اسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص ٤٢٩

(٣) العقيدة والشرعية في الإسلام لجولد تسيهر ص ١٠٣

(٤) التيارات الأجنبية في الشعر العربي دكتور عثمان دواني ص ٩٨

(٥) ظهر الاسلام لاحمد أمين ٣ ص ٤

المتوفى عام ٥٣٠٢ هـ وأبو القاسم عبد الله البلخي المتوفى عام ٥٣١٩ هـ وأبو هاشم الجبائي المعتزلي المتوفى عام ٥٣٢١ هـ .

ولقد جا أبو الحسن الأشعري وكان ربيب المعتزلة ولكنه تحول عن مذهب المعتزلة وناظرهم وكان تلميذاً لأبي هاشم الجبائي وقد ولد أوالحسن عام ٥٢٦٠ هـ ومات عام ٥٣٢٤ هـ واستطاع أن يصدر أحكاماً في قضايا العقائد في جو من الاعتدال بعيداً عن تهور وبالرغم من أن بعض الفقهاء ارتابوا في عقيدته ورموه الخنابلة بالكفر لكن لم يقدّم دليل على زيغ بل نصره كبار العلماء مثل أبي بكر الباقلاني والاسفرائيني واستطاع الأشعري أن يتحدث في قضية القرآن تحدثاً معقولاً وتحدث في رؤية الله في الآخرة ، ثم اتسعت دائرة السعة فأطلق على المدايب والنفهاء من أمثال الشافعي ومالك وأبي حنيفة وابن حنبل والاوزاعي مذاهب رسمية للدولة الإسلامية .

ب - الإسماعيلية

وهي إحدى فرق الشيعة الغالية ، وتنسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق وقد لعبت دوراً سياسياً خطيراً في العالم الإسلامي آنذاك ولكنها لم تظهر كفرقة لمعب دوراً سياسياً إلا بعد موت اسماعيل زعيمها بمائة عام وكان لها دوران ، دور السر ودور الظهور ولم تعرف كفرقة دينية أو سياسية إلا في أواخر القرن الثالث الهجري إذا لم تظهر إلا بظهور القرامطة في البحرين والشام وكان معنى ذلك ظهور الإسماعيلية على مسرح السياسة بصورة سافرة بعد أن ظلت مخفية قرناً من الزمان .

أما القرامطة وهي إحدى الفرق الفرعية الإسماعيلية وتنسب إلى رجل يدعى حمدان قرمط وكان أكاراً بسيطاً وكان يريد لعبد الله بن ميمون القداح

وكان أبوه ميمون القداح من أشهر نواب الأئمة الإسماعيلية وقد وضع دعاة المذهب الإسماعيلي حتى اعتقد بعضهم أنه هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق نفسه ولقد هدد الطريق لابنه عبد الله الذي أقام في سلمية واختار دعوة قسمها إلى سبع مراتب ، ودعا حردان القرمطى إلى طريقته هذه واتباعها كثيرون وفرض الضرائب على أتباعه ليوزعها على الفقراء حتى لم يبق فيهم فقير ويقال إنه صك نقوداً باسم الإسماعيلية وهو يظن نفسه زعيماً لجمهورية وربما كان ذلك مسبباً قوياً لما رآه بعض الباحثين المحدثين « أن القرامطة من أول الجمعيات الاشتراكية وكان دعائهم يدعون إلى «وإخاء الناس على اختلاف دياناتهم وطبقاتهم وأجناسهم» (١)، وذكر مصطفى الشكعة أن القرامطة مالبثوا أن شقوا عصا الطاعة على الإمام الإسماعيلي نفسه وكان مقره سلمية في سرورية ونهبوا أمواله ومتاعه فاضطر إلى الفرار خوفاً من بطشهم » (٢)

وكان للقرامطة مذهب متطرف فقد زعموا أن محمد بن اسماعيل رسول وأن الرسالة انقطعت عن النبي — صلى الله عليه وسلم — وآلت النبوة والرسالة إلى علي بن أبي طالب وأصبح النبي مأموراً له لي وقالوا أن الله جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم (٣) ، وهم بذلك يديحون له المحارم وتمادى القرامطة في الغلو والفواحش وسفك الدماء ولذلك فإن بعض الشيوعيين المحدثين يشتتونها ويعتبرون حركته من حركات الباطنية .

(١) ظهر الاسلام ، أحمد أمين - ج ٤ ص ٢٠

(٢) اسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعة ص ٢٢٨

(٣) فرق الشيعة ، التريخى ، طبعة استانبول ص ٦١

بدأ حمدان بن الأشعث القرمطي يدعـر وينجح في دعوته وكان له دعاة أيضا مثل صهره عبدان الذي نجح نجاحا كبيرا في دعوته وانتشرت الدعوة في البحرين على يد رجل يسمى أبو سعيد الجنابي واتبع الدعوة قوم سراً ووصل إلى بلاط الخليفة في بغداد وأرسل المعتضد بالله جيشا لمحاربة القرامطة دفن في عام ٢٨٧ هـ خرج العباس بن عمرو من البصرة في جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجره ، فالتقى هو وأبو سعيد الجنابي فكانت بينهم وقائع انهم فيها أصحاب العباس ، (١) ، وعندما أرسل المعتضد جيشا لمحاربة القرامطة في البحرين هزم الجيش واستولى القرامطة على هجر عاصمة البحرين واستولوا على اليمامة وعمان .

واستطاع ذكرويه أحد دعاة القرامطة في الشام أن ينشر دعوته فيها بمساعدة أبنائه وحاصر ابنه يحيى دمشق عام ٢٨٩ هـ لكنه قتل وانتقلت رئاسة الدعوة إلى أخيه الحسين لكن محمد بن سليمان الكاتب قائد المكلفى قضى عليه عام ٢٩٠ هـ وخرج ذكرويه من مخبئه ليشارك لولديه لكنه يقتل عام ٢٥٤ هـ . وقاد القرامطة أبو طاهر سلمان ووسع نفوذه وزحف على البصرة وبغداد مرة أخرى والحجاز أيضا وكان يتمسك في أغلب غزواته ودخل أبو طاهر هدا مكة وسلب الكعبة وقتل الحجاج ويقال أن عدد القتلى من الحجاج بلغ ثلاثة آلاف غير الذين ماتوا جوعا ومن أسر وكان من بين الأسرى الأزهرى صاحب معجم التهذيب وزحف القرامطة على البصرة ونهبوها عام ٣١٥ هـ وهاجوا مكة مرة أخرى وقتلوا أهلها ومن كان من الحجاج فيها حتى من تعلق فيها بأستار الكعبة وهدم زمزم وفرش القتلى بالمسجد وأفاوا أياما في مكة يقتلون ونهبوا من مكة الحجر الأسود

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، على بن الحسين المسعودى ج٤ ص ٢٦٧ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

المقدس وبقي هذا الحجر في الاحساء مهجورا حتى عام ٥٣٣٩ هـ حيث رده القرامطة بأمر من المنصور الناطمي .

ولم تستطع الخلافة أن تعمل أن تفعل شيئا أمام انتصار القرامطة وبعد زحفهم على الكوفة واحتلالها ، وعمدت معهم الخلافة هدنة ويؤدي لزعيم القرامطة ١٢٠ ألف دينار كل سنة وتوفي أبو طاهر زعيمهم عام ٣٨٢ هـ فاكتمل خفاؤه بما فتحوه من البلاد .

أما الاسماعيلية الاصلية إذ اعتبرنا القرامطة إسماعيلية منحرفة فقد ظهرت في اليمن على يد ابن حوشب وابن فضل الجونى وقد أقام الحصون والقلاع في اليمن وانتصر على عمال العباسيين هناك وبمثالدعاة إلى كل بلاد اليمن والبحرين واليمنامة ومصر والمغرب وقد سار ابن حوشب إلى مكة وعهد بالدعوة إلى أبي عبد الله الشيعي فنشر الدعوة في بلاد المغرب وفي عام ٥٢٩١ هـ وقع في يد داعي الشيعة كثير من مدن المغرب وقد استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يجهر بالدعوة لعلی وفاطمة ، فأمر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الحسين وفاطمة ونجحت جهود الاسماعيلية في السمر وقامت الدولة الناطمية .

ج - الخوارج :

ظهر الخوارج مرة أخرى في العصر العباسي الثاني ونرى ثورتهم تظهر عام ٢٥٢ هـ وكان زعيمهم مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي الخارجي وحارب والى الموصل وهزم الجيوش العباسية لكر ما يثبت أن تتفرق كلمة الخوارج إذ خرج على مساور رجل يدعى عبيده وقامت بين الرجلين حرب قرب الموصل عام ٢٥٧ هـ وتبين المعتمد هذه الفرصة وأرسل إليه جيشا فانتصر

عليه وأخرجه من الموصل لكنه لم يلبث أن قوى أمره وعاد مرة أخرى إلى الموصل والمدينة وعندما مات مساور الشاري خافه أيوب بن صالح الوراق لكن لم يلبث أن دب النزاع بينه وبين رجل يدعى محمد خرذار وقل أيوب في المحامك بينه وبين ابن خرذار وآلت الزعامة إلى رجل يدعى محمد بن عبد الله الوراق لكنه قتل أيضا وبويع هارون بن عبد الله البجلي الذي انتصر على ابن خرذار واستولى على الموصل واستقر بها . وضعف الخوارج اذن كان سببه الخلافات بينهم على الزعامة وقامت خلافات بين هارون ورجل آخر من الخوارج واستطاع المعتضد أن يقبض على هارون وأن يسوقه إلى العاصمة واصلب ، وبموت هارون بن عبد الله البجلي الشاري ضعف أمر الخوارج في الموصل لكنهم ظلوا يلقون العباسيين في اليمن وعمان بخاصة .

د - المتصوفة

شغلت الصوفية المسلمين فترة طويلة ويختلف كثير من الباحثين حول اعتبار الصوفية ، فرقة من الفرق ، ولم يذكرها بعضهم مع الفرق مثل الرازي ومع ذلك فقد نشأ التصوف اسلاميا وعاش مسلما رغم معارضة بعض الفقهاء له وبخاصة المغالين من المتصوفة الذين أشكل على الفقهاء تفسير كلامهم وبخاصة الحسين بن منصور الحلاج المصلوب على يد خليفة عباسي

ظهر التصوف عندما تقدم الزمن بالمسلمين وصار الترف واللهو والبذخ وحافظ بعض المسلمين على سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء في الملبس واحتجوا احتجاجا صاخبا على البذخ واللهو فأطلق عليهم المتصوفة - هذا هو أصح الآراء التي قيلت في نشأته غير أن نسبة الله وفي ترجع في اختلاف الآراء إلى :

تنسب الصوفية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نسب لبس الصوف إلى

الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة أقرال منها قول أنس فيما رواه ابن ماجه أن
 ﷺ «أكل خشنا ولبس خشنا ، لبس الصوف واحتوى المخصوب» .

ويقول المستودى أن عمر بن الخطاب « كان يلبس الصوف ويقال هذا أيضا
 عن أبي عبيدة بن الجراح الذي كان يظهر للناس وعليه الصوف » (١)

وينسب الصوفي الى الصفة وهم القراء الزهاد من المهاجرين وكانوا يسكنون
 صفة المسجد في المدينة . ولكن نسبة الصفة صغرى وليست صوفى ، وينسب الصوفى
 إلى الصفا أو الصفر وينسب إلى أدل من تسمى بالصوفى وهو أبو هاشم الصوفى
 الذى ولد في الكوفة ومضى جل حياته بها وتوفى بها عام ١٦٠ هـ .

وينفرق بعض الباحثين المعاصرين (٢) بين الزهد الذى نشأ عنه التصوف
 والزهد الإسلامى الذى ظهر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرى أن النوع
 الأول لم يختلط بمؤثرات أجنبية وسار بجانب التصوف كصورة أصيلة مرصورة
 الاسلام أما النوع الثانى فقد كان زهداً منظماً ، جاء به زهاد الكوفة والبصرة
 والشام واختلط ببعض المؤثرات الاجنبية وتحول إلى التصوف . وبذلك يرجع
 بعض الباحثين المحدثين التصوف إما إلى تأثير أجنبي أو تأثره بالمؤثرات الاجنبية
 فيقسم بعضهم التصوف إلى قسمين : سنى وفلسفى ، ويرى أن النوع الأول كان
 صادراً عن القرآن والسنة ، أما النوع الثانى الفلسفى ، فقد دخلته كثير من
 المؤثرات الاجنبية (٣) .

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلى بن الحسين المسعودى ١٥ ص ٤١٧

(٢) نيكلسون : في تصوف الاسلام وتاريخه ص ٢ ترجمة أبو الملا عفيفي

(٣) على سامى المشار : نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام ١٥ ص ٢٢١

أما رأى المستشرقين فأغلبهم ينسب الصوفية إلى كلمة صوفيا أو سوفس ويقابلها بالعربية فيلسوف ولم يعارض ذلك منهم سوى براون وهو مستشرق فرنسي وبذلك حاولوا أن يرجعوا التصوف إلى أصل أجنبي أو لأنه قد تأثر بتأثيرات أجنبية .

فهذا هو إجناس جولدتسيهر يرى « أن تعاليم الافلاطونية الحديثة دخلت إلى نطاق الحياة العقلية في الإسلام ويعد هذا الحادث ذا أهمية حاسمة من جهة التصوف الاسلامي (١) » ويرى أيضا جولدتسيهر تأثير الافكار الهندية في التصوف الإسلامي وبخاصة البوذية .

وهذا آدم متز يقول « أن دلالة معرفة الله تعالى هو مذهب الغنوصيين القديم يعود إلى الظهور في موطنه الأول ، (٢) »

ونخرج من ذلك إلى أن كلمة الصوفي أو الصوفية كانت تعني الزاهد في الدنيا القانية فإذا كان ابس الصوف دليل على الخشونة والبعد عن ترف الدنيا بأهم مظهر لها وهو الملابس فاليس معنى ذلك إننا نقص من قدرهم ورغم ما يدعيه بعض الباحثين وخاعة المستشرقين من تأثير الافكار الفلسفية والديانات القديمة في افكارهم فإن أراءهم أغلبها تحامل وتحييز لاترقى إلى الصواب .

يرى آدم متزان أول ظهور طوائف الصوفية كان هو ٢٠٠ هـ عصر مهدي الرهبنة المسيحية وكانوا يعارضون السلطان في أمره وكان على رأسهم أبو عبد

(١) إجناس جولدتسيهر « العقيدة والشرعية في الاسلام » ترجمة محمد يوسف

موسى وآخرين ص ١٦٧

(٢) الحصار الاسلامية في القرن الرابع الهجري ح ٢ لآدم متز ترجمة محمد

أبو زيد ه ص ١٨

الرحمن الصوفي (١)

وهذا رأى خاطيء أيضا فقد ظهر التصوف قبل ذلك بقليل فقد أثر عن الحسن البصري قوله « رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال معي أربعة درانيتي فيكنيفي مامعي والحسن توفي عام ١١٠ هـ .

وقيل أول من تسمى بالصوفي أبو داشم الصوفي وأول من حدد نظريات التصوف وشرحها ذو النون المصري المتوفى عام ٢٤٦ هـ وهو تلميذ الإمام مالك وأن الذي شرحها وبوبها ونشرها هو الجنيد البغدادي المتوفى عام ٣٣٤ هـ وأول من دعا إليها من فوق المنابر الشبلي المتوفى عام ١٨٧ هـ بمكة .

وعناك متصوفون معتدلون ومتصوفون غلاة ولقد سار المعتدلون على الطريق القويم وكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . أما الغلاة فكانت لهم سطحات بما حدا بمن هاجهم أن يستملوا بما يقرلون ولهم نهايات مؤلمة مثل الحسين بن منصور الحلاج المصلوب والشليخاني .

ومذهب المتصوفة الزهد في الدنيا وحب الله تعالى والتفاني في هذا الحب والتصوف هو السمو والرياضة والجهادة والبعد عن أسباب الماديات الرخيصة والسعى إلى معرفة الخالق والتقرب والتعجب إلى ذاته (٢)

ونجد من اعلام التصوف في القرن الثالث والرابع وهو عمر ابن دريد ما يتحدث عنهم السليبي منهم ذو النون المصري المتوفى عام ٢٤٥ هـ وبشر الحافي عام ٢٢٧ هـ وسري السقطلي المتوفى عام ٢٥١ هـ والحارث المحاسبي ويقول

(١) المرجع السابق ص ٢٠

(٢) اسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعة ص ٥٩٢

عن الحارث « من علماء مشايخ القرم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والاشارات وله كتب مشهورة منها لرعاية حقوق الله وهو أستاذ أكثر البغداديين ، (١)

ومن القرن الرابع محمد بن الفضل البلخي المتوفى عام ٣١٩ هـ وأبو محمد الحريري المتوفى عام ٣١١ هـ وأبو الحسين الوراق المتوفى عام ٣١٩ هـ .

أما المتصوفون الغلاة فأشهرهم أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ، وقد غلا في تصوفه وقال أنه لا موجود في كل شيء إلا الله ومن هنا نشأ مذهب وحدة الوجود الذي خالف مذهب جمهور المسلمين وكان الحسين بن منصور الحلاج الذي يقال إنه ادعى الألوهية في عهد المقتدر العباسي . وقد اشتغل في أول أمره بالتصوف وكان كلامه يحمل معنيين أحدهما حسن محمود والآخر قبيح مذموم . وقد قال بشيئين هامين كانا سببا للهجوم عليه . الأول وحدة الوجود وهو المذهب القائل بأنه لا موجود إلا الله ومعناه أنه لا وجود مستغن بذاته إلا وجود الله تعالى ، أما وحدة الشهود فهي حال تستولى على المريد فيفقد فيها التمييز بين نفسه وذات الله تعالى . « والمشايخ في أمره مختلفون رده أكثر المشايخ ونفوه ، وأبوا أن يكون له قدم في التصوف وقبلة من حمايتهم أبو العباس بن عطاء ، وأبو عبد الله محمد بن خنيف وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر اباذى ، (٢) ، وقد قتل الحسين بن منصور عام ٣٠٩ هـ في خلافة جعفر بن المعتضد وقبل المقتدر بالله .

ومن كلامه العجيب « من طلب الترحيد في غير لام الف فقد تعرض للخوضان

(١) طبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي تحقيق أحمد الشرباصى ص ٩
 (٢) طبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي تحقيق أحمد الشرباصى ص ٧٤

في الكنغر ، ومن تعزف هو الهوية في غير خط الإستواء فقد جاس خلال الحرة
المذمومة التي لاستراحة بـدها « (١)

كان للمتصرفه دور كبير في الدولة العباسية وظهرت بوضوح في عصر
ابن دريد ونستطيع أن نقول أنهم كانوا أخف ثقلا على الدولة فلم ينشق أحد
منهم على الدولة أو يحاربوها بل إنهم احتجوا احتجاجا صارخا على التعرف
واللهو والجمون بالزهد في الدنيا وإعلاء ذاتية الله تعالى .

الحياة الادبية

(١) الشعر واءلام الشعراء :

بدأ عهد جديد فى الشعر العربى خلال القرن الثانى الهجرى كان له أثره فى مختلف نواحيه الفنية فقد قام على صناعة الشعر « أمشاج من العرب والموالى الذين كانوا يعيشون فى المراكز العقلية الكبرى وخاصة البصرة والكوفة فكان طبيعياً أن تتطور صورته وأن تحتنف عن صورة الشعر القديم الذى كان يستمد من علاقات البادية وصلاتها الحسية والمعنوية » (١) وظهر ذلك منذ أواخر القرن الثانى الهجرى على أيدي المحدثين وسار الشعر خطوة كبيرة على يد بشار زعيم المحدثين وأبى نواس ومسلم وازدهرت النهضة الفنية حتى نضجت فى القرن الثالث ، غرق الناس فى اللهو والمجون وغرق معهم الشعر أو أغرقهم فى اللهو والمجون وظهرت الزندة والشعوبية فى الشعر .

كان أبو تمام آخر من شهدهم العصر العباسى الاول من الصنعة والافتقار ولكن مدرسته ظلت مسيطرة على الشعر طوال العصر العباسى الثانى ، وحدث تغيير واسع فى تفكير الشاعر العباسى وعقله فجاءت دقة التصوير والاستنباط الدقيق والافكار الجديدة واستخدام الشعراء المنطق والفلسفة فى أشعارهم وأكثر الشعراء من الإبداع فى التصوير والخيال والإغراء فيه وتركيب التشبيهات والاستعارات والوصاف وانصرف الشعراء عن المعانى البدوية أو الحضارية المتأثرة بالبدوة إلى معانى حضارية . ويرى د . شوقي صيف أنه لا نصل إلى القرن الرابع حتى

(١) النين ومذاهبه فى العصر العربى : دكتور شوقي صيف ص ٩١

نحس بأن الشعر العربي جامداً لا يتحول عن الموضوعات والمساكن القديمة وقال
« وأكبر الظن أن من أهم أسباب هذا الجرد ما أشرنا إليه من العرب لم ينحو في
شعرهم نحواً فلسفياً أو علمياً » . (١)

لقد تطورت الحياة المادية التي كانت في الجاهلية تقوم على السذاجة وانتشرت
الشعرية والزندقة وكان للثقافة الأجنبية والفارسية خاصة أثر كبير في الشعر
العباسي في القرن الثالث والرابع ، ولم يكن يتمتع الشعراء إلا على تشجيع الخلفاء
والأمراء وكبار رجال الدولة فتبارى الشعراء في كسب عيشتهم في التقرب من
الخلفاء والمقربين اليهم من العظام بالقصائد ابتغاء المنح والعطايا .
أما اعلام الشعر في هذا العصر فمنهم .

١ - البحتري : (م ٢٨٩ هـ)

وهو من أكبر الشعراء الذين ظهوروا في القرن الثالث الهجري وهو مجيد في
المديح والاعتذار والغزل وكان واعظاً في أسلوبه يحب الصنعة ولكنه يؤثر منها
ما كان موافقاً للنظرة العربية السليمة والذوق الأدبي الخالص الذي لم تفسده آثار
الحضارة وألوان الثقافة ومن شعره :

منى وصل ومنك هجر	وفي ذل وفيك كبر
وما سواء إذا التقينا	سهل على مثله ووعر
قد كنت حراً وأنت عبد	فصرت عبداً وأنت حر

ويهمنا من وصف الشعراء ما يتجدثون به عن الإحداث في عصرهم فهذا

للبحترى يشيد بالإنتصار الساحق الذى حققه اسحق بن ابراهيم على الخرمية
وجيوشهم الكشيفة التى تجمعت بجبال قران :

وعلى الأمير أبى الحسين سكية فى الروع يسكنها الهزبر الاغلب
ولحربه الاسلام حين يهزها هاول يراع له النفاق ويرهب
تلك الحمرة الذين تهافتوا فنخسرن فى غيبه ومنرب
والخرمية اذ تجممع منهم بجبال قران الحصى والاثلب
جاشوا فذاك الغور منهم سائل دفعا وذاك النجد منهم معشب (١)

٢ - ابن الرومى

وهو شاعر ثقف بالثقافة الحديثة وكان يتكلم فى الفلسفة واسمه على
بن العباس بن جريج وجده رومى وأمه فارسية ولد عام ٢١١هـ وكان مولى عيسى
بن عبد الله بن جعفر بن المنصور ونراه مسرفا فى طعابه وشهواته متمل الصحة
مختل الأعصاب ويرى د. شرقى سيف أن ذلك دليله كان ثمن نبوغه ، فلم يشعر
بشيء من الفرحة بالحياة ، بل شعر كأنها كأس مر بتجرعة فانقلب ساخطا على
كل ما حوله حتى على من أكرموه وفسحوا له فى مجالسهم واغصوا عليه من أموره
فهمجهم فاحتجبوا عنه ،

واستخدم ابن الرومى الفلسفة والمنطق ومن أمثلة ذلك :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يسكون بكاء الطفل ساعة يولد
والافسا يبيكه منها وانها لأفسح مما كان فيه وأرغد

إذا أبصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقى من أذها يهدد

وكان ابن الرومي متابعاً لأحداث عصره فهذا هو يقول في فتنه الزنج :

أى نرم من بعد ما حل بالبص - مرة ما حل من صفات عظام

أى نرم من بعد ما انتهك الزنج - نيج جهارا محارم الاسلام

أقدم الخائن اللعين عليها - وعلى الله أيما أفدام

لهدف نفسى عليك أيتها البص - مرة لمننا مثل لب الشرام (١)

ومن جوانب الهجاء الساخر فى شعره ومن أشهر شعره :

وجهك ياعمرو فيه طول - وفى وجوه الكلاب طول

والكلب واف وفيه غدر - فنيك عن قدره سفول

وقد يحامى عن المواشى - وما نحامى ولا تصول

وأنت من أهل بيت سوء - فعتهم قصة تطول

٣ - أبو تمام :

وهو حبيب بن أوس الطائي ولد عام ١٨٢ أو ١٨٨ أو ١٩٠ أو ١٧٢ هـ على اختلاف الروايات ، وكان أبر تمام يأخذ نفسه بثقافة واسعة حتى قالوا إنه عالم وأثر أبو تمام فى نظم الشعر وتجويد المعنى ودقته وأحب جزالة اللفظ ومتانة الأسلوب وبالصناعة وقصد البديع وشعره مبين الشعر فى تهره مبينة واضحة من حيث تصويره للشعر وشدة أخذه نفسه بتجويد المعنى ووحدة القصيدة وفى كلفه بوصف الطبيعة وميله إلى المعانى الفلسفية يقول عنه ابن المعتز : « ويقال

أن له ستائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة ، وأكثر ماله جيد ، والردى الذى له إنما هو يستلزم لفظه فقط فأما أن يكون فى شعره شيء يخاو من المعانى اللطيفة والحاسن والبدع الكثيرة فلا ، (١)

ومن جميل شعره هذه الايات وفيها يخاطب صاحبه وهى تلومها على الارتحال وما يلقى فيه من أوال يقول :

أعاذلتى ما أخشن الليل مركبا وأخشن منه فى الملمات راكبا
ألم تلعى أن الزماع على السرى آخر النجج عند النائبات وهائبه
ذرينى وأهوال الزمان فأهواله العظمى نايها رغائبه
أما أشهر أشعاره التى تبين متابعتها لأحداث عصره ومدحه للقواد والخليفة
فنها قصيده عمورية وأولها :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سواد الصفائح فى متروهن جلاء الشك والريب
ويقول لنا فى وصف ذلك اليوم :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحباب
أبقيت جد بنى الإسلام فى صدد والمشركين وراء الشوك فى صعب
وقوله مشيدا بالانتصار الساحق على الخرمية يوم أرقى :

يا يوم أرقى كنت رشق منية للخرمية صائب الآجال
أسرى بنو الإسلام فيه وأدجوا بقلوب أسد فى صدور رجال

قد شمروا عن سيفهم في ساعة أمرت أزار الحرب بالاسبال
لما رأهم بآبك دون المنى هجر الغواية بعد طول وصال
تخذ الفرار أختا وأيقن أنه صرعى عزام من أبي سجال (١)

ومن أشهر شعراء هذا العصر عبد الله بن الخليفة المتميز بالله المتوفى في ٢١٦ هـ ،
ولقد اهتم منذ صغره بالأدب واللغة وأخذ عن المبرد وثعلب وشعره يدور حول
ما كان ينعم به من الترف والرفاهية وعنى بالغزل والخمریات ومجالس الشراب
وقد وصف ابن المعتز صاحب الزنج في أرجوزته عن تاريخ المعتضد يقرل
فيها :

شيخ ضلال شر من فرعون لحيته كذنب البرذون
أمام كل رافضى كافر من مظهر مقلّة وسائر
يعن أصحاب النبى المهتدى إلا قليلا عصابة لم تزد
فكفر الناس سواهم عنده فلعنة الله عليه وحده
ما زال حينها يخذع السودانا ويدع الباطل واللاهنا (٢)

ويصور مرة أخرى ما فعله صاحب الزنج في البصرة والاهواز وواسط
وغيرها من المدن الإسلامية التي امتدت اليها يده بالتدمير والتخريب :

فواحد يصرخ بالعمود وواحد يدخل في السفود
وبعضهم مسط مربوط وبعضهم في مرجل مسموط

(١) ديوان أبي تمام ج ٣ ص ١٣٥

(٢) ديوان ابن المعتز ص ١٥٥

وجل الأسرى مكتفين
وبعضهم يحرق بالنيران
وبعضهم يصاب قبل الموت
وبعضهم يئن تحت الموت (١)

ومن شعره الجليل ويصف فيه سرعة القلم في الكتابة وجريانه على السطور
بقلبها في خشوع وتواضع ويتعجب من دقة حجمه وما يأتيه من أفعال :

قلم ما أراه أو قدر يجـ
ماجد خاشع ويلثم طوما
وجليل المعنى لطيف نحيف
كم مناياكم علماياكم حتف
رى بما شاء قاسم ويشير
را كما قبل الباطل شكور
وكبير الأفعال وهو صغير
وعيش نضم تلك السطور (٢)

ومن شعراء القرن الثالث والرابع محمود بن الحسين الوراق المتوفى عام ٥٣٠ هـ
ويخبرنا ابن الممتز في «طبقات الشعراء» بأنه كانت له جارية تسمى «مكن» وشعره
محمود كثير وأكثره أمثال وحكم ومواعظ وأدب وليس يقصر بهذا الفن عن
صالح بن عبد القدوس ومابق البربري ومن قوله :

يمثل ذو الحزم في نفسه
فان نزلت بغتة لم ترعه
وان السهم يدمى إلى آخر
وذو الجهل يأمن أيامه
معانيه قبيل أن تنزلا
لما كان في نفسه مثلاً
فتسبر آخره أولاً
وينسى مضارع من قد خلا (٣)

(١) ديوان ابن المعتز ص ١٠٥ - ١٥٦

(٢) الصولي في كتاب الأوراق ص ٢٦٠ (قسم أشعار أولاد الخلفاء)

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٧ تحقيق عبد الستار فراج

وعلى بن الجهم المتوفى عام ٢٤٩ هـ وكان شاعراً مقلداً مطبوعاً يضع لسانه
حيث شاء وكان هجاءاً ، ومن خبيث قوله :

بنو نيم هل تدور ما الخبر وكيف يستر أو ليس يستتر ؟
حاجيتكم من أبوابكم يا بني عصيب شتى ولكنكما للقاهر الحر (١)

وعبد الصمد بن المعذل المتوفى عام ٢٤٠ هـ وعمارة بن عطيل المتوفى عام
٢٤٠ هـ ودعبل المتوفى عام ٢٤٦ هـ والحسين بن الضحاك الخبيع المتوفى عام
٥٢٥٠ .

وإذا تجاوزنا القرن الرابع فمستطيع أن نعد المتنبي أشهر شعراء عصره بل
أشعر شعراء العرب بعد الجاهلية لكننا لانستطيع أن نقول أنه عاصر ابن دريد
فقد ولد عام ٣٠٢ هـ وقد قيل أنه ادعى البرية على الرغم من أن الدكتور شوقي
ضعيف ينفي ذلك (٢) ؛ وقد دخل المتنبي السجن عام ٣٢٢ هـ وشعره رائع
وبديع .

(١) المصدر السابق ٣٢٠

(٢) الفنى ومذهبه فى الشعر العربى : دكتور شوقي ضيف ص ٣٠٥

النشر والنقد

بلغ النشر في القرن الثالث الهجري أوج اكتماله وامتاز بسهولة العبارة وانتقاء الالفاظ وجودة الإسلوب والمعنى ودقة الاختيـلة وابتدائها ومال الكتاب إلى الإطباب ولم يحفل بعض الكتاب بالبديع والتأني الكثير في الأسلوب وحل لواء الهجوم على البديع «الجاحظ» واقتدى به أبو بكر الصولي وابن الزيات والحسن وسليمان ابني وهب وسريد بن حميد وأحمد بن اسرائيل والحسن بن مخلد وابن المدبر غير أن عصر السجع بدأ يظهر في القرن الثالث في الرسائل السياسية وعند كتابها ولعل أقدم نمرذج يصور ذلك ذمية طاهر بن الحسين . وكان الكتاب حتى منتصف القرن الثالث يسجعون وأحياناً لا يسجعون (١) ، ويرى الدكتور طه حسين أن الكتاب في القرن الثالث الهجري «قد تقسمرا فنونا مختلفة، وتخصص كل منهم في فرع من هذه العلوم، فمنهم من تخصص في الفاسفة والكلام ومنهم من تخصص في اللغة والنحو وقليل منهم من جمع من هذه الأشياء كثيراً بل نرى أن هذه الحياة العقلية غلبت العقل العربي على الخيال العربي ، ورفعت شأن النشر على شأن الشعر ، (٢)

أما أعلام النشر في القرن الثالث فترى أمامنا أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الخثوني عام ٢٥٥ هـ وهو من كبار المهتزة واليه تنسب احصاء فرق المهتزة المعروفة بالجاحظية وكان من خطه أن يغيث العصر الذهبي للأمة ، عصر الرشيد والمأمون حيث العلوم والآداب يومئذ فتوخر بها معاهد العلم وحيت حركة العلم

(١) المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٢) صحيفة الجامعة المصرية أبريل ١٩٢١ ص ٥٥

والتأليف والترجمة نميطة والتشجيع عليها كثير من ذوى السلطان
والمال (٣).

وأسلوب الجاهل يمتاز به ولا ينسب إلا إليه وهو أسلوب يظهر فيه شخصيته
ظهوراً تاماً وفي أليفه أنيس بتحرر من قيود كثيرة قيد بها علماء عصره واختار
الجميع والبعد عن النكاف والتعقيد وآثر الوضع وظهور الشخصية واحتمال على
نشاط تقارىء بالعكاهة ومزح الجدل بالهزل والاستطراد ، وهو متحمس للعرب
وفي إنشاء الجاهل كثير من أساليب الخطابة والجدل ، وأمد الجاهل المكتبة
العربية بكتب ظلت وستظل منبهاً يستقى منه مناهل المعرفة والآداب ، ومؤلفاته
تقرب من تلميذاته وستين مؤلفاً وفنون شتى من المعرفة ، ولكن له كتابان اعتنى
بهما ويحجى فيهما قضايا البيان والبلاغة ونقد الكلام والشعر وهما (البيان والتبيين
والحيوان) ومن أطرب كتبه أيضاً البخلاء وله أيضاً رسالة التبريع والتذوير
التي هجا فيها أعمد بن عبد الوهاب وتقع في نحو ١٥٠ صفحة .

وظهر له أيضاً في القرن الثالث كتاب نقاد يتحدثون عن السرقات الشعرية
وأشهرهم أحمد بن طاهر طيفور المتر في عام ٢٨٠ هـ الذي ينسب إليه كتابان هما
كتاب سرقات الشعراء ، وكمات سرقات البخري من أبي تمام .

وبنصف القرن الرابع الهجري لم يكن أدبه كثيراً فلم يظهر فيه كثير من أعلام
البيان بينهم طائفة من الوزراء . وذاع انتشار التشجيع في الرسائل ويقولون إنه كثفون
شوقي ضيف ، على أننا لا نصل إلى عصر المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) حتى

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : دكتور عبد العزيز عتيق ص ٢٢٤

نجد السجع يصبح عاما في كل ما يصدر عن دواوين فليس هناك وزير ولا كاتب إلا وهو يتخذ السجع في صياغته (١) .

أما أشهر كتاب هذا القرن فجدد ابن العميد ، وكان شيعيا على مذاهب الامامية وسمى بالجاحظ الثاني ، وكان مثقفا ثقافة واسعة قربته من ركن الدولة ثم عضد الدولة وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، وكان ابن العميد يستعمل السجع في كتاباته وكان يدمج وشى السجع في وشى البديع من التصوير والطباق والجناس ، يقول ابن مسكويه في تجارب الأمم : « كان ابن العميد يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل كالميكانيكا التي يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجوهر الثقيل ومعرفه مركز الأشكال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة إلى العقل ، (٢) .

ومن كتاب هذا القرن أبو اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الحارثي ، المتوفى عام ٣٨٤ هـ وقد تقلد ديوان الرسائل عام ٣٤٩ هـ وكان متمسكا بدينه على الرغم مما بذله الخلفاء والوزراء من جهود لتحويله إلى الاسلام .

وبعد الساحب بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة البويهى من أشهر رجال عصره والمتوفى عام ٣٨٥ هـ يقول أبو منصور الثعالبي في بليغة الدهر « هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ؛ وينبوع العدل والإحسان ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء والأدباء والشعراء وحضرته محط رجال وموسم

(١) الفن ومذاهبه فن النثر العربي : دكتور شوقي ضيف ص ٢٢٠

(٢) تجارب الأمم لابن مسكويه ص ٢٣

فضلائهم ومترح آمالهم وأحرالهم بمحروقة اليهم رسار كلامه مسير الشمس، (١)
 وكان الصحاب علماء ألف حوله كبار الشعراء مثل السلامي وأبو بكر الخوارزمي
 وأبي الحسن البويهى وأبى سعد الرمتى ، وصنف لنا الصحاب كثيراً من الكتب
 منها كتاب فى سبع مجلدات أسماء المحيط وكتاب الكافى فى الرسائل وكتاب
 الأعيان وفضائل النيروز ، وكتاب الكشف عن مساوى شعر المتنبى ، (٢)

ولكن ما و دور ابن دريد وهو موسوعة لنوعية أدبية فى الكتابة والنثر فى
 ذلك القرن ؟

كان لابن دريد دور كبير فى نهضة النثر فى ذلك القرن وقد ذكر بعض الباحثين
 المحققين أنه كان مبتكر فى المقامات بأحاديثه الأربعين المنشورة فى كتاب الأمل
 لأبى على القملى وأنه فتح الطريق لبديع الزمان الهمزانى المتوفى عام ٣٩٨ هـ للكتابة
 فى المقامات وسيتحدث فى ذلك عند حديثنا عن حياته ومؤلفاته. أما بديع الزمان
 الهمزانى المتوفى عام ٣٩٨ هـ فليس هناك كاتب فى القرن الرابع نال من الثناء ما
 ناله وقد ترك لنا مجموعة من الرسائل بلغت ٢٣٠ رسالة وأكثرها فى علاقاته
 الشخصية ومن رسائله إلى أبى بكر الخوارزمى :

« إنا لقرب الإستاذ أطل الله بقاءه كما طرف النشوان مالت به إلى الخمر ،
 ومن الارتياح للقائه كما انفضى العصفور بلبلة الفطر ، ومن الامتزاج بولائه كما
 التفت الصبأ والبارد العذب ومن الابتهاج برآه كما امتزجت تحت البارع الغصن

(١) يثيمة الدهر للعلابى ج ٣ ص ١٦٩

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٧٥

الرطب (١) ومن قول بديع الزمان في تعزية : « الموت خطاب قد عظم حتى الموت
أخذ خطرهما وحننت حتى سار الحمام أصغر ذنوبها ، (٢)

وتخصص بديع الزمان بالمقامات روى نوح من القصص القليلة بالحركة
التمثيلية وفيها تدور المحاورة بين شخصين سمي أحدهما عيسى بن هشام والآخر
أبا الفتح الاسكندري وهو من الادباء السائلين الناس يستجديهم وهو يشبه
طائفة الادبانية (التي سادت عصرنا فترة .

أما حركة « النقد » في القرن الثالث والرابع هـ فقد تأثر بالنهضة العلمية
الادبية التي شهدت القرن الثالث والرابع وتطور كثيرا لامن حيث شكاه ومظهره
ولامن حيث حقيقة وجوده وذلك بفضل العناصر الاجنبية الثقافية التي بدأت
تتسرب إليه والروح العلمية التي تحركه وتسيره ، وتباين أوزجة المشتغلين به
واختلاف ثقافتهم ، (٣)

ورأينا في القرن الثالث من العلماء الادباء من اشتغل بقضايا القدوم منهم الجاحظ
المتوفى عام ٢٥٠ هـ وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٣ هـ وكتاباه أدب الكاتب والشعر
والشعراء من آثاره الخالدة ، وفي كتابه الشعر والشعراء يذكر مقياسه في نقد الشعر
وهو يختلف كل الاختلاف عن مقياس اللغويين والنحاة ويقبم منهجه القدي على
أصول استمدتها من آرائه الخاصة ومن معارف سابقة في النقد . ومن النقاد في

(١) رسائل بديع الزمان الهمداني ص ١٢٨

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي ج ٤ ص ٢٤٤

(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب : دكتور عبد العزيز عتيق ص ٢١٣

القرن الثالث ابن المعتز الشاعر المتوفى عام ٢٩٦ هـ ، وكتابة البديع يعد أول بحث منهجى فى الشعر والبلاغة والمقدمة

أما القرن الرابع فهو عصر قمة حركة النقد وظهر لنا كتاب الموازنة بين البحتري وأبى تمام الأمدى وهو تلميذ أبى ديد ورحاول الأمدى أن يقف موقفاً وسطاً بين الشاعرين وأن يقف موقفاً محايداً غير أننا نشعر من كلاله فى مقدمة الموازنة أنه يفضل من يلزم طريقة الأوائل ، ولذلك يبنى نقده على تجريح ماخرج على هذا الأصل .

وألف النقاد حول المتنبى الرسالة الحاتمية فى مآخذ المتنبى وكتاب المنصف فى الدلالات على سرقات المتنبى والوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى عبد العزيز الجرجانى المتوفى عام ٣٦٦ هـ .

اللغة والنحو والعلوم الأخرى فى عصر ابن دريد :

تطوّر علم اللغة فى القرن الثالث تطوراً كبيراً وتمت الكتابة فى اللغة . وبعد أن ظهر معجم العين وفتح الباب لنمو التأليف فى اللغة وكانت المدرستان البصرية والكوفية تتنافسان على جذب كثير من العلماء ويحاولان إذكاء ملكة اللغة والنحو فى القرن الثالث هم تلاميذ الأجيال الأولى من علماء العربية . ومن علماء اللغة فى القرن الثالث أبو عثمان المازنى م ٢٢٩ هـ وابن السكيت المتوفى عام ٢٤٣ هـ وأبو حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٥٥ هـ وأبو الفضل الرياشى المتوفى عام ٢٥٧ هـ وكان الأخيران أستاذان لابن دريد وأبو سعيد السكرى النحوى المتوفى عام ٢٧٥ هـ وأبو العباس المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ . أما أبو يوسف يعقوب بن السكيت المتوفى عام ٢٤٣ هـ ، فكان من أكابر أهل اللغة ، تعلم النحو من البصريين

والكرفيين فأخذ عن أبي عمر والشيباني والنراء وابن الإعرابي والأثرم وزوى
عن الاصمعي وأبي عبيدة ، كان رارية ثقة ومن أعلم الناس باللغة والشعر ومن
كتبه سرفات الشعراء وماتوا دروا عليه وكتاب معاني الشعر الكبير وكتاب معاني
الشعر الصغير . (١)

أما أبو عثمان المازني المتوفى عام ٢٤٩ هـ ويقال أنه لم يكن بعد سبويه أعلم
منه بالنحو وروى عن أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الانصاري وذكر
ابن النديم له كتابا فقال «وله من الكتب كتاب ما يلحن فيه العامة وكتاب الألف
واللام وكتبا التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج مع
قليل من كتاب أبي عبيدة» (٢)

وأبو حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٥٥ هـ وكان استاذ ابن دريد ، كان إماما
في غريب القرآن واللغة والشعر وأخذ عن أبي زيد والاصمعي وأبي عبيدة وغيرهم
وكان حسن العلم بالعروض وقول الشعر الجيد وله كتاب في الفصاحة ، (٣)

ويذكر ابن النديم أن ابن دريد اعتمد عليه في اللغة (٤)

أما أبو الفضل الرياشي قتيل فتنة الزنج فكل استاذ لابن دريد أيضا وكان
كثير الرواية للشعر ، أخذ عن الاصمعي وكان يحفظ كتبه وكتب أبي زيد
الانصاري كلها (٥) ، وتوفى عام ٢٥٧ هـ

(١) معجم الأدباء : يافوت الحمري تحقيق أحمد رفاعي ج ٢٠ ص ٥٠

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٠

(٣) معجم الأدباء : لياقوت الحموي تحقيق أحمد رفاعي ج ٧ ص ١٠٧

(٤) الفهرست لابن النديم ج ٩٢

(٥) معجم الأدباء لياقوت الحمري ج ١٢ ص ٤٤

وأبو سعيد السكري المتوفى عام ٢٧٥ هـ أخذ عن السجستاني ، والرياسي
ومحمد بن حبيب والحارث بن أبي أسامة وهو فقيه معدود وكان في عهده رواية
البصريين .

ومن رجال القرن الثالث أيضاً أبو العباس المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ
وانتهى النحو وبعد طبقة الجرمي والمازني إلى العباس محمد بن يزيد الأزدي
الثمامي ومن مصنفاته الكامل والروضة والمقنضب والاشتقاق وكتاب الانوار
والروضة . (١)

ويرى دكتور شوقي ضيف أنه « يتبدى بحق آخر المدرسة البصرية المهتمين (٢)
ومن رجال القرن الثالث المفضل بن سلهب، وهو من علماء الكوفة واستدرك
على الخليل في الامين وأشهر كنبه كتاب «الناخر» وهو كتاب لغوي وموضوعه
مايجرى على ألسنة العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يردون
معناه ويأتى بالمثل وشرحه وله أيضاً كتاب النود والملاهي في آلات
الطرب وهل استعملها يخالف التقوى وهو يرى أنه جائز وقد أتى بأدلة تؤيد
كلامه .

وكان ابن دريد من علماء اللغة في القرن الرابع وكان أشهرهم ومن علماء
القرن الرابع عبد الرحمن الهمزاني المتوفى عام ٣٢٧ هـ وكان كاتباً لبكر بن
عبد العزيز بن أبي داف العجلي وله مؤلفات عدة وأشهرها كتاب الالفاظ

(١) الفهرست لابن النديم ص ٦٤

(٢) المدارس النحوية : دكتور شوقي ضيف ص ١٢٤

الكتابية والكتاب عبارة عن ألفاظ يستعان بها في العبارة وزخرفتها وضبط معانيها ويختص على مترادفات من الجمل الفصيحة ويتهبر نوعا من فقه اللغة ومن السابقين إلى الكتابة في هذا العلم . يقول في مقدمة كتابه : فجمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناسا من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة عن الاشتباه والالتباس السليمة من التقدير والمحمولة على الاستعارة والتلويح ، (١)

ومن لغويي القرن الرابع أبو علي النالي المتوفى عام ٣٥٦ هـ وهو تلميذ ابن دريد وصاحب كتاب البارع في اللغة وكتاب الأمل ، ومهمم صاحب ابن عباد وصاحب كتاب المحيط وأبو منصور الأزهرى المتوفى عام ٢٧٠ هـ وابن فارس المتوفى عام ٣٩٥ هـ صاحب معجم مقاييس اللغة والصاحبى فى فقه اللغة والجمل ومنهم الجوهري صاحب الصحاح المتوفى عام ٣١٢ هـ ومن النحريين لزجاج المتوفى عام ٢١٠ هـ وابن السراج والسيرفى المتوفى عام ٣٦٨ هـ .

أما من الكوفيين فأشهرهم ثعلب المتوفى عام ٢٩١ هـ ومن مصنفاته فصيح ثعلب وظهرت المدرسة البغدادية فى القرن الرابع ومنها ابن كيسان المتوفى عام ٢٩٩ هـ وابن شقير المتوفى عام ٣١٠ هـ ، وابن الخياط المتوفى عام ٣٢٠ هـ وينضم اليهم ابن جنى وأبو على النارسى

(١) الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني ، مطبعة الحاملية سنة

ونبع العرب فى علوم أخرى مثل الجغرافيا والتاريخ والطب والفلسفة وقد نضج علم الجغرافيا فى القرن الرابع وكان علماء القرن الثالث قد مهدوا الطريق للتأليف فيه لكثرة أسفارهم ورحلاتهم أو اشتغالهم فى إحصاء خراج الدولة وفى تعيين طرق البريد وألفوا ما هو عام شامل للمملكة الإسلامية وغيرها وهى الجغرافيا العامة وما يختص ببقية من الأرض وهى الجغرافيا الخاصة . ومن علماء الجغرافيا فى القرن الثالث ابن خرداذبه وكان مجوسيا وأسلم على يد البرامكة ويعتبر من أقدم جغرافى المسلمين وسبقه الكندى وكان قد كتب كتابا فى الجغرافيه ، أما ابن خرداذبه فخلف لنا كتاب المسالك والممالك وهو دليل المسافرين بهتدرون به إلى الطريق البرى الذى يبدأ من مصب نهر دجلة عند الأبله ويسل إلى الهند والصين وقد ضمنه إحصاء جنباية المملكة العباسية ويقول المسعودى : « إن كتاب ابن خرداذبه على الرغم من عيوبه هو أحسن كتاب فى موضوعه » (١) ويذكر آدم متز أن ابن خرداذبه يعترف بأنه اعتمد فى بيان حدود الأرض ومساكنها وبما كتبها على ما كتبه بطليموس ، (٢)

ومن جغرافى هذا القرن اليمقوبى المتوفى عام ٢٨٢ هـ صاحب كتاب البلدان وقد دون فيه نتائج رحلاته الطويلة فى أرمينية وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب ووجاءت كتب المقدسى وابن حوقل فى القرن الرابع الهجرى فكانت مثالا لأعلى درجة بلغها العرب فى وصف البلدان وفى

(١) مروج الذهب لعلى بن الحارث المسعودى ج ٢ ص ٧٠

(٢) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ج ٢ ص ١٠ : آدم متز ترجمة عبد

الهادى أبوريك ،

الرابع قويت عزيمته الاستطلاع العلى وأخذ أصابعها تمتد متاسة للحقائق
فى كل ناحية (١) ، وتحدث قدامه بن جعفر المتوفى عام ٣١٠ هـ عن مملكة
الاسلام وما جاورها من الممالك فى كتابه الخراج أما المقدسى فله كتاب فى فن
التقاسم فى أحسن الأقاليم وألف الاصطخري كتابا أهمها كتاب الأقاليم وكتاب
الممالك والممالك .

وفى التاريخ نجد اليمقوبى المتوفى عام ٢٨٢ هـ فى القرن الثالث وله
كتاب تاريخ اليمقوبى ، وفى القرن الثالث أيضا نجد ابن قتيبة الدينورى
المتوفى عام ٢٧٦ هـ وله كتاب الامامة والسياسة وعيرن الاخبار ومنهم
البلاذرى وكان شاعرا راوية ووسوس آخر أياها فشد فى البيمارستان
ومات فيه . (٢)

وفى القرن الرابع نجد من أشهر المؤرخين ابن جرير الطبرى ويعتبر
كتاباه (تاريخ الرسل والملوك) من أهم المصادر التاريخية الموثوق بها وأرخ
فيه منذ بدء الخليقة إلى عام ٣٠٢ هـ ، وقد وضع عريب بن سعد المتوفى عام
٢٣٦ هـ ذيلًا لتاريخ الطبرى وسماه « صلة تاريخ الطبرى » وكتب محمد بن عبد
المالك الهمداني المتوفى عام ٥٢١ هـ كتابا تم حوادثه التاريخية إلى عام ٤٨٧ هـ
وسماه تكملة تاريخ الطبرى .

ومن مؤرخى القرن الرابع أيضا سعيد بن البطريق عام ٢٢٨ هـ وترك

(١) نفس المصدر ص ١١

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٧

لنا كتاب التاريخ المجموع التحقيق والتصديق ومنهم ابن عبد روس المعروف بالجهشياري صاحب كتاب الوزراء والكتاب ومنهم أبو بكر الصولي وله كتاب الأوراق وهي مجموعة قيمة في الأدب والتاريخ . ويعتبر كتاب مروج الذهب ومبادئ الجوهر لعلی بن الحسین المسعودی من أهم المصادر التاريخية لهذا العصر وخاصة في الحياة الاجتماعية ويتناول الكلام على الحوادث التاريخية حتى عصره .

ونبع العرب في الطب ومن علماء الطب حنين بن اسحاق المتوفى عام ٢١٠ هـ وكان فاضلا في صناعة الطب فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية (١) . ومنهم يوحنا بن ماسويه أو يحيى بن ماسويه المتوفى عام ٢٤٣ هـ ونبع في عهد الوراق «ابن بختيروز» .

ووصف الأطباء في هذا العصر علاج النعم ولأسنان وجاء أبو يعقوب اسحق بن حنين وكان من أشهر أطباء عصره والمتوفى عام ٢٩٨ هـ وفي القرن الرابع فجد أبو سعيد شعبان بن ثابت بن قرّة المتوفى عام ٣٣١ هـ وأبو بكر محمد زكريا الرازي المتوفى عام ٣١١ هـ ويعرف عنه الأوربيين باسم RHAZY

ونبع العرب في الفلسفة وإذا كان الكندي من أشهر فلاسفة العرب فإن تلامذته مثل السرخسي المتوفى عام ٢٨٦ هـ وأبو معمر البلخي المتوفى عام ٢٧٢ هـ كانوا لها شهرة في الفلسفة ، ومن أشهر فلاسفة القرن الرابع الفارابي المتوفى عام ٣٣٦ هـ ، ونجد في هذا العصر طائفة (اخوان الصفا) وكانت ذات نزعة

شيوعية منطرفة حتى قبل انبعاث اسماعيلية وكان اخوان الصفا جماعة سرية وأولوا
 القرن آن تأويلا مجازيا وتركوا لنا (رسائل اخوان الصفا) ونبيخ العرب في ذلك
 العصر في علم الفلك والنجوم ومن أشهر علماء علم النجوم أبو جعفر بن محمد
 عمر البلخي وأبو عبد الله محمد بن جابر البنانى الحرانى الصائى المتوفى عام
 ٣١٩ هـ ومن أشهر كتبه كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك (١) .
 وفى الرياضيات اشتهر ثابت بن قرة الحرانى المتوفى عام ٢٨٨ هـ ومحمد
 بن محمد بن اسماعيل بن الصائى .

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٩٠

الحياة الاجتماعية في عصر ابن دريد

كانت الحياة الاجتماعية في القرن الثالث والرابع تختلف اختلافا كبيرا عن القرن الثاني ، فقد ظهر لما عثر عليه من جديد كان له أثر خطير في السياسة بل في القضاء على الدولة العباسية وهو عنصر الأتراك وكان المعتمد قد جلب عددا كبيرا منهم وكان المعتمد في حياته تركيا - في القوة والشجاعة والاعتداد بقوة الجسم وكان من الترك مسلمون ومنهم مجوس ووثنيون وعرفوا بالشجاعة والصبر على القتال كما عرفوا بخشونة البداهة وحافظ المعتمد على دمائهم فجلب لهم نساء من جنسهم زوجهن لهم . تميزا لدمائهم ومنعهم أن يتزوجوا من غير دم وولى الواثق عام ٢٢٨ هـ فاستأثر الترك على السلطنة وكان مما فعله المعتمد لاعتماده على الأتراك أن كتب إلى واليه على مصر (كيدر) يأمره بإسقاط من في الدواوين من العرب وقطع أعطيانهم .

وجاء المتوفى عام ٢٣٢ هـ وكان يميل إلى أهل السنة وأحس بالخطر من الترك ففكر في نقل الخلافة إلى دمشق ورحل عام ٢٤٣ - إلى دمشق ولكنه لم يستطع جوها فماد إلى سامرا وبعد أربع سنوات من عودته قتل الأتراك وكان ابنه المنتصر يشجع الترك على ذلك وأصبح الخليفة بعد المتوكل لعبة في أيدي الأتراك أو أقل من ذلك حتى قنع بالسكة والخطبة وأمر الترك المنتصر أن يخلع أخويه المعتز والمؤيد من الخلافة خوفا من انتقامهما للمتوكل وكان لذلك أثارها . وحاول المهتدي بعد ذلك التخلص من الأتراك لكنه لم ينجح وقتله الأتراك . على أن بعض الخلفاء أدركوا خطر هذا العنصر فاستعانوا بالمغاربة والفراغة وغيرهم من المرتزقة مثل الأكراد والقرامطة الذين بدأت تستعين بهم الدولة منذ أيام الرضا إلا أن الخلفاء العباسيين لم يسلخوا من خطر هذه العناصر والتي كانت تنضم إلى إمراء الإمارات تارة وإلى الخلفاء تارة أخرى .

وإلى جانب الترك كان هناك الفرس وهم وإن كانوا ذوو سطوة في العصر العباسي الأول لكنهم لم يهدأ لهم بال منذ رأوا الترك تحتل مراكزهم في الدولة العباسية وأخذوا ينسرون الدسائس ويدبون المؤتمرات ويحصنون أنفسهم بالرجال والسلاح ويرمون إلى اقتطاع البلاد والاستيلاء عليها ، و فاذا سنحت الفرصة فليستولوا على قري وعلى الخليفة وليتسلطوا عليه (١) ، ونجح الفرس في اقتطاع أجزاء من الدولة والاستيلاء عليها وأصبح الخليفة اسماً فقط لاحقاً ، فاستولى الطاهرية على خراسان (٥٥ - ٢٥٩ هـ) والصفارية على فارس (٢٥١ - ٢٩٠ هـ) والسامانية على فارس وماوراء النهر (٢١١ - ٢٨٩ هـ) والزيادية على جرجان (٢١٦ - ٤١٤ هـ) ثم بنو بويه الفارسية (٢١٠ - ٤٤٧ هـ) وهم أشد خطراً فاستولوا على فارس والرافق وأخضعوا الخليفة لأمرهم وسار معز الدولة من الأهواز إلى بغداد عام ٢٣٤ هـ ودخاها وخضع له المستكفي وقدر معز الدولة كل يوم ٥٠٠ درهم لخدمة واستطاع معز الدولة أن يقبض على المستكفي وأن يقيم مكانه المطيع لله ثم خلع المطيع نفسه وولى ابنه الطائع ويخضع الطائع لعضد الدولة البريهي واستطاع الطائع أن يتماق عضد الدولة وجرى خلاف بسيط بينهما ولكن عضد الدولة طمع في الخلافة لنسله فزوج الطائع ابنته ثم خلع الطائع ونزل للبويعيين عن كل شيء .

بجانب ذلك كله هناك النفوذ العربي وكان الخلفاء من عهد المعتصم قد أنصوهم من النفوذ لكما يجد قبائل مهاجرة إلى الشام والعراق قد استقرت واستطاعت أن تكون دويلات فكونت تغلب دولة الحمدانيين في الموصل وحلب (٣١٧-٣٩٤ هـ) وكونت قبيلة كلاب دولة المرداسيين في حلب (٤٢٤-٤٧٢ هـ) وكون بنو عقيل ،

العقيليون في ديار بكر والجزيرة (سنة ٢٨٦ - ٤٨٩هـ) لكن العرب رغم معكثهم
المدن لم يتخلوا عن بداوتهم واعتزازهم بها واحتفاهم لاهل الحضر وأهم دولة قامت
فيها العصبية العربية دولة بنى حمدان التغلبي ، التي حاربت العصبية التركية والفارسية
حتى أن الخليفة المقتى بالله احتفى بناصر الدولة بن حمدان وقلده إمرة الأمراء هو
وأخيه سيف الدولة ودخل ناصر الدولة بغداد في اجتماع عظيم .

وكانت طائفة الزنج والسوداء تذهب دورا كبيرا في الخلافة العباسية وكانوا
يحبون من سراحل إفريقيا الشرقية وكان هؤلاء السرد قوم أشداء ، وكان هناك
طائفة من الجنود من الزنج وخدم كثير منهم القصر ونبغ منهم كافور الاخشيدى
الذى ملك مصر والشام وكان من هؤلاء العبيد صنف من الخصيان وحاول آدم متر
أن يطعن على الإسلام عند حديثه عن الخصيان فقال : « وهذا دخل على الإسلام
حولى عام ٢٠٠هـ بسبب تقلص الروح العربية عادات شرقية قديمة رغم ما جاء به
النبي - عليه السلام - وشأنها من الإنكار والمنع الصريح وقد احتال المسلمون
للإفلات من حرمة منع الخصاء بأن كانوا يشترون الخصيان تاركين لليهود
والنصارى أشم هذا العمل الشنيع » . (١)

ويذكر المسعودى الأخبار عن الخصيان فيقول : « وقد أتينا على أخبار
الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصصون
كثيرا من أولادهم كفعل الروم بأولادهم ، وما اجمع عليه الخصيان من النصارى
وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو (٢) » .

وقد أدى كثرة الرقيق إلى قيام ثورة الزنج التي استمرت أكثر من أربع عشرة

(١) الحارة الإسلامية في القرن الرابع ، آدم متر ج ٢ ص ١١

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص ٢٤٧

مدينة وكثير ثراء الرقيقات اللاتي أصبح منهن مغنيات وارتفع ثمنهن وكان من طبقات الشعب في ذلك العصر أهل الذمة (النصارى واليهود) . وكان الاسلام أكثر الأديان السماوية تسامحا مع المخالفين له في الأديان وبخاصة أهل الكتاب وكانوا يعيشون في أمن واستقرار وقيّمون شعائرهم الدينية في سلام وكان الخليفة يعين بطريقا لهم بعمد خاص وكان يتمتع بنفوذ كبير من أبناء ملته ، وكان لليهود رئيس خاص يلقب أحيانا بالملك ويدفع له أبل ملته الخرائب فيأخذ نصفها ويرسل النصف الآخر إلى بيت المال ، وانتشرت أديرة النصارى في أنحاء المملكة وكانت غنية بمساكنها وخمورها وفي القرن الرابع اعترفت الدولة العباسية بالمجوس بجانب ذلك كان هناك بعض الروم الذين سبوا بعد الحروب التي انتصر فيها المسلمون وكان في بغداد دار الروم وكان لهم دير يسمى دير الروم وكنيسة على مذهب النسطورية .

وكان مسعودى المعيشة زمن بالتقرب من الخليفة أو الوزير أو من هو من عليه القوم وكانت قصور الخلفاء واسعة كل السعة وكانت دور بغداد وسامرا على مثال دور الفرس والروم وكانت مبنية بالآجر ومغطاة بالكلس وكانت قصور الخلفاء تشتمل على دور واسعة وقباب وأروقة وبساتين وانتشرت الحمامات الساخنة ، وفي القرن الرابع الهجري ظهرت من جديد فيما يتعلق بالمقابر عادة غير إسلامية وهي بناء الكبراء لأنفسهم وفي حياياتهم تربا ليدفونوا فيها وأول من فعل ذلك المقتدر وكذلك الراضى (م ٣٢٩ هـ) وكانت تشق الجيوب وتسمح الوجوه بمصر على الجنائز رغم نهى الاسلام عن ذلك ، (١)

وكانت أنواع التسمية في ذلك العصر الشطرنج والنرد وذكر لنا المسعودى

آلات الشطرنج فقال : وقد ذكر الناس من سلف وخلف أن جميع آلات الشطرنج على اختلاف هيئاتها ست صور لم يشهر في اللعب غيرها ثم أمه أخرى تسمى الجزارح امتحدثت في زماننا هذا وهي سبعة أبيات في ثمانية ، (٢)

وعرف النرد وكان يستعمل في اللعب به ثلاثون حجراً رقتان على رقعة رسم اثنا عشر منزلاً أو أربعة وعشرون منزلاً وكان من أحب أنواع التسلية عند الخلفاء والكبراء سباق الخليل وكانت السباحة والمصارعة من أهم أنواع التسلية عند العباسيين أيضاً يضاف إلى ذلك الصيد وقد ولى به الخلفاء والأمراء .

هذه هي الحالة السياسية والثقافية والاجتماعية في عصر ابن دريد ونستطيع أن نقول أن الحياة السياسية في العصر الذي نشأ فيه ابن دريد كانت مضطربة تموج بالثورات والفلاقل ، وقد استولى الترك على معظم السلطات وضعف شأن الخلافة ، وكان أبرز الثورات في ذلك العصر ثورة الزنج والبابكية ولا نستطيع أن نجد لابن دريد دوراً في الحياة السياسية في ذلك العصر بدليل أنه فر من البصرة بعد دخول الزنج البصرة وقتلوا امتهاده الرياشي . ولكننا نجد لابن دريد بعض الانتماءات السياسية في بلاد أخرى فهو يتصل بقومه في عمان ولكنه لا يتصل بعماركم بالمشاركة بل يكتبهم على أخذ الثأر بمن قتل منهم ، وهو يجد في فارس شهرة سياسية واسعة بعد أن ولى ابنه ميكال ديوان فارس . فكانت الكتب تصدر عن رأيه ، ولا ينفذ أمراً إلا بعد توقيعه . وفي الحياة الثقافية نجد لابن دريد شهرة واسعة في شعر ذو ديوان وإن كان يتميز بنوع خاص من الشعر واشتهر بمقصودته التي ابتدعتها وصارت مثلاً لغيره من الشعراء

سابقة لا ننكر له فضله . وفي النثر نجد النثر يتطور في ذلك العصر فقد ظهر
الجاحظ وأصبح النثر مدعماً بكتاب وفنون ويدل ابن دريد بدلوه في الدلاء
ويشهد له كثير من الباحثين المحدثين مثل دكتور زكي مبارك ودكتور مصطفى
الشكعة بأنه يرجع الفضل إليه في التمهيد لفن المقامة التي أرسى دعائمها بديع
الزمان الهمداني وعن الحياة الاجتماعية نجد أن ابن دريد كان بينه وبين كثير من
الناس عداوة ثم أحس أنه لم يأخذ مكانته في البصرة فكان يتحدث في كثير من
شعره عن الزمن وإخلاص الناس وقد خرج إلينا بكثير من الحكم الرائعة التي
إزدان بها شعره .

الفصل الثاني

حيه _____ آله

٩ - نبيه وأصله :

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهيه بن حنتم بن الحسن ابن حمامي بن جرو بن واسع بن سلمة بن جهم بن حاضر بن أسد بن غنم ، وينسب إلى قبيلة الازد ، أما لقبه دريد فهو تصغير أدرد والذرد الذي تحانت أسنانه ، والاثني درداء ومثل من أمثالهم ألين من الوقة الدرداء (١) ، وأما الازد فكانت تسكن مأرب ، فتنمقت فسكن بعضهم عمان منهم مالك بن فهم وكان أول من لحق بعمان من الازد وقد قاتل الفرس وانتصر ثم جاءت قبائل كثيرة من الازد ، (٢)

واقدم صارت العشيرة التي نبغ فيها ابن دريد من رؤساء أهل عمان وذوي اليسار منهم ولما صارت البصرة ممصرا وكان لها مكانة سياسية وتجارية وعلمية ارتبط أهل عمان بها وكان أهل ابن دريد من أولئك الذين ارتبطوا بالبصرة بل أنهم جعلوها موطن إقامة لهم .

ب - ولادته ونشأته :

ولد ابن دريد في البصرة بسكة صالح عام ثلاث وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم ، ولاخلاف بين المؤرخين حول ولادته بالبصرة واختلف أصحاب التراجم في نشأته ، قال ابن خلكان أنه نشأ بالبصرة وتعلم فيها (٣) وقال ابن النديم

(١) الاشتقاق . ابن دريد تحقيق عبد السلام هارون ص ٢٤٢

(٢) تحفة الاعيان في سيرة أهل عمان : للسالمي ج ١ ص ١٣٠

(٣) وفيات الاعيان : لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٨

ولد بالبصرة وقرأ على علمائها (١) وقال المرزباني (٢) والسمعاني (٣) والخطيب
البغدادى (٤) وابن النبارى (٥) أنه نشأ بعين .

ونستطيع أن نفسر هذا التناقض بين روايات المؤرخين بأن أله كانوا
دائماً الترحال بين البصرة و عمان ، فلعلمهم كانوا في البصرة حين ولد ابن دريد ثم
ارتحلوا إلى عمان وعاش طفولته هناك ولما صار أهلاً للعلم أقام بالبصرة مع عمه
الحسين ابن دريد ، ولا خلاف في تعليمه بالبصرة ، إذ كان معلمه لاول أبو عثمان
الاششانداني وقد روى ابن دريد عنه كتاب مهاني الشعر وكان الاششانداني من
جلسة علماء البصرة ومن خلال الصدوق لعنه .

أما عن طوالة ابن دريد فلا نعرف عنها شيئاً غير ما ذكر أنه نشأ برعاية عمه
الحسين ولا ندري لم تولاه برعايته ؟ وهل مات أبوه قبل أن ينضج ؟ أم لم يكن
لعنه ابن فستباه ؟ ولذلك رباه ، ونرجح أن عمه تفرس في ابن دريد مخايل
الذكاء وتمثل له مستقبلاً وظهر ذلك واضحاً في قصة ابن دريد التي حفظ فيها
ديوان الحارث بن حنظل في مدة غداه معلمه الاششانداني مع عمه كما سيأتى
أو أن أباه كان كثير الاولاد ولكن هذا الرأي يبعده أن أباه كان ثرياً ومن
ذوي اليسار .

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٧

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٦٩

(٣) الانساب للسمعاني ص ١٢٦

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٣ ص ١٩٥

(٥) نزهة الالباء في طبقات الادباء : ابن النبارى ص ٣٢٠

٥ - طلبه العلم ، رحلته ، شيوخه :

نأدب ابن دريد بالبصرة ، قرأ على علمائها ، طلب اللغة والادب والشعر وظهر نبوغه وقوة حفظه مبكرا وكان عمه قد عهد إلى ابن عثمان الاشمانداني بتربيته وقد ذكر ياقوت في معجم الابهاء (١) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢) والوزير جمال الدين القفطي في انباء الرواه (٣) على انباء النجاء قصة طريقه تبين قوة حفظه وهي « قال ابن دريد كان أبو عثمان الاشمانداني معلما وكان عمي الحسين بن دريد يتولى تربيتي فاذا أراد الاكل استدعى أبا عثمان يأكل معه فدخل عمي يوما وأبو عثمان المعلم يروي قصيدة الحارث بن حلزة التي أولها :

أذنتنا بدينها أسماء رب ثاو يمل منه التواء

فقال له عمي : إذا حفظت هذه القصيدة وهبت له كذا وكذا ثم دعا بالمعلم يأكل معه فدخل اليه فأكلا وتحدثا بعد الاكل ساعة قال فإلى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلزة بأسره فخرج المعلم فعرفته بذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره على فرجـدني قد حفظته فدخل الزعمي فأخبره فأعطاني ما كان وعدني به .

كان ابن دريد واسع الحفظ ، قال « أحمد بن يوسف الأزرق انه لم ير أحفظ

(١) معجم الابهاء : ياقوت الحموي : نشر د . الرفاعي ج ٦ ص ٤٨٥

(٢) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ج ٢ ص ١١٦

(٣) انباء الرواه على انباء النجاء : جمال الدين القفطي وتحقيق محمد أبو الفضل

منه، كان قرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسبق إلى إتمامها ويحفظها (١) ويذكر جمال القفطى ، وكان أبو بكر واسع الرواية ما رأى الرواة احفظ منه وكان يقرأ عليه دواوين العرب فيسبق إلى إتمامها بالحفظ لها (٢) ، وقد كتب ابن دريد كتابا سماه ماسئل عنه انظرا فأجاب عنه حفظا ويدل قوة حفظه ما ذكره المؤرخون ، إنه أملى ابن دريد الجهره في فارس ثم أملاها بالبصرة و ببغداد من حفظه ، (٣) ونراه في شيخوخته ومو ابن أربع وسبعين منه (يملئ كتاب الجهره من أوله إلى آخره حفظا لا يستعين في شيء من الكتب إلا في باب الهزجة ، فإنه طالع له بعض الكتب ، (٤) ويقال كان ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء (٥) .

د - شيوخه : (١) عمه الحسين بن دريد

تولى عمه تربيته منذ الصغر وتعهده للاشتغال بالدين بتعليمه وروى ابن دريد عن عمه كتاب مسالمات الاشراف ولم يصلنا هذا الكتاب ، ويظن المستشرق د . كرينكو أن الكتاب إما من مؤلفات المدائني أو ابن الكلبي ، وكان الحسين راوية لابن الكلبي (٦) .

(١) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٤٥

(٢) أنباء الرواة على أبناء الحجة جمال الدين القفطى ج ٣ ص ٩٢

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطى ص ٣٠

(٤) معجم الادباء : ياقوت الحمزي ج ٦ ص ٩٠ والمزهر : جلال الدين

السيوطى ج ١ ص ٥٨

(٥) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٤٥

(٦) ديوان ابن دريد هامش ص ٤

ويذكر ابن النديم عنه وسماء الحسن بن محمد وهو خطأ والصواب الحسين بن دريد كما ذكرته معظم كتب الطبقات .

(٢) أبو عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني :

وكان الاشنانداني شيخ ابن دريد الأول ومؤدبه ويذكر ابن النديم الاشنانداني باختصار ويكنيه أبا عثمان ويقول « ومثل الاشنانداني ويكنى أبا عثمان روى عنه أبو بكر ابن دريد ولقيه بالبصرة وله من الكتب معاني الشعر وكتاب الأبيات ، (١) . وذكره ابن النديم في موضع آخر ر في من جمع بين المذهبين (٢) .

أما كتاب معاني الشعر الذي رواه ابن دريد عن أبي عثمان لاشنانداني فهو مجموعة من الأسعار التي ألفها المتقدمون واختيرت من جيد الشعر القديم وهو يشرح هذه المختارات ويظهر الخفي من معانيها . ويسمى اللفظ الغريب تفسيراً رائعاً فالكتاب بداية التأليف في شرح الأبيات وبيان معانيها ، وقد طبع الكتاب طبعات وأهمها طبعة دمشق التي حققها عز الدين التنوخي وجعل لها ذيلاً ، ومن نماذج الكتاب الشاهد الأول قال أبو بكر محمد بن دريد الأزدي أنشدني أبو عثمان الاشنانداني سعيد بن هارون قال

وشعنا غبراء الفروع متينة بها ترصف الحسناء أو هي أجل
دعوت بها أبناء ليل كأنهم وقد أبصروها معطشون قد أنهلوا

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٥

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٣٩

وقال أبو عثمان : يصف زاراً جعلها شعثاء لتفرق أعاليها كأنها شعثاء الرأس وغبراء. يعنى غـبرة الدخان وقوله (تصف الحسناء) فإن العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شعبة نار. وكأنها بيضة فى روضة يقول بها توصف الحسناء أو هى أجمل حسناً منها والمنيفة المشرفة والعطش الذى عطشت أبله . وقد دعوت بها أبناء ليل يعنى أحياناً دعاهم ضوئها فلما رأوا كأنهم من السرور بها معطشون قد أوردوا أبلهم (١) ،

ونموذج آخر وهو الشاهد الرابع عشر :

قال أبو بكر محمد بن دريد أنشدنى أبو عثمان الأشناندانى سعيد بن هرون
قـال :

قاسمت جنان الفلاة فنتهم	بمهجة واستبدوا لصاحبى
ولم احتمل عارا ولكل نجدة	عذارى شفيق النفس بين السباب

صاحبه يعنى قومه ، يقول قاسمت الجن فنتهم بمنشى وتركت لهم النوم
وليس بعار تركى النوم كما أنه عار أن أترك صاحبنى ولكنها نجدة يريد أن النوم
ليس بفعله . (٢)

(٣) أبو حاتم السجستاني

كان أبو حاتم من علماء اللغة فى القرن الثالث وكان كثير الرواية عن أبي زيد
وأبى عبيدة والأصمعى عالماً باللغة والشعر « واعتمد عليه ابن دريد اعتماداً كبيراً

(١) معانى الشعر لآبى عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى تحقيق عز الدين
التنوخى ص ٤

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠

في تعلمه علوم اللغة وروى عنه كثيراً . وكان كثير التأليف للكتب في اللغة ويتول الشعر صادق الرواية . وكان يتبحر في الكتب ويخرج المعنى حاذق بذلك دقيق النظر فيه « (١) ، وذكر له ابن الديم - والى أربعين - مؤلفاً في اللغة والقراءات ومنها كتب ما يباحن فيه العامة والمذكور والمؤنث والمقصود والممدود ، وكتب القراءات وكتاب الادغام ، وكتاب اختلاف المصاحف وكتاب الفصاحة « (٢) ويذكر ياقوت عنه « كان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر أخذ عن أبي زيد والاصمعي وأبي عبيدة وغيرهم وكان حسن العلم بالعروض وقرل الشعر الجيد وله كتاب في الفصاحة « (٣)

(١) أبو الفضل الاصمعي بن النرج الرياشي

كان أبو الفضل مولى محمد بن سليمان بن علي الهاشمي وكان عبداً للرجل يسمى رياش فلما اعتق بقي نسبه إلى رياش ، وأخذ عن الاصمعي وكان يحفظ كتبه وكتب إلى زيد الانصاري كتاباً (٤) وقد قتل الرياشي في فتنة الزنج حينما دخلوا البصرة وتوفي عام ٢٥٧ هـ .

(٥) عبد الرحمن بن أخى الاصمعي :

يكنى أبا محمد وقيل يكنى أبا الحسن وكان من الثملاء ثقة فيما يرويه عن عمه

(١) الفهرست لابن النديم ص ٨٢

(٢) معجم ياقوت (معجم الادباء) ج ٦ ص ٦٨

(٣) معجم الادباء لياقوت ج ١٢ ص ٤٤

(٤) النثر الثماني في القرن الرابع د . زكي مبارك ج ١ ص ٣٠٣

وعن غيره من العلماء ولا من الكتب كتاب معاني الشعر . ويذكر دكتور زكي مبارك أن «دكتور طه حسين» يرتاب في رواية ابن دريد عن ابن أخي الأصمعي وكان يرى في كلمة ابن أخي الأصمعي مثارا للشك (١)، ولم يذكر دكتور زكي مبارك المصدر الذي استقى منه كلام الدكتور طه حسين ، ويرد على شكه هذا بأن رواه العرب كانوا يستعملون . مثل هذا التعبير مثل الأصفهاني ينقل «حدثني أبو مسلم عن ابن أخي رزمان وقال ياقوت «قال أبو جيان وكان يختلف إلى مجلس ابن سعد على بن المستنير وكان هذا ابن بنت قطرب » . (٢)

ويذكر الدكتور زكي مبارك (٣) أن هناك رجلا يسمى أحمد بن حاتم يدعى أنه ابن إخت الأصمعي وهو متهم في رواية رغم أن ابن النديم (٤) يذكر عنه أنه روى عن الأصمعي بلا إتهام ويحمل القول فإن ابن أخي الأصمعي متهم ولذلك فإن ابن دريد متهم في روايته عن ابن أخي الأصمعي . .

(٦) العتبي :

كان من أفسح الناس وكان شاعرا وله كتب الخيل والأعاريب وأشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن وكتاب الأخلاق ونوفي عام ٢٢٨ هـ (٥) وبالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ تنبذ ابن دريد أيضا لاسكن بن سعيد الجرموذي

(١) النثر الفني في القرن الرابع : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٠٣

(٢) معجم الأدباء : ياقوت ج ٦ ص ٦٨

(٣) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٣٠٥

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٨٩

(٥) نفس المصدر السابق ص ١٨٢

والفضل أو المفضل بن محمد بن الحلاف وحامد بن طرفة والزيادي وأبي جنكان
المزني الشاعر والغنوي والحسن بن خضر والتمكلي وأبي عمران الكلاف .

رحلات ابن دريد:

اعتنى المؤرخون بذكر رحلات ابن دريد لأن لها نتائج دامة في حياته .
وأثرت هذه الرحلات في شخصية ابن دريد وأهم رحلة له رحلته إلى فارس التي
مكثته مركزاً وسلطة لدى ابني ميكال ونجده يؤاف في هذه الرحلة أهم مؤلفاته
الجمهرة ويمدح ابني ميكال بمقتصر ربه المشهورة ولم يتفق أصحاب الطبقات في عدد
هذه الرحلات . قال المرزبانى « نشأ بهمان ثم تنقل في جزائر البحر وفارس ثم
ورد مدينة السلام (١) ، وقال الخطيب البغدادي : « نشأ بهمان وتنقل في جزائر
البحر والبصرة وفارس وورد بغداد ، (٢) وقال جلال الدين السيوطي « ثم صار
إلى عمان فأقام بها إلى أن مات » (٣) ، وقال ياقوت الحموي : « ثم صار إلى عمان
ثم صار إلى جزيرة ابن عمر ثم صار إلى فارس ثم قدم بغداد » (٤) وقال ابن النديم
وأقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ثم صار إلى جزيرة ابن عمر فسكنها
مدة ثم صار إلى فارس فمقطنها ثم صار إلى بغداد فنزلها » (٥) ، وقال ابن خلكان
« ثم انتقل عن البصرة عند ظهور الزنج وسكن عمان ثم صار إلى البصرة وسكنها

(١) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦١

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٩٥

(٣) بغية الوعاة لجلال الدين السيوطي ص ٢

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ٦ ص ٤٦٤

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٩٤

زماناً ثم خرج إلى نواحي فارس ثم وصل بغداد ، (١)

اتخذ ابن دريد البصرة مستقراً لأهميتها العلمية فبعد زيارته بعمان يرجع إلى البصرة أن يملك هناك — إن أ، وقعت فتنة لزنج وكانت من أعظم الحوادث الإسلامية في ذلك العصر ، وقد تمهّدا عنها في الحياة السياسية — لند رأياهم يغيرون على البلاد الإسلامية ويخربونها ولم تسلم البصرة من تحريبيهم فدخلوها عام ٢٥٧ للهجرة فخرّبوها وقتلوا الرياشي وكان استاذاً لابن دريد وكان عمر ابن دريد حينذاك أربعاً وثلاثين سنة وكان عمه حياً فانتقلا إلى وطنها عمان وأقام بها ابن دريد اثنتي عشرة سنة وتنقل ابن دريد في جزيرتي البحر وجزر ابن عمر ، ولما انتقضت فتنة لزنج رجع إليها وبقي هناك إلى أن قلد المقتدر بالله عبد الله بن محمد بن ميكال الأعمال بكرر الأهواز فغضم إليه ابنه اسماعيل أبا العباس الميكالي وطلب ابن دريد لتأديبه فرجل ابن دريد إلى الأهواز لتأديبه ، وهذه أهم الفترات في حياة ابن دريد ، فقد نال المنزلة العليا في فارس وقلدة الميكالي ديوان فارس وعمل لها كتاب الجهرة وقلده ديوان فارس فكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمراً إلا بعد توقيعه فأفاد معها أموالاً عظيمة وكان لا يمكك دزها مخاء كرما ومدحها بمصداقه المتصورة فوصله بعشرة آلاف درهم ، (٢)

ويتضح من مقام ابن دريد في فارس إنه كان يعامل معاملة العلماء ذوي المكانة العالية ، فقد أصبح عالماً لغوياً له شأنه بين العلماء ونجد ابن دريد يرجع

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٩٨

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبيد الحق بن العماد

الجبلي ج ١ ص ٢٨٩

إلى البصرة وقد مات عبد الله ولم يقبل ابنه اسماعيل العمالة ورجع إلى خراسان ونيسابور فرجع ابن دريد إلى بغداد عام ثمان وثلاثائه ولما وصل إلى بغداد أنزله على بن محمد الخوارى في جواره وأفضل عليه وعرف الإمام المقتدر بالله خبره ومكانه من العلم فأمر بأن يجرى عليه خمسون ديناراً كل شهر ولم تنزل جارية عليه إلى حين وفاته .

شخصيته العلمية

شارك ابن دريد مشاركة فعالة في ارساء علوم اللغة في البصرة وكانت النهضة اللغوية قد أنت ثمارها فمال ابن دريد شهرة عريضة بين المعاصرين والمتأخرين . اشترك ابن دريد بعد أن تضحج علمياً في التأليف المبكر للغة والمعاجم فألف في الرسائل التي مهدت لظهور فن المعاجم ، مثل غريب الحديث ، وغريب القرآن ، ولغات القرآن ، والخيل الصغير والخيل الكبير وقد وصلتنا من تأليفه المبكرة كتاباً صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث وله مؤلف مخطوط هو اخبار ابن دريد كتبه النقيطة بخطه ، وكانت شخصيته العلمية تتميز بقوة الحفظ وكان منهجه العلمي يقوم على الرواية تارة وعلى التعاليم تارة كان يكتب روايته عن أصابته أو يكتب ليتعلم شباب العرب لغتهم ورغم ذلك فقد اتهمه كثيرون بأنه كان يتسامح في الرواية (وقيل أنه كان يتسامح في الرواية عن المشايخ فيستند إلى كل واحد ما يخطر له) (١)

وكان الازهرى من أولئك الذين هاجوا ابن دريد في شخصيته العلمية

(١) أنباء الرواه على أنباء النحاه . جمال الدين القفطى تحقيق محمد أبو الفضل

وأنهم بافتعال العربية فقال وقد ذكر ابن دريد في طبقة غير الثقات . « ومن ألف في عصرنا مكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجهرة وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الملاحن ، (١) . وسنحاول أن نناقش هذه التهمة عند حديثنا عن كتاب الجهرة .

وكال لابن دريد مجلس علمية أدبية تجمع الأدباء والعلماء . ومن هذه المجالس ما حكى عن الرصافي عن بعض أصحابه قال حضرت مجلس ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر :

هجرتك لا قلى منى ولكن	رأيت بقاء ودك في الصدود
كهمجر الحائضات الورد لما	رأت أن المنيعة الورد
تفيض نفوسها ظمأ وتخشى	حماما فهي تنظر من بعيد

فقال في الحائض الذي يدور حول الماء ولا يصل إليه ، يقال حمام يحرم حياماً ومعنى الشعر أن الإبل تأكل الأفاعى في الصيف فتحمى فتلتهب بحرارتها وتطلب الماء فاذا وقعت عليه امتنعت من شربه وحامت حول نفسه . ولأنها أى شربته في تلك الحال صالفة الماء السام الذي في جوفها فتفت ، فلا تزال تدفع بشرب الماء حتى يطول بها الزمان فيسكن ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها ، ويقال فاض الميت وفاضت نفسه وفاضت أيضاً جائز عند الجميع الأصمعي (٢) ،

(١) تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى تحقيق عبد السلام هارون ص ٣١ المقدمة

(٢) معجم الأدباء : ياقوت الحموى : الجزء السادس ص ٤٩١ و ٤٩٢ طبعة د . الرفاعي

ومنها ما حكى عن السيرفي قال : حضرت مجلس أبي بكر بن دريد ولم يكن يعرفني قبل ذلك فجلست فأشدد أحد الحاضرين بيتين يعزيان لسيدنا آدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض تغير قبيح
تغير كل ذي حسن وطيب وقل بشاشة الوجه القبيح

قال ابن دريد أن هذا الشعر قد قيل قديما وجار فيه الاقواء فقلت : أن له وجها يخرجها عن الاقواء . نصب بشاشة وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين فيكون بهذا التقدير نكرة منتصبة على التمييز ، ثم رفع الوجه بالناد وقل اليه فيصير اللفظ « وقل بشاشة الوجه المالح » قال فرقة في حتى أقعدني جنبه ، (١)

وقد تلعب د . زكي مبارك هذه الرواية واعتبرها سذاجة مطبقة واتهم ابن دريد بأنه على سوء علمه وقوة ذكائه كان يطمئن إلى بعض الحقائق المزيقة التي يتداولها الناس « وفي سذاجة مطبقة أن يظن أن آدم كان يتكلم العربية حتى يؤخذ عليه أنه أول من وقع في الاقواء » (٢)

وقيل في مجاسه : (٣)

من يكن للظباء طالب حديد قهليسه بمجلس ابن دريد
أن فيه لاوجها فيدتنى عن طالب العلي بأوثق قيد

-
- (١) طبقات الشافعية : للسبكي ج ٢ ص ١٤٥ أو ١٤٦
(٢) النثر الثني في القرن الرابع ج ١ ص ٣٠٤ . د . زكي مبارك
(٣) بقية الرواة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٣٠

وذكر السيوطي أيضا في البغية (١) قال ابن خالويه في شرح المقصورة كان
بغداد عياد ابن عمر ابن الحائس الكرمانى صاحب لغة وكان يطعن على ابن دريد
ونقض عليه الجهرة فجاء غلام لابن دريد فجلس بمحذاته في الجامع ونقض على
الكرمانى جميع ما انفضه على ابن دريد فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم قال
أبو بكر بن دريد أعزه الله تعالى عننت الفرس إذا حبسته بناناه فإن حبسته
بمقوده فليس بمعن . قال الكرمانى الجاهل اخطأ ابن دريد لأنه إن كان من عننت
فيجب أن يكون معنونا وإن كان من اعنت فيجب أن يكون معنا وأخطأ لكذا
وكذا فوق شاعر على الخلقة فقال اكتبوا :

اذلت كرمان وعرضتها	لجفيل مثل عديده الحصى
وإبن دريد غرة فيهم	في بحره مثلك كم غوصا
جثا على الركبة حتى إذا	أحس نزرا قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها	لأصفعن هامته بالعصا

فلم يلتفت إلى الكرمانى بعد ذلك .

ويذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢) . حدثني علي بن محمد بن نصر
قال سمعت أبا بكر الأهرى المالكي يقول : جلست إلى جنب ابن دريد وهو
يحدث ومعه جزء فيه (١٠) قال الأصمعي فكان يقول في واحد حدثنا الرياشي
وفي آخر حدثنا أبو حاتم وفي آخر حدثنا ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي يقول
كما يجيء على قابه .

(١) المصدر السابق ص ٣١

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٩٥

أما شخصيته العلمية الرائعة فتظهر بتأليفه معجم الجهرة وهو أهم أعماله العلمية وتظهر فيه شخصيته التي تتميز بقوة الحفظ وملكة اللغة وحب تعلمها فقد أملى الجهرة من حفظه مرات فقد قيل دوله من الكتب كتاب الجهرة في علم اللغة يخلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه بفارس وأملاه ببغداد من حفظه فلما اختلف الأملاء زاد ونقص ولما أملاه بفارس على غلامه تعلم من أول الكتاب، (١) وقيل أيضا « قال بعضهم أملى ابن دريد الجهرة من حفظه سنة ٢٩٧هـ فاستعان عليها بالظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة واللفيف (٢) » ، وكانت هذه المجالس لها تأثير كبير قيمن التفوا حول ابن دريد ويكنى أن يكون بين تلاميذ ابن دريد مشاهير العلماء مثل أبي علي القالي تلميذه الأول وأبي علي الفارسي والأصفهاني صاحب الاغانى والآمدى وابن خالويه .

وكان ابن دريد شاعراً وكان شاعراً كثيراً بارعاً ابتكر في شعره ويقال عنه أنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، يقول المسعودى في مروج الذهب « وكان ممن برع في زماننا هذا في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين وكان يذهب في الشعر كل مذهب فطوراً يحزل وطوراً يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو يأتي عليه كتابنا هذا (٣) » .

وقال أبو الطيب اللغوى في مراتب الحويين « وكان أحفظ الناس وأوسعهم

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٨

(٢) المزهري للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين ج ١ ص ٩٢

(٣) مروج الذهب ومعادن الجواهر لعلي بن الحسين المسعودى ج ٤ ص ٢٢

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

علما وأقدرهم على الشعر وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامها في صدر
خلف الأحمر وابي بكر بن دريد (١)، غير أن الدكتور زكي مبارك يرى «أن
ابن دريد كان شاعراً مقلداً تحفظ له الأبيات والمقطوعات وبعض القصائد ولكن
كان يسكب روحه فيها ينظمه من الشعر فتسرى موانيه قوية سحابة بلا جادة
ولاضر ضاء كما تنفلج الجنون النواصير بألباب الشعراء» (٢)

وقد ترك لنا ابن دريد من آثاره الشعرية ديوانه المطبوع وقصيدته المشهورة
المقصورة التي اشتملت على أكثر المقصور وهي من أحسن شعره وذكر فيها من
الحكم والأمثال وحالته مع الزمن واحداً تاريخية تبين مواقف بعض العظماء من
الزمن. وهناك أشعار أخرى متناثرة في كتب الأدب المختلفة وأهمها كتاب الأمل
لابي علي القائي الذي يروي أكثر رواياته عن ابن دريد ويذكر كثيراً من شعره
وكتاب أمالي الزجاجي الذي ذكر له قصيدته وشرحها وكتاب أدب الدنيا والدين
للبارودي وغير ذلك من الكتب الأدبية. أما الديوان فقد طبعته لجنة التأليف في
مصر وحققه محمد بدر الدين العلوي وجمع شعره من الكتب الأدبية ويرى المحقق
أن ابن دريد لم يكن شاعراً من حيث صناعته بل كان ينظم الشعر كلما بعثته
باعثة من قريحة الدح أو الهجو أو غير ذلك فكان شعره زينة المصدر بالمعنى
الحقيقي» (٣).

وقد نظم ابن دريد الشعر وعمره عشرون عاماً وكان يجمع في شعره كثيراً

(١) مراتب النحويين لأبي طييب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل ص ٨

(٢) النثر الغني في القرن الرابع الهجري دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٧٨

(٣) مقدمة الديوان ص ٢٢ (ديوان ابن دريد)

من أغراضه فتميمه النسب والمدح والحماسة والهجاء والوعظ ويستعمل أحيانا
الاسلوب السهل وأحيانا أخرى يظهر كما له في الدقائق اللغوية .

أما المقصورة والتي مدح بها ابنى ميكال والتي ذاعت على مر الزمن
وعارضها كثيرون كان آخرهم الشيخ رشيد رضا في مقصوده وأول قصيدة ابن دريد
المقصورة في رواية أبي اسحاق ابن مخلد :

ياظبية أشبه شىء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقى

وكثير من الروايات تجعل أول المقصورة :

أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

ولهذه المقصورة شروح كثيرة « شرحها تلميذه ابن خالويه والتبريزى
والجوالقى وابن هشام اللخمي والزحشرى ونحست المقصوده ، خمسها سعد بن علي
الاربلى وعبد الله ابن عمر الأبارى والحسين محمد بن الملا جرجيس وهناك تخمين
للمقصورة من نظم مجد الدين اسد بن أحمد بن يعلى الأربلى ، (١)

وعارضه في المقصورة جماعة من الشعراء منهم التنوخي الانطاكي وأول
مقصوده .

لولا نتهائى ولم أطع نهى النهى أى مدى يغلب من جاز المدى
وعارضه أبو الحسن حازم بن محمد بن خلف بن حازم الاندلسى المتوفى عام
٦٨٤ هـ وآخر من عارضه رشيد رضا وأول مقصوده :

(١) تاريخ الأدب العربى : كارل بروكلمان ترجمة عبد الحلیم النجار ج ٢

تبارك الباريء مبدع الورى بالحق والحلم عن ظر غنى

ونستطيع أن نقول أن ابن دريد أول من ابتدع فن المقصورة رغم ما يذكره
المسعودى فى مروج الذهب حين قال « وقد سبق إلى المقصورة أبو المقاتل نصر
بن نصير الحلوانى بن زيد انداعى الحسمى بطبرستان بقوله :

ققا خلى على تلك الربى وسائلها أبى هاتيك الربى (١)

ويزد على رأى المسعودى ونقول أن تصيدة الحلوانى لم تكن مقصورة كاملة
ولم يسر بها الركبان مثلما سارت مقصورة ابن دريد .

ويقال أن أول شعر له (٢) :

ثوب الشباب على اليوم بهجته وسوف تنزعه عنى يد الكبر
أنا ابن عشرين مازادت ولا نقصت أنا ابن عشرين من شيب على خمار

ومن شعره الجمل الذى يتضح فيه التصوير الجميل والخيال الرقيق وقد خرج
يريد عمان فنزل تحت نخلة فإذا فاختان تزقوان فى فرعها فقال (٣) :

أقول لورقوين فى فرع نخلة وقد غفل الامساء أو جنح العصر
وقد بسطت هاتا لتلك جناحها ومال على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة وما دب فى تشيتت شملكما الدهر
فلم أر مثلى قطع الشرق قابله على أنه يحكى قساوته الصخر

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص ٣٢٠

(٢) ديوان ابن دريد ١٦٨ وانظر أيضا معجم الادباء لياقوت ج ٨ ص ٤٨٤

وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦

(٣) ديوان ابن دريد ٩٦

وهي أبيات تفيض بالرفق والحنان ، وتمثل انشلاف الطير ارق تمثيل
ولا يعرف قيمتها إلا من ألف صناعة الطير في صحوات الربيع ، ومن شعر
ابن دريد هذان البيتان (١) .

عائقت منه وقد مال العباس به والكأس تقسم سكرًا بين جلاس
ريحانه ضمخت بالمسك ناضرة تمج بدر الندى في حر انفاس

وفي هذين البيتين صورة شعرية جذابة ويعتبر البيت الثاني وثبة من وثبات
الخيال .

وتحدث ابن دريد في شعره عن قومه من أهل عمان ، وكانت عاطفته تنزع
إلى موطنه الأول ونجد من شعره قصيدتين تتعلق بسياسة عمان الداخلية وهما
يتحدثان عن وقعة الروضة وهي الوقعة التي قتل فيها رجال من ولد مالك بن فهم
ومو أحد أجداد ابن دريد وقد تحدث عنها السالمى في تحفة الأعيان (٢) ، وهي
بإيجاز أن جماعة من اليمن أرادوا عزل راشد بن النضر منهم فهم بن واث الكلابى
ومصعب وأبو خاله ابنهما سليمان الكلبىان وكاتباً مسلماً واحمد بن عيسى بن سلمة
وسألهم أن يبايعا لهما فى الباطنية من الهتيك بن بنى عمران ومن كان على رأسهم
من ولد مالك بن فهم وخرجوا جميعاً وأخذوا طريق الجبل يريدان عزل راشد
بن النضر وكان الخبر قد اتصل به فلما صاروا بالروضة بالقرب من تنوف من
حدود الجوف وجه إليهم راشد السرايا والجيوش فكبسهم بالروضة من تنوف
فوقعت عليهم وقعة شديدة .

(١) ديوان ابن دريد ٧٠

(٢) تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان للسالمى ج ١

يقول ابن دريد في القصيدة الأولى (١) يعير قومه من ولد مالك بن فهم
ويحرضهم على أخذ ثار من قتل منهم بالروضة :

وله ناب وخطب جليل	بل رزايا لمن عيبه ثقیل
بل غرام مباده بل دهاير	س عظام وقوعهن وبيل
أن بالقاع سن تنوف محلا	ليس للمكرمات عنه حويل

ويقول فيها :

أفليل عديدكم فتقولوا	إنسا في الوغى نغير قليل
أم ضماف عند ثاركم فتلدوا	مشرب الذل والضعيف ذليل
أم نساء ينعمى لمن بهول	إن ستر المحصنات البهول

ويخاطب جماعة من قومه فيقول :

يا سليمان حرد العزم قدما	تدرك الوتر منجدا وهو نول
يا فراهيد أنت نجم المساعى	انتم العدة الحياة النصول

أما القصيدة الثانية (٢) فقال يرثى من قتل من قومه في وقعة الروضة بتنوف
من اليمن وغيرهم .

انما ثارت قداح المنايا	يوم حازت خصاها بتنوفا
يوم قالت للردى استقص حظى	يوم لم تعطف إلا الشريفا

(١) ديوان ابن دريد ١٠١ وتحدث عنها السالمى في تحفة الأعيان ج ١ وذكر
أنها محرقة في أغلب المصادر .

(٢) الديوان ٨٢

ومن اغراض الشعر التي اشترك فيها ابن دريد الرثاء والهجوم فن الرثاء
قصيدتان يرثى في الاولى الإمام الشافعي وفي الثانية يؤنبه ، قال يرثى الإمام
الشافعي (١)

بما فتيه للأييب طوالع ذوائد عن ورد النصيبي روادع
تصرفته طوع العنان وربما دعاه الصبا فافتاده وهو طالع
ويقول فيها :

لرأى ابن ادريس بن عم محمد ضياء اذا أظلم الخطب ساطع
إذا المعضلات المشكلات تشابها سما منه نور في دجائن لامع
أبى الله إلا رفعه وعلوه ولبس لما يعليه ذو العرش واسع
وأبن الإمام الشافعي فقال : (٢)

واذا قرأت كلامه قدرته سحبات أو يوفى دلي سحبان
لو كان شاعده معد خاطبا وذوو النصيحة من بنى قحطان

ومن فترن شعره ما قاله في اخلاق تناس (٣) وقد أجاد :

أرى الناس قد أغروا ببغى وريية وغى اذا ما ميز الناس عاقل
وقد لزموا عنى الخلاف فكاهم إلى نحر ما عاب الخليفة ما نل
إذا ما رأوا خيراً رموه بظمة وان عاينوا شراً فكل مناضل

وقد هجا ابن دريد من عاداه فقال يعرض بالباهلى اللغوى وهى قصيدة

(١) الديوان ٧٧

(٢) ديوان ابن دريد ١٩ وطبقات الشافعية للسجكي ج ٢ ص ١٤٦

(٣) الديوان ٩٩

تمتلىء بالغريب (١) يقول فيها :

ديار الحى بالرس إلى العمرين ، فالابرق
كرجع النقش فى الطرس إذا نمتق لم ينمق
ويقول فيها :

وما الكهدل فى الخبيء عل والكافر فى اليملق
وما الاسناخ فى الارعا ظ ولارصاف اذ يلزق
وما النعو وما البغو وما المعو إذا يغرق
وما البعل وما الجعل وما الجبار اذ نتق
وما الجامور والساجو ر فى السكة فالزردق

ونظرة واحدة إلى ألفاظ هذه القصيدة مثل الكهدل والنبو والجامور... الخ نجد أنها كلمات غريبة تحتاج إلى شرح مطول .

ومن حكمه ما ذكره البلوى فى كتابه ألف باء (٢) « ومن أمثالهم من جهل شيئاً عاداه » وفى ذلك يقول ابن دريد :

جهلت فعاديت العلوم وأعلمها كذلك يعارض العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى أن يرى متصوراً ويكره لا أدرى أصيبت مقاتله
وقد ذكر الزجاجى فى أماليه (٣) هذه القصيدة الجميلة فيقول :

(١) ديوان ابن دريد ٨٧

(٢) ألف باء : أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى ص ١٩

(٣) أمالى الزجاجى : عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى تحقيق عبد السلام هارون

أعن الشمس عشاء كشفت آتاك السجوف
أم عن البدر ترمى موهنا ذلك النضيف

والزجاجي تخليق على العصيدة رذكر شرح مفرداتها .

ومن شعره أيضا في الوصف الرائع (١) :

غراء لو جلت الحدود شعاعها للشمس عند طلوعها لم تشرق
غمصن على دهن تأود فوفه قمر تالق تحت ليل مطبق
لو قيل للحسن احتكم لم عدها أو قيل خاطب غير ما لم ينطق

وقال في وصف الخمر (٢) :

وحمراء قبل المزج صغسراء بعده أتت بين ثربي فوجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق قبل مزاجها فلها مزجناها حكمت خد عاشق

ورغم أن بعض المصادر لا تذكر دذين البيتين لابن دريد فمعجم الأدباء (٣) ينسبهما لأبي ناجية كذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان (٤) ينسبهما إلى أبي ناجية ولكننا نعتقد أنها لابن دريد وخاصة أنه كان يشرب الخمر أو كان ممتها بشربها . أما أبو علي القالي فيذكر في أماليه نماذج من شعر ابن دريد وكتاب الأمالي لأبي علي القالي مصدر أساسي لاختبار ابن دريد وأثير روايات القالي عن ابن دريد

(١) نهاية الإرب : للسوري ج ٢ ص ٩٩

(٢) ديوان ابن دريد ٨٦

(٣) معجم الأدباء : ياقوت ٤٨٧ ج ٦

(٤) الوفيات ج ١ ص ٤٩٩

وذكر أبو علي القالي عن شعر ابن دريد في أماليه : (١)

قلب تقطع فاستحال نجيها فجرى نصار مع الدموع دموعا
ردت إلى أحشائه زفراته فغضضت منه جوارحا وضلوعا
عجبا لنار ضرمت في صدره فاستبطت من جفنه ينبوعا

وقال أيضا وانشدنا أبو بكر لنفسه (٢) :

إن الذي أبقيت من جسده يا متلف الصب ولم يشعر
صباة لو أنها دمة تجرل في جفنه لم تنظر

ومن الامالى أيضا (٣) قال : وقرأت على أبو بكر بن دريد لنفسه في قصيدة
له أولها هذه الابيات :

ليس المفسر دانيا كالمفسر حكم المعذر غير حكم المذنب
لو كنت أعلم أن لحظك موبق لحذرت من عينيك ما لم أحذر
لا تحسبى دمعى تحذر إنما نفسى جرت فى دمعى المتحذر

وإذا كان ابن دريد شاعرا في عصره فقد اشترك في نهضة النثر في ذلك العصر
وقد أثار الدكتور زكى مبارك قضية هامة تتعلق بنثر ابن دريد فقد اكتشف
أن ابن دريد هو مخترع فن المقامات في الادب العربى وكان من المعروف أن
بديع الزمان الهمذانى هو أول من أنشأ فن المقامات وكان الحريرى هو الذى
نشر أن بديع الزمان هو مخترع فن المقامات حتى اكتشف الدكتور زكى مبارك

(١) الامالى ج ١ ص ٧٩

(٢) الامالى لابى علي القالي ج ١ ص ٢٢٣

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١١٥

نصا ذكره أبو إسحاق الحمصى معيث عرض للكلام عن بديع الزمان فقال :
 «كلامه عض المكسر أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفنا والهوى يعشقه
 ظرفا ، ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثا
 وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنخبها من محاذق فكره وأبداهها للإبصار
 والبصائر وأهداها للأفكار والضماير ، في معارض عجمية وألفاظ حوشية ، فجاء
 أكثر ما أظهر تنبؤ عن قبوله الطباع ولا ترفع له حججها الإسماع ، وتوسع فيها ،
 إذ صرف النظائر ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب منصرفه ، عارضها
 بأربعائة مقامة في الكدية تذيب حسنا لامناسبة بين المقامتين لفظا ولامنى (١)»

ويجوز أن يكون زكى مبارك أن هذا النص دليل على أن ابن دريد هو
 مخترع فن المقامات ولكن ماهى المقامة ، وما هى أحاديث ابن دريد التى كانت
 مقدمة لتطور فن المقامات فى رأى الدكتور زكى مبارك ، فالمقام فى اللغة المجلس
 أو اسم الموضوع بالفتح والضم قال تعالى «أى النريتين خير مقاما وأحسن نديا» (٢)
 وعرف العرب كلمة المقامة فى الجاهلية ، يقول زهير بن أبى سلمى عنها بمعنى
 مجلس القبيلة :

وفيهما مقامات حسان وجرهما وأنديه ينتابها الغول والعفل

وتوسع العرب بعد ذلك فى معنى الكلمة فأصبحوا يطلقونها على خطبهم ،
 وأحاديثهم التى يقولونها فى مجالسهم وتتطور الدلالة فى العصر الإسلامى وتدل على
 الموقف الذى كان يقفه الواعظ بين يدي الخليفة أو غيره متحدثا فى الوعظ ثم

(١) زهر الآداب وثمر الالباء : أبو إسحاق الحمصى ج ١ ص ٣٠٨

(٢) سورة مريم : آية ٧٢

يمنى التطور عليها حتى تدل على المحاضرة الى تلتقى. ثم تطورت المقامة فأصبحت
تعنى القصص الذى وضع قصداً والذى أراد أصحابه أن يدونوا به بعض الاوصاف
عن طريق الحكايات الصغيرة أو يذيعوا بعض النوادر والفكاهات أو يعطوا بعض
الجوانب التاريخية صورة مغرضة يخدمون بها بعض الأحزاب ، أو يشرحوا
بعض النظريات الفلسفية والادبية أو يصنعوا بعض الحوادث الخرافية (١) ، وقد
تطور هذا الفن من القصص فى القرن الرابع الهجرى ويقال أن بديع الزمان قد ألف
مقاماته عام ٣٨٢ هـ وجعل لها شخصيتين خياليتين هما أبو الفتح الاسكندرى
وعيسى بن هشام ، ولغر الآن أحاديث ابن دريد التى يدعى زكى مبارك أنها
كانت أساس المقامات . ونرى هذه الأحاديث قد نقلها أبو على القالى عن ابن دريد
فى كتاب الامالى وتشتمل على طائفة من القصص المسجودة وكانت هذه الأحاديث
قد رويت على ألسنة أناس مجهرين فأحياناً عن الأعراب ونارة أخرى عن أقبال
اليمن الذين لا يعرف لهم اسم ولا يحتفظ لهم بتاريخ وتتناول هذه الأحاديث
فى جملتها جانباً من الدعاية والفن من ذلك الرجل الخليع واعم ابن دريد بتصوير
الشمال العربية وشغف بنوع خاص بتقديم طائفة من الصور المختلفة من أحلام
النساء فى فهم الرجال وإعجاب البنات بأعمال الآباء ويتمحور حديث ابن دريد عن
شجعان العرب وفرسانهم وكرامتهم . وهذه نماذج من أحاديث ابن دريد ؛ ذكر
أبو على القالى فى الامالى (٢) : « وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال
أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبي قال قالت عجرز من العرب لثلاث بنات لها
صنن ماتحبين من الأزواج : فقالت الكبرى أريد أروع بساما أحذ جذاما

(١) البئر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : دكتور زكى مبارك ج ١ ص ٢٤٢

(٢) الامالى لأبى على القالى ج ١ ص ١٧ طبعة بولاق

سيد ناديه وثمان عافيه ومحب راجيه فآؤه رجب وفياده صعب ، وقالت الوسطى
أريده على السناء مصمم المضاء ، عظيم ثار متمم أيسار ، يقيد ويبيد ويبدى
ويعيد ، .. الخ ، وذكر أبو على القالى من حديث أوس بن حارثة (١) لا يملك
قوله : « يا مالك المنية ولا الدنية والعتاب قبل العقاب والتجلد لا التبذل ، واعلم
أن القبر خير من الفقر وشر شارب المشتف وأقبح طاعم المثقف وذاب البصر
خير من كثير من النظر » وذكر أبو على القالى حديثاً آخر لخنافر الحميرى وخوله
الإسلام مروياً عن ابن دريد فقال (٢) : « وحدثنا أبو بكر قال حدثنى عمى
عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال كان خنافر ابن التروأم الحميرى كاهنا وكان
قد أدق بسطة فى الجسم وسعة فى المال وكان عاتبا فلما وفدت وفود اليمن على
النبي (صلى الله عليه وسلم) وظهر الإسلام أغار على أبل المراد فأكتسحها ثم
يستطرد فى هذا الحديث ويقول ما بهمنا فقال خنافر فقلت شصار فقال أسمع
أقل قلت قل أسمع فقال عنه نخم لكل مدة نهاية ولكل ذى أمد غاية قلت أجل فقال
كل دولة إلى أجل ثم يتاح لها حول انتسفت النحل ورجعت إلى حفافها الملل ،
وهناك حديث النسوة اللاتى أشرن على بنت الملك بالزوج - وذكره أبو على
القالى عن ابن دريد « كان قبل من أفيال حمير منع الولد دهرآ ثم ولدت له بنت
فبنى لها قصرأ منيفاً بعيداً عن الناس ، ويستطرد فيقول « فقلن لها يوما يا بنت
الكرام لو تزوجت لثم لك الملك فقالت وما الزوج فقالت إحداهن الزوج عز فى
الشدائد وفى الخطوب مساعد إن غنيت عطف وإن مرضت لطف ، وذكر القالى

(١) نفس المرجع ج ١ ص ١٢

(٢) نفس المرجع ج ٢ ص ١٣

بحسب ما في صفة الأسد فقال راوينا عن ابن دريد (١) : اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زيد الطائي وجميل بن معمر العذري والأخطل التغلبي فقال لهم أيكم يصف الأسد في غير شعر فقال أبو زيد أنا يا أمير المؤمنين لونه وزد وزيره وعدو قال مرة أخرى زغد وثبه شد وأخذه جدد وهرله شديد وشره عيد ونابه حديد وأنه أخم وخده أروم ومثمره أولم وكناه عراغتان ووجنتاه نائمتان .. الخ ، وذكر أبو علي حديث (٢) الجراي الخمس اللائي وصفن خيل أبائهن فقال : « قالت الأولى فرس أبي ورده ذات كفل مزحلق ومتن أخلق وجوف أخوق ونفس مروح وغين طروح وقالت الثانية : فرس أبي اللعاب وما اللعاب غيبة سماه واضطرام غاب » .

أما مقامات بديع الزمان الهمذاني والتي عزاها إلى أبي الفتح الاسكندري في أنها ولما عيسى ابن هشام في روايتها وكلاهما مجهول فن مقاماته المقامة الخيرية التي وضعت قصدا لوصف الصهباء فيحدثنا عيسى بن هشام « أنه كان في عنفوان شبابه عدل ميزان عمله وعدل بين جده وهزله فجعل النهار للناس والليل للكأس وأنه اجتمع في بعض لياليه مع أخوان الخلوة فازالوا يتعاطون نجوم الأقداح حتى نفذ ما معهم من الراح ثم دعته دواعي الشطارة إلى حان الخمارة ، والليل أخضر الدباج معتمل الأمواج .. الخ وقول بديع الزمان في المقامة الاسديّة : « إلى أن اتفقت لي حاجة بمحمص فتمحذت الحرص في صحبة أفراد كنجوم الليل أحلى من ظهور الخيل وأخذنا الطريق تنتهب مسافته ونستأصل شأفته ولم نزل اسنمة النجاد بتلك حتى صارت كالعمى ورجعت كالقوى » .

(١) ذيل الامالي والنوادر ص ٢٢

(٢) الامالي لابن علي القالي ج ١ ص ١٩٠

وإذا قارنا بين أحاديث ابن دريد ومقامات بديع الزمان الهمذاني فهناك آراء حول نشأة المقامة وحول الاختلاف بين ابن دريد وبديع الزمان، فأما الدكتور زكي مبارك فيرى أن ابن دريد منشئ المقامات وأن الحريري هو الذي أذاع الخطأ وهو أن بديع الزمان منشئ المقامة (١) ، أما الدكتور شوقي ضيف فيرى أن أحاديث ابن دريد (٢) : « كانت تمتلىء باللفظ الغريب فهي أحاديث ألغت لغير تعليم الناشئة اللغة وأن ابن دريد أثر في الهمذاني من ناحية الشكل ورأى آخر ذكره باحث حديث تبين التشابه بين المقامة الأسدية لبديع الزمان وحديث صفة الأسد الذي ذكره أبو علي في ذيل الأملال ولكن بديع الزمان كان هدفه من المقامات يدور حول الكدية وهو سرال الناس وهو ما نطلق عليه في عصرنا (بالادبائية) التي كادت تنقرض .

وهناك رأى آخر ذكره الدكتور عبد الرحمن ياغي (٣) « إن رأى الدكتور زكي مبارك غير صائب وأن بديع الزمان هو مبتكر فن المقامات في الأدب العربي » .

شخصيته انماجية وتهمته شرب الخمر انتهى زمانه بها المؤرخون :

كان ابن دريد جامعا لخلال الخير وخيرها العلم وقد ذكر المؤرخون حادثة طويفة تبين حله فقد ذكر ياقوت في معجم الأدباء « حكى عن أبي هلال العسكري

(١) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٤١

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي دكتور شوقي ضيف ص ٢٤٨ وأيضا

المقامة في فنون الأدب العربي : دكتور شوقي ضيف

(٣) رأى في المقامات : دكتور عبد الرحمن طبع بيروت ص ١٨

قال أخبرنا أبو أحمد قال كنا في مجلس ابن دريد وكان يتضجر من يخطئ في قراءته
فحضر غلام وضى فجعل يقرأ ويكثر الخطأ وابن دريد صابر عليه فتعجب أهل
المجلس فقال رجل منهم لانعجبوا فإن في وجهه غفران ذنوبه فسمعها ابن دريد
فلما أراد أن يقرأ قال له مات يامن ليس في وجهه غفران ذنوبه (١) وذكر يافوت
في معجم الأدباء قال قال السمعاني سمعت الأمير أبا نصر بن أحمد بن الحسين بن
أحمد بن عبيد الله بن أحمد الميكالي يقول : تذاكرنا المتنزهات وما وابن دريد
حاضر فقال بعضهم أنزه الأماكن غرطة دمشق وقال آخرون بل نهر الابله وقال
آخرون بل سند سنرقند وقال بعضهم نهر وان ينداد وقال بعضهم شعب بوان
بأرض فارس وقال بعضهم نوبهار بلخ و بناء للبرامكة فقال ابن دريد هذه
فتنزاهات العيون فإن أنتم عن متنزهات القلوب قلنا وماهي يا أبا بكر قال عيون
الاخبار للقتبي والزهرة لابن داود وقلق المشتاق لابن أبي طاهر ثم أنشأ يقول :

ومن تلك نزهته قينة وكأس تحت وكأس نصب

فينزهننا واستراحتنا تلاقى العيون ودرس الكتب

وهذا حوار جميل كانت لفظة ابن دريد فيه لفظة الشاعر الفيلسوف إذ يقول :
هذه متنزهات العيون فإن أنتم من متنزهات القلوب ، وفي البيتين اللذين أنشدتهما
لفظة أيضا في قوله تلاقى العيون التي قدمها في متعة القلب على درس الكتب وهو
رجل يرى الجمال في الطبيعة الناطقة — طبيعة الإنسان الجذاب التي يؤثرها على
جمال النهار والبحار والمروج الفيحاء والرياض الغناء .

وكان ابن دريد سمحا جريدا لا يسك درهما ويحكى أن سائلا سأله شيئا فلم

(١) معجم الأدباء : يافوت الحموي ص ١٢٨ ج ١٨ طبعة أحمد فريد رفاعي

يكن عنده غير دن من نبيذ فربه له فأنكر عليه أحد غلماناه وقال تصدق بالبيذ فقال لم يكن عندي شيء سواه ثم أهدى له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ فقال اغلامه أخرجنا دنا فجاءنا عشرة ، وهي روح فكاهية لابن دريد ولكنها تلمق به تهمة خطيرة وهي أنه كان يشرب الخمر وقد اتخذ أعداء ابن دريد هذه التهمة ذريعة لليل منه وبخاصة الازهرى في مقدمة التهذيب فبالإضافة إلى أن الازهرى اتهمه بافتعال العربية وتوليد الالفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها يقر : « وألفيته أنا على كبر منه سكران لا يكاد يتمر لسانه على الكلام من سكره (١) » ، وهذه أقوال تنسب إليه شرب الخمر صراحة أيضا ، قال عنه تلميذه أبو حنص عمر بن شاهين كما ندخل على ابن دريد وتستحي لما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى (٢) ، وقال أبو ذر الهروي « سمعت أبا منصور الازهرى يقول : دخلت على ابن دريد فرأيت سكران فلم أعد إليه » وسئل عنه الدارقطني قال تكلموا فيه . فابن دريد متهم بشرب الخمر ولكن هل كان يشرب الخمر فقام أم كان يشربها على مذهب أهل العراق من النبيذ وذلك كله يحتاج إلى تفصيل .

كان العرب في الجاهلية يشربون الخمر على اختلاف طبقاتهم دون تخرج وكانوا يصفونها في شعرهم باعتبارها مظهرا من مظاهر الفتوة والكرم وسماحة النفس ومن أشهر شعرائهم الذين وصفوا الخمر الاعشى وغيره من الذين فصلوا القول في الخمر بعض التفصيل حسان بن ثابت وعدى بن زيد وعائقة بن عبدة (٣) ،

(١) مقدمة التهذيب : أبو منصور الازهرى تحقيق عبد السلام هارون ٣٦

(٢) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ج ٢ ص ٢٠٢

(٣) الاتجاهات في الشعر في القرن الثاني الهجري : دكتور محمد مصطفى هدارة

ثم جاء الإسلام وتدرج في تشريعه لتحريم الخمر إذ كان العرب قبل الإسلام يكثرون من شربها ويتغنون بها في أشعارهم ويتفننون في وصفها وكانت عادة متأصلة عندهم ولم يكن من السهل تحريمها عليهم في وقت واحد ولذلك سلك الشارع الإسلامى مسلك التدرج في التشريع حتى لا يشق الأمر على الناس فكان التحريم على مراحل مختلفة ، المرحلة الأولى: نزل قوله تعالى « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون » (١) ، المرحلة الثانية نزل قوله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها أثم كبير ومنافع للناس وأثمها أكبر من نفعها » (٢) ، المرحلة الثالثة نزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون (٣) ، المرحلة الرابعة : نزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله فهل أنتم متهون) (٤) وبذلك كان تحريم الإسلام للخمر تحريماً تاماً بعد نزول هذه الآية الكريمة ووضعت السنة النبوية الشريفة حداً لها واستمر تمسك المسلمين بمنع شرب الخمر حتى حتى جاء الخلفاء الأمويون وشربوا الخمر وجاء العصر العباسي ووصف الشعراء الخمر وصفاً رائعاً مثل أبي نواس وأبي المندى وغيرهما وقد اتخذ بعض الباحثين المحدثين مجون بعض الخلطاء ذريعة لاثباتك في العلماء وكبار القوم وهو الدكتور

(١) سورة النمل الآية ٦٧

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٩

(٣) سورة النساء الآية ٤٣

(٤) سورة المائدة الآية ٩٠ و ٩١

طه حسين فذكر (أن هذا العصر كان عصر شك وبعون وكان عصر رياء وفاق فكان لكثير من الناس مظهران مختلفان أحدهما للعامه والجمهور وهو مظهر الجسد والتقوى والآخر للخاصة ولأنفسهم وهو مظهر اللهو والمجون ألف يخلع فيه المذاق وتترك فيه للشهوات حريتها المطلقة ، ومن ذلك أنهم تحدثوا أن الرشيد كان يصلي كل يوم مائة ركعة وأنه أمضى خلافته بين الحج والغزو . هكذا يتحدث ابن خلدون ولكن هذا لا يكفي لتبرئة الرشيد مما أضيف إليه من أنه كان يلهو ويسكر وكذلك ذكروا عن المأمون خلافا لقيمة وخصالا طاهرة ربما صحت كلها ولكنها لم تمنع المأمون من أن ياهو ويشرب الخمر (١) . ولكن رأى د. طه حسين مشكوك في صحته فلا نستطيع أن نحكم على عصره بأكله لأن بعض الخلفاء أو الشعراء أو العلماء كانوا ياهون أو يشربون الخمر وثمة دليل آخر وهو أن كثيراً من الشعراء كانوا يصفون الخمر في شعرهم ولا يشربونها .

وكان موضوع الخمر من أثير الموضوعات جدلاً عند الفقهاء لعدم وجود نص قاطع بالتحريم وقد أشار المستشرق أجناس جولد تسيهر (٢) إلى هذه الناحية فذكر أن الحربة العربية تورد أن تتخلص من الخمر من أجل الحد الشرعي (٣) وأضاف جولد تسيهر أنه (من وقت مبكر اعتبرت في هذه المسألة وجهتان للنظر مختلفتان متنافستان فقد استدل أحد أنصار الصحابة وهو أبو جندل بآية من القرآن على تحطيه وهي قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) . وذكر جولد تسيهر (٤) أن بعض الصالحين كانوا يشربون

(١) حديث الأربعاء ج ٢ د . ط . حسين ص ١٢٠

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام : أجناس جولد تسيهر ترجمة محمد موسى

وآخرين ص ١١٢

(٣) المرجع السابق ص ١١١

الخمر أو يجيزونها » وقد صرح الخليفة عمر بن عبد العزيز نفسه بجواز النبيذ ،
 مثل وكيع بن الجراح أحد الفقهاء الكوفيين المشهورين بالزهد (١٢٩ - ١٩٧هـ)
 كان يداوم على شرب النبيذ الكوفيين وخلف بن هشام أحد قراء الكوفة المشهورين
 (١٢٩هـ) كان يشرب الشراب وشريك قاض الكوفة في عصر الخليفة المهدي كان
 يحدث بحديث الرسول ويشتم من فقه رافضة النبيذ .

ولكن أكثر ما ذكره جواده تبهر لا يرقى إلى الصحة فهي محاولة للتشكيك في
 التاريخ الإسلامي وفي فقه الكوفة برجه خاص . أما اختلاف الفقهاء في موضوع
 الخمر وتحريمها فنستطيع أن نقسمه كما رأوه - فهم يتفقون في أمور بالنسبة
 للخمر ويختلفون في أمور : أما الآور المتفق عليها فهي :

(١) الخمر المستخرجة من العنب محرمة اتفاقاً

(٢) يحل لمكره والمضطّر أن يشربها

أما الأمور المختلف عليها فهي :

(١) يحل شرب القليل الذي لا يذكر من النبيذ المستخرج من غير العنب .

(٢) الحكم في المخدرات التي لا ينطبق عليها تعريف الخمر ولكنها تعمل عملها
 وأشد .

أما الأمور المتفق عليها وهي :

(١) الخمر المستخرجة من العنب محرمة اتفاقاً فانفق فقهاء المسلمين أن المحرم :

أ - الخمر التي من ماء العنب إذا غلى واشتد .

ب - الطلاء وهو ماء عنب طبخ فذهب أقل من ثلثيه .

ج - السكر وغو النبيء من ماء الرطب

د - نقيع الزبيب نيئاً أو أغلى

(٢) المكروه على شرب الخمر والمضطر ، إن أكره شخص على شرب الخمر باكره تام سواء أكره بالوعيد أو بالضرب أو الجليء إلى شربها بأن يفتح فيه ويصب فيه فلا يحد أو المضطر إلى شرب الخمر لا يعاقب إن كان ذلك لدفع غصة ما يقف في الحلق من عظم ونحوه .

والأمور المختلف عليها وهي :

أولاً : شرب القليل الذي لا يسكر من النبيذ المستخرج من غير العنب . اتفق الفقهاء على أن شرب الخمر دين إكراه أو اضطراب محرم . قليلها أو كثيرها واختلفوا في المسكرات من غير الخمر فقال الأئمة الثلاثة مالك وأحمد والشافعي حكمها حكم الخمر في تحريم الخمر وفي تحريم القليل والكثير سواء أسكر أم لم يسكر وقال فقهاء العراق وأبو حنيفة وأصحابه المحرم منها هو السكر واحتج أهل الحجاز بمجيب منها ما أخرج مسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل خمر حرام . وما روى مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتة ، فقال : كل شراب أمكر فهو حرام . واحتج أهل الحجاز باللغة أيضاً فقالوا معلوم في اللغة أن الخمر إنما سميت خمرًا لخمرتها العقل فوجب لذلك أن يتألف اسم الخمر لغة على كل ما خمر العقل وقالوا إن لم يسلم النظر لغة على كل الانبذة تسمى خمرًا شرعاً واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وبما روى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنب وما روى أيضاً عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من العنب خمرًا وإن من العسل خمرًا ومن الزبيب خمرًا وأما أنها كم عن كل مسكر .

وأما أهل العراق فيحتجون بحجج أهمها أنهم يستدلون على رأيهم بالآية الكريمة
والأحاديث الشريفة الآتية :

أ — استدلوا بظاهر قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب نتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا) وقالوا السكر هو المسكر ولو كان محرم العين لما سماه الله
رزقا حسنا .

ب — وحديث ابن عرون الثقفي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ، حرمت الخمر لعينها والسكر من غيرها ، وقالوا
هذا نمس لا يحمّل التأويل فمنعناه أهل الحجاز لأن بعض رواه روى والمسكر
من غيرها .

ج — .اروى عن ابن م عرد إنه قال شهدت تحريم النبيذ كما شهدت ثم شهدت
عليكم فحفظت وروى عن أبي مرسى قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا ومعاذ إلى اليمن فقلت يا رسول الله إن بها شرابين يصنعان من البر والنخيل
أحدهما يقال له المزر والآخر يقال له البتع فما نشرب فقال عليه الصلاة والسلام
اشربا ولا تسكرا .

ومن الحجج المغوية قالوا : إن الخمر اسم للنبيء من ماء العنب المسكر ، تنافى
أهل اللغة وتسمية غيرها خمراً مجازاً وعليه يحمل الحديث (كل مسكر خمر وكل
مسكر حرام) وإنها سميت خمراً لانخامرتها بحقل بل لتخمرها ، كما يقولون : نص
القرآن أن عامة التحريم في الخمر إنما هي الصدد عن ذكر الله ووقوع العداوة والبغضاء
وهذه العلة توجد في القدر المسكر لا فيما دون ذلك فوجب أن يكون ذلك القدر
هو الحرام إلا ما انعقد عليه الإجماع في تحريم قليل الخمر وغيرها ومع هذا فقد
قال أبو حنيفة (لو أعطيت الدنيا بحذافيرها لا أفتي بحرمته لأن فيه تفسيق

بعض الصحابة ، لو أعطيت الدنيا بخذا فبرها ما شربته لأنه لا ضرورة فيه (١) .

وقد كان تحليل أبي حنيفة لشرب البيند أثر كبير في جميع الأوساط ويحكى أن رجلاً بالكوفة وضع على باب المسجد نبذاً بين يديه وجعل ينادى من يشتري رطلاً بدرهم بتحليل أبي حنيفة فقال أبو حنيفة يا رجل إنك فعلت قبيحاً فقال الست حملت قال صدقت ومن الحلال أن تجامع امرأتك ولو استشهدتها الجامع وجاعتها لاستقبحت ذلك (٢) .

عقوبة شارب الخمر :

روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر بالجريد والعهال وجلد أبو بكر أربعين وفي موطأ مالك (٣) عن ثور بن زيد أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل فقال له علي بن أبي طالب نرى أن يجلد ثمانين فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فجلد عمر في الخمر ثمانين . ورأى الإمام مالك نراه مثلاً ما ذكره الإمام محمد بن أبي زيد القيروانى في رسالته عن فقه الأمام مالك (ومن شرب خمراً أو نبذاً مسكراً أحد ثمانين سكر أو لم يسكر ولا سجن عليه ويجرد المحدود ولا تجرد المرأة إلا بما يقبها الضرب ويجلدان قاعدين ولا تحم حامل حتى تضع ولا مريض منقل حتى يبرأ) (٤) .

(١) الحدود في الإسلام أحمد بهنسى ص ٣٤

(٢) الاتجاهات الشعرية في القرن الثانى الهجرى د. محمد مصطفى هدارة ص ٧٦

(٣) موطأ مالك الجزء الاول طبعة الشعب ص ٢٤

(٤) شرح رسالة الامام محمد بن أبي زيد القيروانى للشمرنوبى ص ١٩٢

أما الإمام الشافعي فيذكر ابن الحسين بن أحمد الاصفهاني الشافعي في متن الغاية والتقريب رأيه ومن « شرب خمرأ أو شراباً مسكراً يحد أربعين ويجوز أن يبلغ به ثمانين على وجه التعزير ويجب عليه أحد امرين بالبينة أو الاقرار ولا يحد بالقيء والاستنكاء » . (١)

بعد هذا التفصيل هل كان ابن دريد يشرب الخمر على مذهب أهل العراق أم إنها كانت تهمة ملفقة ضده وهل يسقط من قدره وينقص من علمه إذا لصقت به تهمة شرب الخمر ؟

إن عالماً قديراً مثل هذا الرجل لا يجوز أن ننقص من قدره لهذه التهمة التي اختف فيها قبل عصره بوقت طويل وكان كثيراً ما يتمثل :

فواحزني أن لأحياة لذيدة ولاعمل يرضى به الله صالح

وثمة أدلة تشفع له وتسقط عنه التهمة فقد ذكر السيوطي (٢) في بغية الوعاة أنه تاب عن شرب الخمر في آخر أيام حياته ودلائل آخر وهو أن الدارقطني وهو الذي قال عن ابن دريد (تكلوا فيه) قريب العهد جداً من ابن دريد فقد توفي عام ٣٨٥ هـ فكيف يجوز له أن يقول « تكلوا فيه » وهذا الرجل العالم (ابن دريد) الذي أخرج لنا جمهرة اللغة والاشتقاق والمقصورة وجمع لنا تراثاً عربياً الا يشفع له علمه وقوة حفظه من إسقاط تلك التهمة .

رجوعه إلى بغداد وإقامته بها :

كان ابن دريد في البصرة يتلقى العلم بها وغام ٢٥٧ هـ دخل الزنج البصرة

(١) متن الغاية والتقريب لابن الحسين الاصفهاني الشافعي ص ٣٤

(٢) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٠

فانتقل ابن دريد إلى عمان وطلبه عبد الله بن ميكال لتأديب ابنه أبو العباس وصنع
لها كتاب الجهرة ومدحها بالمقصورة وقلده ديوان فارس وكانت تصدر الكتب
عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . وجلب له ذلك أموالا كثيرة وانتقل ابن
دريد من فارس إلى بخداد ووصلها عام ثمان وثلاثمائة ولما وصلها أنزله على ابن
محمد الجرازي في جزاره وأفضل عليه وعرف الأمام المقتدر بالله خبره ومكانته
في العلم فأمر أن يجري عليه خمسين دينارا كل شهر ولم تزل جارية حتى مات فتمت
عمره الباقي في السعة والخفض .

مرضه :

أصاب ابن دريد الفالج وهو في التسعين من عمره وسقى له الترياق فبرى منه
وشفى وعاد إلى حياته العلمية يملئ على تلاميذه ويسمع منهم ثم عاوده الفالج بيده
عام الغداء صار تناوله وكان يترك يديه حركة ضعيفة وكان إذا دخل عليه
أحد خرج وتألم لدخوله .

قال تلميذه أبو علي الفاي « وكان يصيح لذلك صياح من يمشى عليه أو يسأل
بالمسال والداخل بعيد عنه وكان مع هذه الحال ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما
يسأل عنه ردا صحيحا وعاش بعد ذلك عامين وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة
بهذه الحال فيرد بأسرع من النفس بالصدر .. (١) »

موته ودفنه :

يتفق المؤرخون على سنة وفاته وهي عام ٣٢١ هـ ولكنهم يختلفون في الشهر

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٩

الذى مات فيه والمقبرة التى دفن فيها . فبينما نجد ابن خلكان (١) وابن الأنبارى (٢) وأبو الفداء (٣) يتفقون أنه مات فى شعبان عام ٥٣٢١ هـ — نجد ياقوت الحموى يقرر أنه مات لثنتى عشرة ليلة بقيت من رمضان ، ويختلفون فى المقبرة التى دفن فيها . يتفق معظم المؤرخين على أنه دفن فى مقبرة الخيزران واختار ابن خلكان (٤) والمرزبانى (٥) أنه دفن فى المقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقى فى ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم ، وينفرد جلال الدين السيوطى فى المزهر (٦) بقوله أنه مات بعين وما جاء أيضا فيه أنه مات عام ٣١١ فخطأ ومات ابن دريد ومات فى نفس اليوم أبو هاشم الجبائى وكان من المعتزلة فقال الناس « اليوم مات علم اللغة والكلام ، بموت ابن دريد والجبائى .

هـ رايه :

رئى ابن دريد جعظه (٧) البرمكى بقوله :

فقدت بابن دريد كل منفعة لما غدا ثالث الأحجار والشرب
قد كنت أبكى لفقد الجود آونة فعمرت أبكى لفقد الجود والادب

(١) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٥١

(٢) أبناء الرواة على أنباء النحاة للقفطى ج ٣ ص ٩٣

(٣) تاريخ أبو الفداء الجزء الأول ص ٢٥

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٥٠٢

(٥) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦٢

(٦) المزهر للسيوطى ج ٢ ص ٢٨١

(٧) بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٠

وذكر أبو علي القالي في نهاية ذيل الامالى والنوادر (١) قصيدة طويلة بلغت
(٤٢) بيتا لبعض البغداديين يرثى بها ابن دريد أولها :

يلرم على فرط الاسى ويفند خلى من الوجد الذى يتجدد
ويكبر أن ينهل دمع أراقه تضرم نار فى الحشا ليس تخمد
ومنها :

عليك (أبا بكر) سلام ورحمة بها فى جنان الخلد أنت مخلد
وجاز ثرى ضمنت كل وابل من المزن دكان يراح ويرعد
ويقول فيها أيضا

تسير يسر الانجم الزمر كلها خبا ضوء شعر أشرفت تتوقد
لا نشرت بالعلم الخليل فخلتنا نشاهده أن ضمنا منك مشهد
وجالستنا بالاصمعى ومعدر واوجدتنا مالم يكن قبل يوجه
ويختمها بقوله

مضى (ابن دريد) ثم خلد بعده سراير أمثال تغور وتنجد
بدائع من نظم ونثر كأنها عقودها ما درها حين نعصد
الاملاء :

اصطاع ابن دريد بمجالسه العلمية الرائعة أن يكون مدرسة أثرت المكتبة
العربية بمصنفاتها وكان له تلاميذ لهم شأن كبير فى اللغة والنحو والادب وكان
منهم أسراء ووزراء مثل أبى العباس اسماعيل بن محمد بن ميكال المتوفى عام

٣٦٣ هـ. وأبي علي ابن مقلبة الكاتب الوزير واليرافى وابن علي الفارسي نحويان
وكان منهم نقاد مثل الامدي وأدباء مثل أبي علي القالي وأبي الفرج الاصفهاني
ومؤرخون مثل المسعودي .

أما تلميذه (١) أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال فهو تلميذ
من نوع خاص فقد كان ابن دريد مؤدياً له فقد استدعاه والده عبد الله بن محمد
وكان الخليفة المقتدر بالله قد قلده الأعمال مكور الاهواز واستطاع ابن دريد أن
يكون ذائع الصيت بين ائمة ميكال . وقد صنع لهما كتاب الجهرة ومدحهما
بالمقصورة فوصلاه بعشرة آلاف درهم وقلده ديوان فارس ومن مدحه لابن ميكال
في المقصورة .

ان العراق لم أفارق أهله عن شئاً أصدني ولا قلى

ان كنت أبصرت لهم من بعدهم مثلاً فأغضيت على وخر السفا

حاشا الاميرين اللذين أوفدا على ظالا من نعيم قد ضفا

ذكر ابن الانباري في أنباء الرواة عن اسماعيل بن ميكال « ذكره الحافظ

أبو عبد الله في تاريخ نيسابور فقال : أبو العباس الأديب الشريف شيخ خراسان

ووجهها وعينها في عمره ، (١) وذكره ياقوت في عدة مواضع منها (٢) ، وكان

شيخ خراسان ووجهها في عمره سمع في نيسابور من ابن خزيمة ومحمد بن اسحق السراج

وأبا العباس أحمد بن محمد الماسرجي ، وذكره في التاريخ فقال ، ولد أبو العباس

بنيسابور ، فلما قلده أمير المؤمنين بالمقتدر بالله أباه عبد الله بن محمد للأعمال بكور

الاهراز حمل إلى حضرة أبيه فاستدعى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد لتأديبه

فأجيب إليه إيجاباً له . ، (٣)

(١) أنباء النجاة لابن الانباري ص ٢٠ ص ١٦٠

(٢) و(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي ص ٧ ص ٥

ولما مات عبد الله والده لم يقبل إسماعيل أن يكون عاملاً بنارس ورجع إلى خراسان ونيسابور وربما رافق ابن دريد أبو العباس الميكالي في عودته لكن هذا لا تذكره كتب الطبقات وبقى معه مفكراً أين تكون أقامته فانصرف ابن دريد بعد ذلك إلى بغداد وسار أبو العباس إلى أحمد ابن إسماعيل الساماني ومات عام ٦٢ هـ بنى ابور وهو ابن اثنتان وتسعين عاماً .

(٣) أبو علي القالي :

وهو إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون القالي البغدادي ولد في أرمينية عام ٢٨٨ هـ ورحل إلى بغداد طلباً للعلم عام ٣٠٥ هـ وأقام بها عام ٣٢٨ هـ ورحل عنها إلى الأندلس عام ٣٣٠ هـ ودخل قرطبة واستوطنها وأملى كتابه الأملى بها وسبب شهرته بالتالي راجع إلى إنجداره إلى بغداد مع رفقة من قالي قلا وقد اشتهر في الأندلس بالبغدادى وتلميذ لأبي بكر بن دريد وقد روى أكثر كتابه البديع (الأمالي) عن ابن دريد وهو مصدر هام لأخبار ابن دريد وأحاديثه وشعره وتلميذ أيضاً لأبي بكر بن الأبناري ونفطويه والزجاج والأخفش وابن درستويه ويقال عنه أنه كان أحفظ أهل زمانه للغة الشعر ونحو لبصريين ومن تلاميذ أبي علي القالي أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي والأندلسي صاحب مختصر العين . ولأبي علي القالي مؤلفات مشهورة أهمها الأمالي التي ذكرنا أنه كان مصدراً لأخبار وأحاديث وشعر ابن دريد وقد جمع فيه مجموعة من القصص والأخبار العربية واليمنية وطرائف لغوية وشعرية . وله معجم (البارع) ولم يسر فيه على طريقة ابن دريد وإنما سار على طريق الخليل وهي الأبجدية الصوتية .

(٤) ابن خالويه :

وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه وأصله من همدان ولكنه ذهب

إلى بغداد وأدرك العلماء بها « وأخذ عن جماعة مثل أبي بكر بن الأنباري وأبي عمر الزاهد وقرأ على أبي سعيد السيرافي وخالط المذهبين وتوفي بحلب في خدمة بني حمدان في سبعين وثلاثمائة (١) ولابن خالويه كتب أغليها في النحو منها كتاب الاستمناق وكتاب الجمل في النحو وكتاب القراءات وكتاب إعراب ثلاثين سورة القرآن وكتاب ليس وقد وصانا هذان الكتبان ولابن خالويه شرح لمقصورة ابن دريد ونقل عنه السيوطي في مزره كثيرأ من سرحه للمقصورة .

(٤) أبو سعيد السيرافي النحوي :

وهو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان وكان أبوه مجوسيا يسمى بهزاو فأسلم وتسمى بأسم عبد الله ولد بسيراف عام ٥٢٨٠ هـ ابتداء بطالب العام بها وأكسب على دراسة اللغة والعلوم الدينية ببلدته وفي العشرين من عمره خرج إلى عمان وتنقحه على شيوخها ثم تحول إلى بغداد فدرس اللغة على ابن دريد والنحو على ابن السراج والقراءات على أبي بكر ابن مجاهد وتعمق في الفقه وأختير قاضيا لبغداد وأجله الناس وكانوا يخاطبونه بإمام المسلمين وشيخ الاسلام وإلى جانب ذلك كان يمني بالنحو وكان معتزليا وله مع متى بن يونس مناظرة مشهورة وكان موضوعها « النحو والمنطق أيها أدق في معرفة صحيح الكلام من عقيميه وسنديه من مدخوله » وألف في مصنفنا شرح شواهد معيبيه . وترجم لنحاة البصرة في كتابه أخبار النحاة البصريين ومن مؤلفاته أيضا كتاب الوقف والابتداء وكتاب صنعة النحر والبلاغة وقد شرح مقصورة ابن دريد .

(٥) أبو بكر محمد بن أنسرى السراج المتوفى عام ٢١٦ هـ :

وكان من تلاميذ المبرد وعكف على دروسه وتزود منه نحواً ولغة وعنى بجانب ذلك بدراسة المنطق والموسيقى وتحول بعد ذلك إلى حلقات الزواج ثم استقل عنه بحلقة كان يؤمها كثيرون وفي مقدمة تلمذهم اليراني وأبو علي الفارسي وعليه قرأ كتاب سيبويه وكان يهتم بعمل النحو ومقاييسه وفيها كتب كتاب الأصول الكبير — انزعه من كتاب سيبويه وأضاف إليه اضافات طيبة ويقال إنه قسمه على طريقة المنطق . وضم في كتابه هذا آراء الأخفش الأوسط والكوفيين موازناً ومقارناً وكان ينظم الشعر ويحسنه وله من الكتب أيضاً كتاب مجمل الأصول وكتاب الاشتقاق وكتاب احتجاج الفراء وله آراء نحوية وصرفية كثيرة تداولتها كتب النحو التي جاءت بعده ، فجمهور النحويين يرون أن ليس فعل ناقص لإتمامها بالضمائر مثل است ولستم ولستن — وذهب ابن السراج إلى أنها لا تنصرف مثل عسى ومات عام ٢٠٦ هـ .

(٦) أبو علي الفارسي :

وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي أبا — أما أمه مغربية . وله في أرض فارس بالقرب من شيراز عام ٢٨٨ هـ ، وفي عام ٣٠٧ رحل إلى بغداد وعكف على حلقة — ات التلمذيين ، مثل ابن السراج والأخفش الصغير والزجاج وابن هريث ونفطويه كما عكف على حلقات البغداديين الأولين وخاصة حلقات ابن الخياط وشيخ بحلقة أبي بكر بن محمد تلميذ ثعلب ويقال إنه كان يعتقد مذهب المعتزلة وأنزع بعد للتدريس والإملاء في مساجد بغداد مبكراً وكان يعلم الطلاب في عسكر مكرم وبعض مدن الموصل ويصل حلب عام ٢٤١ هـ ومعه ابن جعني تلميذه الذي شغف به حباً — ولكنه يتحول إلى بعض مدن الشام

ويعود إلى بغداد عام ٣٤٦ ويستدعيه إلى شبراز عضد الدولة البويهى ليأخذ عنه وبعض أفراد أسرته ويفتخر عضد الدولة بذلك حتى إذ يقول أنه غلامه ويظل عنده حتى يعود إلى بغداد وظل بها إلى وفاته عام ٣٧٧ هـ .

هؤلاء هم أهم التلاميذ للتووين والنحويين ، ومن النقاد برز من تلاميذ ابن دريد :

(٧) أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى المتوفى عام ٤٧٠ هـ .

ولد بالبصرة ولكنه قدم إلى بغداد يحمل عن الأخفش والحامض والزجاج وابن دريد وغيرهم اللغة والنحو وروى الأخبار في آخر عمره وكان الأمدى شاعراً أيضاً وله شعر جميل . وكان أديباً أيضاً يحيط بالأدب العربى احاطة تكاد تكون تامة ومن أشهر كتبه النقدية كتابه الموازنة بين البحرى وأبى تمام واختار لنفسه الإنصاف فهو لا يقبل شيئاً بغير بينة ولا يقيم حكماً بغير دليل وأما وسائله المعرفة ثم الذوق وكان يعلم شيئاً من العلوم الفلسفية المستحدثة .

ومن مشاهير تلاميذ ابن دريد أبو النرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغانى وكان شاعراً مصنفأديباً (وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الاصول الجياد) (١) ، وأشهر كتبه كتاب الاغانى وهو من أفضل الكتب التى تتحدث عن أشعار العرب وأخبار الشعراء رغم ما يتهمة بعض الباحثين في روايته (٢)

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٧٢

(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى دكتور زكى مبارك ج ٢ ص ١٢٣

ومن تلاميذه ابن دريد بن المؤرخين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي
وكتابه العنايم مروج الذهب ومعادن الجوهر ، من أهم الكتب التي تؤرخ للخلافة
العباسية بطريقة السنين ويمتاز بوصف للحياة الاجتماعية في ذلك العصر وله كتب
أخرى أهمها كتاب ذخائر العلوم وكتاب الاستذكار

ومن تلاميذه ابن دريد الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقله المتوفى عام ٣٢٨ هـ
وكان وزيراً لأمارة بالله استوزاه عام ٣٢١ هـ ثم عزله وكان وزيراً للرازي
وكان كاتباً جرّاداً وينسب إليه أنه الذي عرب الخط الكوفي إلى الطريقة العربية
وكانت الكتابة العربية أولاً حمرية متداولة في اليمن وغيرها ثم نقلت إلى الكوفة
واستعملها الناس فلما بعث النبي ﷺ استمر الناس يكتبون بهذا القلم ، وهو طريقة
كتابة المصحف العثماني وفي القرن الثاني الهجري استعصى الناس الطريقة العربية
بسبب اتها وحادوا عنها عن الخط الكوفي وبعد ذلك ظهر ابن مقله فنقل الخط إلى
العربية ولم يترك منه شيئاً يشابه الكوفي .

وكان ابن مقله قد اتفق مع الجند واجتمعوا فجاءوا إلى دار الخليفة القاهر
ودجموا عليه من سائر الابواب فهرب إلى سطح حمام فاستتر فيه فأتوا بابيه
وقبضوا عليه وحبسوه وخلعوه من الخلافة وسمرروا عينيه بمسار محمى حتى سالت
على خديه وهو أول خليفة سمرت عيائه وذلك في جمادى الآخرة عام ٣٢٢ هـ .

ويضاف إلى تلاميذه ابن دريد غلام ابن دريد وكان يداوم على خدمته
وملازمته طيلة وهو أبو الحسين علي بن أحمد وكان لشعوب غلام أيضاً وكان
لابن دريد وراقين منهم أبو الحسن علي بن أحمد الدريدي واليه صارت كتبه بعد
موته وأبو يعقوب اسحاق إبراهيم ابن الجنيد وقد روى عن ابن دريد أبو القاسم
عمر بن محمد مصنف كتاب النبات للأصمعي ، ويضاف إلى تلاميذه ابن دريد

المرزبانى صاحب معجم الشعراء وأبو الفتح عبد الله بن أحمد بن محمد المعروف
بمخرج ويقال أن نسخة الجمهرة التى احتلها أضح النسخ .

مصنفاته :

- ١ - جمهرة اللغة : وأملها حفظا وكتبها لابنى ميكال ويعتبر ابن دريد بهذا
المعجم ذا سبق عظيم فى الترتيب الابدعى وقد خصصنا له فصلا خاصا .
- ٢ - كتاب الاشتقاق وسماء ياقوت والسيوطى اشتقاق أسماء القبائل
- ٣ - كتاب المجتبى : وهى مجموعة مختارة من كلام النبى صلى الله عليه وسلم
المأثورة حكما وأقوالا ومن كلام أبى بكر - رضى الله عنه - وعمر وعثمان وعلى
ويمتاز الكتاب باختيار مجموعة كبيرة من كلام فخر عشرين فيلسوفا من فلاسفة
اليونان من أمثال سقراط وأرسططليس .
- ٤ - كتاب الملاحن : وهو كتاب يبين فيه طريقة استعمال اللفظ بمعنى آخر
- ٥ - كتاب صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث : وهو من الرسائل
اللغوية السابقة والممهدة لتطور المعاجم وقد طبعه وايم زيات ضمن مجموعة
جزرة الحاطب وتحفة الطالب .
- ٦ - كتاب اخبار ابن دريد : وهو مخطوط - كتب مخطوطه المرحوم
الشنقيطى - ويوجد بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية تحت رقم ١٠ م
- ٧ - كتاب أدب الكاتب وام يجرده من المسودة
- ٨ - كتاب الامالى : ونقل عنه السيوطى فى المزمهر
- ٩ - كتاب الانباز وقد فقد
- ١٠ - البنين والبنيات » »

- ١١ - تقويم اللسان وقد فقد
 - ١٢ - التوسط " "
 - ١٣ - الخيل الصغير والخيول الكبير وقد فقد
 - ١٤ - السلاح وقد فقد
 - ١٥ - غريب الفران واجمعت المراجع على أن ابن دريد لم يتمه
 - ١٦ - كتاب فعلت وأفعلت
 - ١٧ - كتاب اللغات في القرآن - وربما كان هو كتاب غريب القرآن
 - ١٨ - كتاب ماسئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا
 - ١٩ - كتاب المتناهى في اللغة
 - ٢٠ - كتاب المطر
 - ٢١ - كتاب المقتبس ، وكتاب المقتنى ، وكتاب الوشاح
- ونقل عنه السيوطى ومحمد بن عمر البغدادى فى خزائن الأدب ويضاف إلى ذلك ديوانه والمقصورة .

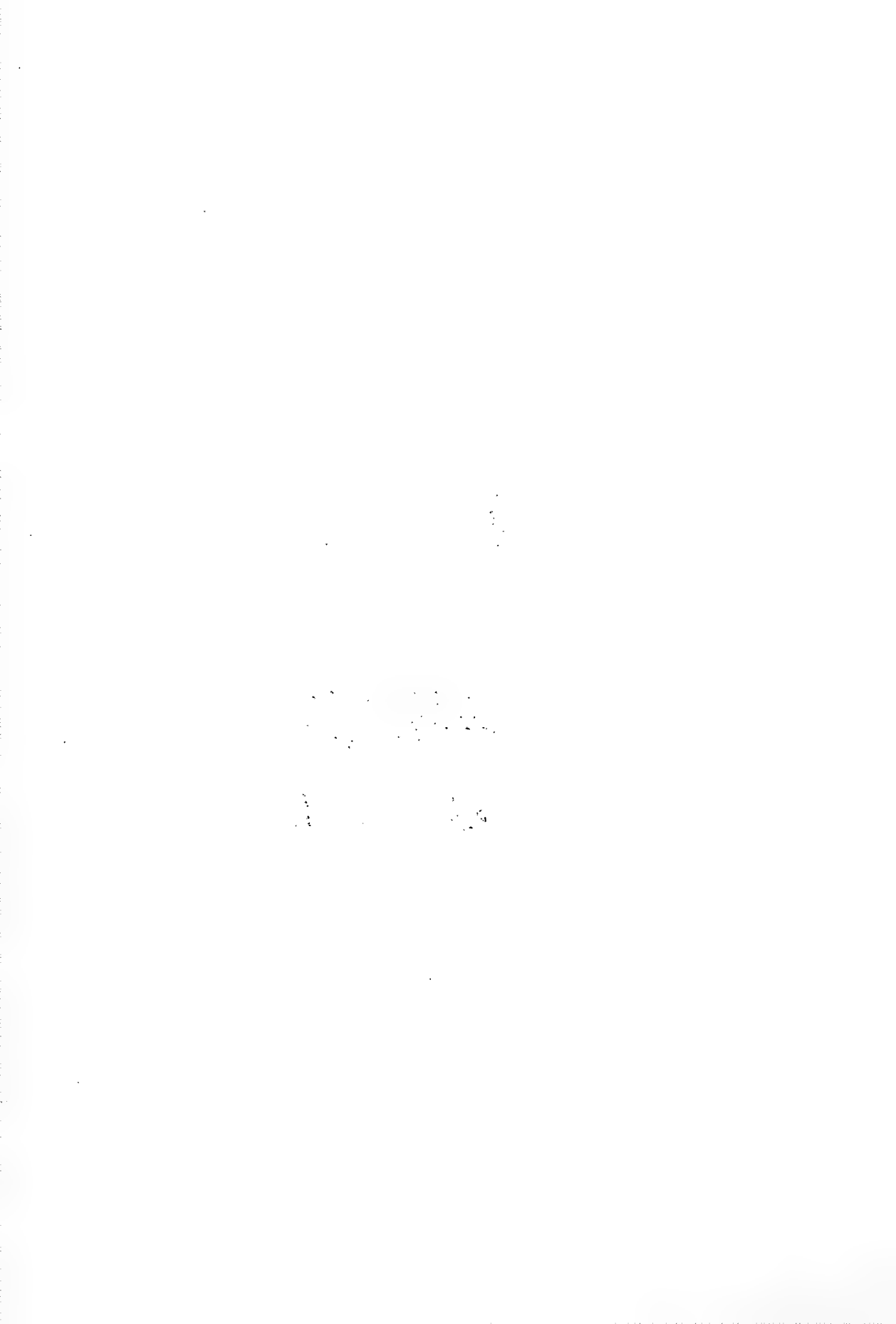
هذه هى حياة ابن دريد ، ولد بالبصرة وبها تعلم على أساتذة اللغة فى عمره مثل الأشنادانى وقد روى عنه كتاب معانى الشعر والرياشى والتوزى وأبو حاتم السجستاني ، وكانت أسرته من عمان وينسب إلى قبيلة الازدي . وكانت عاطفته طوال حياته مع قومهم فى عمان نشهد هذا فى شعره وفى أحاديثه التى رواها عنه تلميذه المخلص أبو على القالى . وفى البصرة أصبح لابن دريد حلقة وتلاميذ وأعداء وأحباء وفى شخصيته العملية نراه يتحرى الدقة فى الروايات اللغوية ويهاجمه د . زكى مبارك فى عدم تحرى الدقة فى الأحاديث التى يرويها عن الأعراب أو أقبال اليمن . ونراه يشتهر بشدة الحفظ . وقد لاحظنا ذلك على شخصه مبكرا وفى حادثة حفظه ديوان

الحارث بن حلزة - ساعة غداء - وما يجده في أملائه الجمهرة من حفظه عدة مرات ومن عنوان كتابه ماسئل عنه انظرا فأجاب عنه حفظا ، وفي شعره نجد لمحات تعبر عن خبرة بالحياة وانصراف عن ملذاتها ، ويتلى شعره وخاصة مقصوده بحكم الحياة مع شيء من الفخر ، ويستطيع شعره أن يحدد لنا نفسية ابن دريد التي لم تستطع أن تحقق ما تصبو اليه ، ولكنه لم ينتقض من قدر العلماء ولم يكن بادئا بالعدوان فقد رد على نظويه بعد أن هاجمه وانترف للخليل بن أحمد بنفضل السبق عليه في (العين) . وفي شخصيته 'عاديته' نجده كريما متحميا طريفا ولكنه يهتم بشرب الخمر ويحاول أعداؤه أن يتخذوا من هذه التهمة وسيلة للنيل من علمه والاستهانة به لكنهم لم يجدوا إلى ذلك مبيلا وقد توفي ابن دريد وترك مدرسة من تلاميذه المخلصين تنوعت فصولها فمنها العالم اللغوي مثل أبي علي القالي الذي قدم اليه (البارع) ومنهم الراوية الأديب مثل الأصفهاني صاحب الأغاني ومنهم النافذ مثل الآمدي والمؤرخ مثل المسعودي وغير ذلك مما يجعلنا نهتم بشخصيته العلمية التي أثرت المكتبة العربية بكنوز اللغة العربية .

البَابُ الثَّالِثُ

الفصل الأول

آء_____اره



مقدمة

ترك لنا ابن دريد مؤلفات عدا على بعضها الزمن فنقدت وبقى بعضها وكان ذخيرة لطالب العلم فن الكتب التي وصلنا جهرة اللغة وقد خصصنا فصلا له وكتاب الاشتقاق ، والمجتنى والملاحن ، ومن شعره الذي وصلنا ديوانه المطبوع ومقصورته الشهيرة وشروحها الكثيرة ، وشعر متناثر هنا وهناك في بعض كتب الأدب والامالي وقد حاولت أن أجمع بعضا من نصوص الكتب المفقودة التي جمعها لنا السيوطي في «المزهر» من كتاب الامالي لابن دريد وكتاب الوشاح لابن دريد . وهناك كتب لم يتمها مثل غريب القرآن وقد أجمعت المصادر التاريخية أنه لم يتمه .

وهناك كتاب اختلفت المصادر في اسمه وحرف في بعض كتب الطبقات وهو كتاب « صنفه السرج والمجام ، وصنفه السحاب والغيث . فيذكر أحيانا باسم رواة العرب وزوار العرب ورواد العرب والمطر وقد طبع الكتاب في لندن بأشراف وليم رايت مع مجموعة بأسم « مجموعة جرزة الحاطب وتحفة الطالاب ، وقد قسمه الناشر إلى كتابين أحدهما كتاب صنفه السرج والمجام والآخر صنفه السحاب والغيث وأخبار الرواد وما حمدوا من السكلا ، ومعه كتاب تلقيب الفراء في لابن كيسان ومقطعات مراثي بعض العرب .

ونلاحظ أن المستشرقين اهتموا اهتماما كبيرا بكتب ابن دريد وكان ف . كرنكر قد نشر الجهرة وتحدث عن ابن دريد في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية عن بواكير المعاجم العربية ، ونشر فرناند وستفاند كتاب الاشتقاق عام ١٨٥٤م ووليم رايت نشر لنا صنفه السرج والمجام وطبعت أكثر كتب ابن دريد بالهند مثل الجهرة ومنهبدأ حديثنا بكتاب الاشتقاق .

(١) كتاب الاشتقاق :

وهو أهم كتبه بعد الجهرة ويسمى كتاب الاشتقاق عند أغلب كتب الطبقات فيما عدا الأزهرى فى مقدمة التهذيب ويسميه كتاب اشتقاق الاسماء ، وياقوت الحموى يسميه (كتاب اشتقاق أسماء القبائل) وقد طبع الكتاب وأهم طبعاته جوتنجن عام ١٨٥٤م التى نشرها المستشرق فردناند وستنفلد وطبعة القاهرة التى حققها وشرحها عبد السلام دارون .

أما الاشتقاق فى اللغة فيطلق على معان . قال فى القاموس ، هو أخذ شق الشيء والأخذ فى الكلام وفى الخصومه يمينا وشمالا وأخذ الكلمة من الكلمة وفى الاصطلاح أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما فى اللفظ والمعنى .

ويرى محمد صديق خان أن الاشتقاق فى اللغة يختلف عن الاشتقاق فى الصرف حيث قال : وعلم الاشتقاق هو علم باحث عن كيفية خروج الكلام بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والمخرج بالاصالة والفرعية باعتبار جوهرها والقيد الاخير يخرج علم الصرف إذ يبحث فيه أيضا عن الاصلة والفرعية بين الكلمة لكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة (١) .

ويقسم ابن جنى فى الخصائص الاشتقاق نوعين : صغير أو أصغر وكبير أو أكبر ، يسمى كلا منهما قسمين فالصغير كأن تأخذ أسلا من الأصول فتقرأه فتجتمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه وذلك كتركيب (س ل م) فانك تأخذ منه السلامة فى تصرفه ، نحو سلم ويسلم وسالم ، وسلمان ، وسلمى ، والسلامة (٢) .

(١) العلم الخفاق من علم الاشتقاق تأليف محمد صديق خان ص ٣ .

(٢) الخصائص لابن حنى ح ٢ تحقيق محمد النجار ص ٣٣ .

وأما الاشتقاق الأكبر « فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه ومن ذلك تراكيب (ك ل م) وتقاليبها ك م ل — م ل ك ، م ل — ك — ل ك م — ل م ك — (١).

ويذهب على ذلك الإمام السيوطي في المزمع حيث يقول : « وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جنى » (٢)

وتمتد أن السيوطي يعني أن الفضل له في التلقيب وعن ذهب إلى ذلك الدكتور عبده الراجحي في كتابه اللغة في الكتب العربية حيث يقول « ومع أن السيوطي يذكر أن هذا النوع من الاشتقاق مما ابتدعه أبو الفتح فإن مفهوم كلام ابن جنى أنه ليس من ابتداعه وإنما له فضل التلقيب فقط فقد اعتمد عليه الخليل كما ذكرنا (٣) ».

وكتب آدم متز عن الاشتقاق فقال « وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جدية للاشتقاق اللغوي وبقيت عمراً طويلاً وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جنى الموصلي ، وهو الذي ينسب إليه ابتداع بحث جديد في علم اللغة ، وهو المسمى الاشتقاق الأكبر ودور البحث الذي لا يزال يؤتى ثمره إلى اليوم (٤) ».

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣

(٢) المزمع للسيوطي ج ١ ص ٣٤٧

(٣) فقه اللغة في الكتب العربية د . عبده الراجحي ص ١٦٥

(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع : آدم متز ص ٣٣٠

ونجد اختلاطا بين المصادر في تعريف الاشتقاق الصغير أو الأصغر والكبير أو الأكبر فهذا هو السيموطي يقول عن الاشتقاق الأكبر في المزهرة نقلا عما ذكره الزجاج في كتابه « قال قولهم شجرت فلانا بالرمح - تأويله جعلته كالغصن في الشجرة وقولهم للحلقوم وما يتصل به شجر لأن مع ما يتصل به أغصان الشجرة وتشاجر القوم ، إنما تأويله اختلفوا كاختلاف أغصان الشجرة وكل ما تنزع من هذا الباب فأصله الشجر ، (١)

ويسمى عبده القادر بن مصطلحي المغربي الاشتقاق الكبير القلب فقال « وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دين الترتيب مثل فعل جذب المذيق من مادة الجذب » ويسمى الاشتقاق الأكبر بالإبدال « وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى والمخرج نحو نطق ونطق (٢) ، وقد كتب عبد الله أدين عن الاشتقاق وقسمه إلى أربعة أقسام :

الأول : الصغير وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الحروف الأصلية وفي ترتيبها مثل الجرد والمزيد من الأفعال والأسماء والجلل والاشتقاق في الأفعال والاشتقاق المشتقات السبعة المشهورة .

الثاني : الكبير ويقصد به انتزاع كلمة من أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى وذلك نحو جفا وجذا وبعثر وبحشر .

الثالث : الكبار وهو عند ابن جنى الكبير أو الأكبر .

(١) المزهرة للسيوطي ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) الاشتقاق والتعريب عبده القادر المغربي ص ١٠

الرابع : الكبار وهو المعروف عند اللغويين بالنحت كالدعوة من دام عزك (١) .

وكتب ج فندريس في كتابها « اللغة » عن الاشتقاق فقال : « وتتحصر في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتعليقات التي مرت بها ، ثم يرى رأيا في الاشتقاق فيقول « ولكن الاشتقاق يعطى فكرة زائفة عن طبيعة المفردات لأن كل ما يعنى به هو أن يبين كيف تكونت المفردات » . (٢)

وقد اقترح باحث حديث هـ (حامد عبدالقادر) تسمية الاشتقاق بأنواع : قال « قد يكون من الممكن أن نسمى قد من قط مثلا اشتقاقا أول أوليا وأن نسمى اشتقاق قطع من قط اشتقاقا كبيرا كما يرى ابن جنى ومن تبعه وان نسمى اشتقاق قطع مثلا من قطع اشتقاقا صغيرا . وأن نسمى اشتقاق نحو مقطع من قطع اشتقاقا أصغر » . (٣)

وقد كتب عن الاشتقاق جلة من اللغويين والنحويين ذكر السيوطي معظمهم وابن النديم في الفهرست ، منهم الفضل الضبي المتوفى عام ١٦٨ هـ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ والاصمعي المتوفى عام ٢١٥ هـ والآنخفش الأوسط المتوفى عام ٢١٥ هـ وأبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي المتوفى عام ٢٣١ هـ والمبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ والزجاج المتوفى عام ٣١٦ هـ وابن النحاس المتوفى عام ٣٣٨ هـ وابن درستريه

(١) الاشتقاق : عبد الله أمين - مقدمة الكتاب - ص ٣ ، ٤ .

(٢) اللغة : ج . فندريس ترجمة الدواخلى والاصمعي ص ٢٢٦ .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية . ١١ ص ١١٤ (سنة ١٩٥٩ م) .

المتوفى عام ٢٤٧ هـ وابن خالوية المتوفى عام ٣٧٠ هـ والرماني المتوفى عام ٥٣٨٤ هـ ،
والزجاجي المتوفى عام ٤١٥ هـ .

ونستطيع أن نضيف كتاب مقاييس اللغة لابن فارس إلى كتب الاشتقاق وهو
معجم يتناول معظم مواد تلك اللغة في ضوء الاشتقاق . وكتاب معجم البلدان
ليافوت الحموي المتوفى عام ٦٢١ هـ . وأما كتب الاشتقاق المستحدثة فأهمها العلم
الخفيا من علم الاشتقاق لمحمد صديق خان المتوفى عام ١٣٠٧ هـ ، والاشتقاق
والتعريب لعبد القادر بن مصطفى المنبري عام ١٢٧٦ هـ وكتاب الاشتقاق لعبد
الله أمين .

وكتاب الاشتقاق لابن دريد لا يبحث في الاشتقاق بعامة ولكنه يبحث في
الأعلام واشتقاقها وأسماء القبائل واشتقاقها ولا نعدده يهتم بقبائل من اليمن —
أبناء بجلدته — وهو يبسط القول في المادة اللغوية التي اشتقت منها الأسماء ويفسر
الآثار الدينية والأدبية التي تشمل بمراءاها . ويدين 'نسب قبائل العرب وبطونها
وأفخاذها وقد عده محمد عبد المنعم خفاجي « أول كتاب من نوعه في متن اللغة
يحلل الأعلام ويشرح أصول اشتقاقها وأسماء المتشابهة منها (١) » غير أن وستنفلد
في مقدمة الاشتقاق يقول « الفكرة الرئيسية عند ابن دريد كما ذكر هي اشتقاق
الأعلام لا معرفة الأنساب ومن المعروف أن علم الاشتقاق من نقاط الضعف في
تاريخ الثقافة العربية لأن الاشتقاق يتطلب الاطلاع على مختلف اللغات المتقاربة
حتى تفهم مكانة الكلمة لغويا وعلاقتها بغيرها ومع ذلك لم تهتم أمة اهتمام العرب
بلغتها لذلك نرى أن بعض الشرح وتفسير الأعلام لا يظمن إليه » (٢)

(١) فصيح ثعلب والشرح التي عليه نشر محمد عبد المنعم خفاجي ص ٢١١

(٢) مقدمة الاشتقاق طبعة جراتنجن نشر وستنفلد ١٨٥٤ م

سبب تأليف الكتاب :

دفعت الغيرة العربية أن يرد على الشعوبية ونحوهم بعض مطاعنهم على العرب وترك ابن دريد يتحدث عن سبب تأليف الكتاب يقول في المقدمة : (وكان الذى حدانا على إنشاء هذا الكتاب أن قوما ممن يطعن على اللسان العربى وينسب أهله إلى التسمية بما لأصل له فى لغتهم وإلى ادعاء ما لم تقع عليه اصطلاح من ولدتهم وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينفذ عليهم فى الفحص عنها فعارضوا بالإنكار) . ويقول أيضا : (كان الاميون من العرب الذين نسخ الله عز وجل بدينه الذى اختصهم به الحبل وختم بملكهم الدنيا إلى انقضاء الاجل وهداهم لأفضل الدل فى جاهليتهم الجاهل وضللتهم العمياء لهم مذاهب فى أسماء أبنائهم وعبيدهم واتلادهم فاستشنع قوم إما جهلا وإما تجاهلا تسميتهم كلبا وكليبا وأكلب ، وخنزيرا وقردا ، وما أشبه ذلك مما لم يستفيض ذكره فطعنوا من حيث لا يجب الطعن وعابوا من حيث لا يستنبط عيب) (١) فابن دريد يرى أن يبين لهؤلاء القوم مذهب العرب فى هذه التسمية مبينا أسبابها معرجا فى ذلك على الاشتقاق . وذكر ابن دريد أن السجستاني قال : قيل للعتبي ما بال العرب سميت أبناءها بالأسماء المستشعبة وسميت عبيدها بالأسماء المستحسنة فقال لأنها سميت أبناءها لأعدائها وسميت عبيدها لأنفسها ويرى ابن دريد أن أجابة العتبي تحتاج إلى شرح يوضحها الاشتقاق .

وكانت الشعوبية قد ظهرت فى العصر الأموي — وقد أزهق الأمويون الموالى بكثرة الضرائب ولم يسروا بينهم وبين العرب فى الحقوق — وكانت النصبية القبلية قد ظهرت بعد حرب صفين ، وأخذ فريق منهم يفخر بحضارته الاسمية

نارة ويمثلهم إسماعيل بن يسار الفسائي (١) ، وكان يفاخر العرب بحضارة أمته
 الفارسية وملوكها السامانيين الذين غلبوا على الأرض ، والتف هؤلاء حول أبي
 مسلم الخرماني الذي مال إلى أن استولى على الخلافة وقامت الدولة العباسية واستطاع
 الفرس أن تكون لهم مكانة في الدولة العباسية وخاصة حين استولى البرامكة على
 زمام الحكم في عهد الرشيد وبنو سهل في عهد المأمون ، وكانت نزعة الشعوبية تقوم
 على مناصرة تلك الشعوب وخاصة الفارسي للعرب مناصرة مستمدة من الحضارة
 وما كان العرب فيه من بداوة وحياة خشنة غليظة ، وقد حاول المغالون منهم
 الإضرار من العرب وجعلوهم أدنى مرتبة وهؤلاء هم الشعوبيون الحقيقيون وبرز
 من الشعوبيين رجال سيامة وشعراء بحان خلعاء اعجبتهم الحضارات الأجنبية
 وما اقترن بها من خمر واستمتاع بالحياة . وقد طعنوا على العرب أنهم كانوا
 بدوا رعاة أغنام وإبل ولم يكن لهم ملك ولا حضارة ولا مدنية ولا معرفة بالعلوم
 وقد مضوا يزرون على خطابتهم واعتمادهم فيها على العصي وإشارتهم بها واتكأهم
 على أطراف القسي كما أزرروا على أسلحتهم الساذجة وأطعمتهم الخشنة (٢) ، وحاول
 الشعوبيون تقبيح تسميتهم الرائعة مثل الكرم ، وحاول البرامكة وآل سهل وآل
 طاهر بن الحسن أن يشعلوا نار هذه الشعوبية ، ونجد من يهتمون بالشعوبية أبا
 عبيدة اللؤلؤي الأخباري وكان يهوديا فارسيا ، ثم أسلم وقد حاول تسجيل مثالب
 العرب وبلغ من فساد رأيه أن طعن في بعض أسباب النبي صلى الله عليه وسلم
 وكان يرى رأى الخوارج وكان ديوان العربية في بيته وكان مع ذلك وسخا مدغول

(١) الأغاني للأصفهاني ج٤ ص ٤١٠

(٢) العصر العباسي الأول : دكتور شوقي ضيف ص ٧٦

الدين مدخول النسب « (١) .

وأهم شاعر أوقد نيران الشعوبية بشار بن برد ولجده ينسب نفسه من جهة أمه إلى الروم إذ يقول :

وقيصر خالي إذا عددت يوما نسي (٢)

ونجده بعد قيام الدولة الجاسية يتبرأ من العرب وولائهم ناسبا ولاءه إلى الله ذي الجلال يقول :

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم مولى للعريب فخذ بفضلك فافخر
ورغم ذلك فقد ظلت الروح العربية عالية خفاقة ذلك لأن الخلفاء والولاة
والفقهاء والمحدثين وعلماء اللغة ورواة الشعر وقفوا لها بالمرصاد ، وقد رد بعض
شعراء العرب على الشعوبية أصحابها . مثل أبي الأصبع الأموي في قصيدته لعبيد
الله بن طاهر حين افتخر في قصيدة له بنسبه من الفرس وقد رد بعض الموالى أنفسهم
على الشعوبية مثل الجاحظ في البيان والتبيين وابن قتيبة في رسالته التي سماها كتاب
العرب .

كتب ابن دريد إذن كتاب الاشتقاق ليشرح أسماء الرجال والقبائل العربية
مبتدئا باسم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليرد على الشعوبية انتقاصها للعرب .

منهج الكتاب :

يختلف منهج ابن دريد عن سبقوه في كتابته عن الاشتقاق فقد ابتدأ كتابه باشتقاق
اسم النبي صلى الله عليه وسلم أغريا ومن سموا باسم محمد في الجاهلية واشتقاق أسماء
آبائه - ﷺ - وقد سبق ابن دريد في الحديث عن الأنساب وبخاصة نسب قريش المصعب
الزبيري الذي وصل كتابه إلينا ونشره بر وفسال لكنه لا يتحدث عن اشتقاق الأسماء

(١) الفهرست لابن النديم ص ٨٦

(٢) ديوان بشار ج ١ ص ٢٧٧

والاعلا وقد بدأ كتابه بولد معد بن عدنان ، ولذا فانا نعتبر غيرة ابن دريد على العربية وحرصه على الحفاظ على الإسلام دفعه أن يبدأ الحديث باسم النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم هو يستعرض كل ما لديه من قوة لغوية ليكشف لنا عن ملكة لغوية بارعة وقد كتب الزبير بن بكار المتوفى عام ٢٥٦ هـ جمهرة نسب قريش وإخبارها الذي شرحه وحقه محمد شاكر عام ١٣٨١ هـ وهو لا يسير على نظام دقيق في اتباعه لنسب قريش لذا كان ابن دريد أول من كتب اشتقاقاً للاعلام مع شرحها لغوياً ويضاف إلى ذلك ما تحتاج اليه المادة اللغوية من تفسير ديني من قرآن كريم وحديث نبوي شريف لقد بدأ ابن دريد كتابه بذكر اشتقاق اسم النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم اشتقاق أسماء آبائه إلى معد بن عدنان ، حيث انتهى ، صلى الله عليه وسلم - بنسبه ثم قال « كذب النسابون » ولكن ماذا يعنى ابن دريد بقوله « كذب النسابون » أيتهمهم بالكذب في نسبهم العمودي للرسول صلى الله عليه وسلم إلى اسماعيل أم ماذا يعنى بقوله كذب النسابون وهذه قضية تحتاج إلى تحليل فقد اتفق النسابون على نسب النبي صلى الله عليه وسلم - إلى عدنان وفيما بعد عدنان اسماعيل عليه السلام فيه خلاف كبير ، ذكر ذلك ابن اسحاق صاحب السيرة وتابعه ابن هشام أيضا وقد منع بعضهم الرفع في النسب إلى عدنان . وقد كتب الفقه شندى عن هذا الموضوع وعزا قول ابن دريد « كذب النسابون » إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى عبد الله بن مسعود - وقال وهو الصحيح . يقول الفقه شندى في نهاية الأرب في معرفة انساب العرب « وقد منع بعضهم الرفع في النسب إلى عدنان تمسكاً بأنه ليس فى ما وراء عدنان إلى آدم طريق صحيح قال الفضاغى فى عيون المعارف فى اخبار بخلاف - وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا تجاوزا معد بن عدنان كذب النسابون ثم قرأ وقرؤنا بين

ذلك كثيراً ولو شاء أن يعلم عليه ، والصحيح أنه قول ابن مسعود . (١)

ويتحدث القاشندي في موضع آخر من كتابه عن بنى عدنان فيذكر أنها قبيلة من ولد اسماعيل وإنه اختلف في نسبهم إلى إبراهيم اختلافاً كثيراً ، فابن اسحق يرى نسبهم عدنان بن أود بن حقوم بن ناخر بن قرح بن يعرب بن رجب بن ثابت بن اسماعيل بن إبراهيم عليه السلام - ووافقه عليه البيهقي ؛ ونقل الطبري عن هشام بن محمد فيما بين عدنان وفيدار نحو أربعين أباً ومن النسابين من يعد بين اسماعيل وعدنان عشرين أباً وخمسة عشر أباً ونحو ذلك . (٢)

ويتحدث ابن دريد في كتابه عن أنساب العرب العدنانية والعظانية ويبين اشتقاق هذه الأنساب ورجال هذه القبائل في شرح كامل ويجمع المادة اللغوية المتعلقة بكل اسم وعلم أو قبيلة وأواد التي يحملها العلم المشتق في الرجوع به إلى سواء العربية ويوضح ذلك بتفسير كثير من آي القرآن الكريم .

فكتاب الاشتقاق اذن لاغنى عنه لمن يريد أن يضبط الاعلام العربية ويتبين هذا الضبط بشرح صرفي ومدلول لغوي ، ويعتد الأستاذ عبد السلام هارون أن ابن دريد كتب الاشتقاق والجمهرة في وقت واحد ذلك اقرب الشبه بين التأليف فيهما وأن ابن دريد كان يزاوج بينهما ويصل ما بين المؤلفين بالإشارة في كل منهما إلى الآخر .

(١) نهارة العرب في معرفة أنساب العرب للقاشندي مطبعة الرياض :

بغداد ج ٢١ ص ٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٥

مواد الكتاب

ينقسم الكتاب إلى جزأين يتحدث في الجزء الأول مبتدئاً باشتقاق اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآباء الرسول الكريم وأمهاته وأعمامه ثم ينتقل إلى اشتقاق أسماء العشرة المبشرين بالجنة وبيته بعد ذلك باشتقاق أسماء القبائل فيحدث عن بنى هاشم وعبد شمس وعبد الدار ومضر وقبائل تميم بن مر وهشل وعبد شمس ، وفي الجزء الثاني يتحدث عن قبائل قيس بن غيلان وربيعه وينتقل إلى الحديث عن قبائل اليمن من قحطان مثل طي و الأزد والأوس والخزرج ونسب تميم . ويختتم الكتاب باشتقاق أسماء يشتمل عليها الكتاب واما اشتق من أسماء الشجر وما يسمى وهو مشتق من أسماء الأرضين . وهو لا يعتمد أحياناً على نقل صريح الروايات مثل ما فعل عند حديثه عن اشتقاق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، روى بعض نقلة العلم أن الجبى - صلى الله عليه وسلم - لما ولد أمر عبد المطلب بحزور فنجرت ودعا رجال قريش وكانت سنتهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل كنوا عليه قدراً حتى يصبح كما فعلوا ذلك بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأصبحوا وقد اكتشفت عنه القدر وهو شاخص إلى السماء ، (١) وهو يتخرج صراحه عن الدخول في بحث اشتقاق لنظ الجلالة فيقول ، ، فأما اشتقاق اسم الله عز وجل فقد أقدم قزم على تفسيره ولا أحب أن أقول فيه شيئاً ، ، (٢)

وهو يستعين في شرحه الأسماء بآيات القرآن الكريم وقد يفسر بعض ألفاظها

وقد استشهد بآيات من القرآن الكريم فيما يقرب من مائة وثلاثين آية ولكنه قد ينسب الآية بوجه واحد بما يقارب تفسير العلم . قال مثلاً ،، في اشتقاق اسم عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم : ،، وقد سمى العرب عبداً وعبيداً ومعبداً وعبيداً ويمكن أن يكون اشتقاق عبیده ومعبد من العبد وهو الانف من قول الله عز وجل ،، تأنا أول العابدين أى الآنفين الجاحدين ،، (١) مع أن الآية الكريمة ولفظ العابدين الذى اعتمد عليها ابن دريد له شروح عدة . وقد استعان ابن دريد فى شرحه لاشتقاق الأسماء والقبائل بالحديث الشريف وقد بلغ حمة ما استشهد به من الحديث الشريف ما يقرب من واحد وتسعين حديثاً شريفاً وهو لا يذكر فى الحديث السند أو الراوى واعلمنا فلتتمس له المنذر إذ أنه يتحدث بأدلة فى محل الاستدلال لا دراسة الحديث نفسه ، ومن أمثلة ما استشهد به ابن دريد من الأحاديث النبوية المشهورة ،، الثيب تعرب عن نفسها (٢) ولكنه يأتى به ناقصاً فتمام الحديث ما رواه ابن احمه فى السنن ،، الثيب تعرب عن نفسها والبكر رضاها صحتها ،، وقد ذكر هذا الحديث عينه بصيغة أخرى حين تحدث عن يعرب . ولد قحطان مع اليمن وفى الحديث ،، والأيمن تعرب عن نفسها ،، (٣) ولم يكن ابن دريد ذا طول فى علم الحديث وكان يقول الحديث مرة ناقصاً وبروايتين دون الرجوع فى ذلك إلى الروايات وهذا ما نبهه أيضاً فى كتابه المجتنبى الذى منه حدث عنه . وقد استعان فى شرحه بالأمثال العربية أيضاً وذكر ستة وسبعين مثلاً فى كتابه مثل عسى الغرير أبؤسا ، ولا يقبل لقهر رأى ، وشب عمرو عن الطوق

١ - الاشتقاق ص ١٣٥

٢ - نفس المصدر ص ٣٢٤

٣ - نفس المصدر ص ٣٢٢

وأمثال أخرى تكشف عن قوة حفظه وسعة علمه وحرصه على إظهار الروح الدرية في كتابه ونجد ما يؤكد هذا أيضا ما يستشهد به من الشعر للحارث بن حلزة وزهير بن أبي سلمى والأعشى وذى الرمة وعبيد بن الأبرص وامرؤ القيس وغيرهم من الشعراء الجاهلين والاسلاميين . ونجده ينسب بعض الألفاظ الغريبة في اللغة وهذه حال ابن دريد في معظم مصنفاته . يقول مثلاً في اشتقاق الاسماء الالامية .

،، شنظير وعطرق ، مازيناه - واشتقاق شنظير من سوء الخلق -
 وحل شنظير والعطرق - الطويل المضطرب الخلق وخزعل اسم
 اشتقاقه من الخزعلة - وهو مثل الخذعة وهو الذى إذا مشى سقى
 التراب باحدى قدميه على الأخرى ،، (١)

أية ما يكون الأمر فالكتاب مصدر أساسى لمن يستشير في ضبط الاعلام والقبائل وتراث أدبى حفظه لنا أمثال العرب ونوادهم وهو إلى جانب ذلك يعتبر فذاً في كتابته عن اشتقاق اسماء القبائل والاعلام بطريقة لغوية وصرفية مستنداً إلى التفسير بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والشعر والأمثال والنوادر . وقد ذكر الامتاز عبد السلام هارون بعض النقد للكتاب من أخطاء لغوية مثل ،، والعافية تعيف القتل وقال أن صحة العافية اشتقاقها من عفا يعفر وفى قوله من اشتقاق حجران وإن كان من حج الشئ يحجه والصواب جحا يحجو وقوله مفاس مفعال من قام يقبس والصواب أنه من مقس . ويذكر أن النبى - صلى الله عليه وسلم - دعا على عتبة بن أبى لهب فقال ،، اللهم ساط عليه كلباً من كلابك فأكله الاسد مع أن عتبة قد أسلم وحسن إسلامه والصواب عتبة بن أبى واسع وقد وافقه على ذلك محمد عبد المنعم خفاجى فى شرحه للجزء الذى نشره

(٢) كتاب المجتني :

وهذا مصنف آخر لابن دريد - صغير الحجم - نشر الكتاب في حيدر أباد بالهند عام ١٣٤٢ هـ بتصحيح السيد هاشم الندوى ونشره قبل ذلك ف كرنكو . وراوى الكتاب أبو اليمن زيد الحسن بن زيد الكندى المتوفى عام ١١٣ هـ رواه عن أبي محمد عبد الله بن على المغربي النهري عن أبي منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين ابن عبد العزيز عن أبي الطيب محمد بن أحمد بن خاف بن خاقان عن أبي بكر ابن دريد .

والكتاب مختارات من الأقوال المأثورة ، ابتداء الكتاب بأقوال للرسول - صلى الله عليه وسلم - وما سمع عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه فعمر فعثمان فعلى فالحسن فعاوية ثم هدد بابا من كلام العلماء وكرر الباب مرة أخرى وباب من نوادر الفلاسفة وعيون الشعر المستحسن والآمال المنظومة الحكيمية .

سبب تأليفه الكتاب :

يتضح من قراءة الكتاب أن ابن دريد كتب المجتني ليزود الباحث بما يختاره من عيون الأقوال المأثورة مبتدئا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين وطرفا من كلام الحكماء ونوادر الفلاسفة وعيون الشعر المستحسن فهو يريد أن يعرض لنا في كتابه ما اختاره من الكلام المأثور والكلام المستحسن ليكون زادا لكل متعلم ونحن تعلم أن ابن دريد كان ينزع في بعض مؤلفاته إلى التعليم - أو يعلم الباحثين اللغة وعيون الشعر بل إنه كان مؤدبا لابن ميمكال وقصيدته المقصورة المشهورة تنهى عن نزعه التعليمية وأيضا أحاديثه الأربعين

المتناثرة في كتاب الآيات لا يلى على القالى تخبر أيضا عن نزعة تعليمية واضحة .

يقول ابن دريد في مقدمة الكتاب : « هذا كتاب يشتمل على فنون شتى من الاخبار الموزقة والالفاظ المسترساة والأشعار الرائقة والمعاني الفخمة والحكم المتناهية والأحاديث المنتخبة مميّناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه ظرائف الآثار كما تجتنى منه طائب الثمار ، (١)

منهج الكتاب :

عرض ابن دريد في كتابه لأقوال مختارة للرسول — صلى الله عليه وسلم — بطريقة مختصرة تحتاج إلى تعليق ، وقد صرح في مقدمة الكتاب أنه جرى فيه الاختصار إذا كان الاكثار مقرونا بالسآمة وقد قال من قبلنا لنا إذا كان الإيجاز عباً وخير الأمور أوسطها ، .

فهو ينهج في كتابه إلى الاختصار وهذا عهد في جل كتبه ماعدا الجهرة والاشتقاق فتجده في الملاحن وصفه السرج واللجام وصفة السحاب والغيث يميل إلى الاختصار أيضا ويذكر أنه ينهج في كتابه باستغناحه الحديث بما جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم ويقول : « وقد ضمنت هذا الكتاب أخبار أشعار سمعتها فعرونها إلى من سمعتها وأشياء قرأتها فيما قرأت من الكتب على أشياخنا رحمهم الله إجازة ومنها سماع ، (٢)

فهو يبين أمانته العلمية في نسب الشيء إلى قائله وحرصه على الحفاظ

(١) المصدر السابق ص ٣

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣

تقديمه الدين على أى شىء فهو يفتح كتابه بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم
وقد افتتح كتاب الاشتقاق كما رأينا من قبل باشتقاق اسم الرسول — صلى الله
عليه وسلم — .

مواد الكتاب :

ذكر ابن دريد بعد المقدمة عيونا من أقوال الرسول — صلى الله عليه وسلم —
ما يقرب من خمسين حديثا نزيها شريفا وقد ذكرها مختصرة لا يذكر رواة ولا مصنفها
بـند وهو يختار جزءا من الحديث ويذكر بعض الشرح والتعليق عليه . وإنا
لنحسب كيف يذكر ابن دريد أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — دون سند
ويذكرها مختصرة لا توضح المعنى المراد وكان الحديث قد دون في عهده واضطلع
البخارى ومسلم وغيرهما بجمع الحديث الشريف وتدريسه . وهو مأخذ نأخذه
على ابن دريد فمن الواجب عليه وقد افتتح الكتاب بأحاديث النبي صلى الله عليه
وسلم أن يذكر الحديث على الأقل مرويا عن صحابي أو يكمل الحديث ليتضح
المعنى . وهو يسهب في شرح بعض الأحاديث ويعرض بعضها دون شرح وأحيانا
يذكر أنه لا يعرف معناه مثل حديث « وقوله يا خيل الله أركبى » قاله صلى الله
عليه وسلم في بعض غزاه لا أدري في أيها . ويكرر بعض الأقوال المنسوبة
إلى الرسول — صلى الله عليه وسلم — مثل الحديث المشهور « الأعمال بالنيات »
يذكره هكذا ويذكره مرة أخرى قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من
عمله » . وقد جاء هذا الحديث الشريف في صحيح البخارى في باب ما جاء أن الأعمال
بالنية ولكل امرئ ما نوى حديث عبد الله بن مسleme قال أخبرنا مالك عن يحيى
ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن عاقمة بن وقاص عن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى » فمن كانت هجرته إلى الله

ورسوله فهجرتة إلى الله ورسوله ومن كانت هجرتة إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرتة إلى ماهاجر إليه . (١) وما ذكره في باب « ما سمي من النبي صلى الله عليه وسلم ، يشرح الحديث لغويا مثل قوله صلى الله عليه وسلم حتى الوطيس قال بعد أن ذكر مناسبته ، والوطيس حفيرة تحفر في الأرض شبيهة بالنور يخزن فيها والجمع وطس فإذا كانت حفيرة أعظم من الوطيس يستوى فيها اللحم فهي أذن والجمع أذن . وقد ذكر هذا الحديث الشريف ابن عبد البر في كتابه الدرر واختصار المغزى والسير في غزوة حنين « حين حملت هوازن على المسلمين وبأذى الرسول صلى الله عليه وآله المؤمنين (أما رسول الله يا عشرين الانصار يا أصحاب الشجرة أو يا أصحاب الشجرة ، واشتدت الحرب وكثر الطعن والجلاد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابته فنظر إلى مجتلد القوم فقال الآن حتى الوطيس وضرب على بن أبي طالب عرقب جل صاحب الراية أو فرسه فزع) (٢) وذكره ابن هشام أيضا صاحب السيرة في غزوة حنين مطولا . (٣)

وقد ذكر ابن دريد بعض أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم دون شرح لغوى أو شرح عام مثل قوله على الله عليه وسلم المستشار مؤتمن وحبك الشيء يحمي ويصم ، ويمضى ابن دريد فيذكر ما حفظه من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولكنه يمر سريعا على بعض كلامه دون شرح وهكذا عن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه — ولكننا نلاحظ أنه يأتي هنا بالرواية أو السند الذي روى عنه القول وربما كان ابن دريد يتعرج في ناحية الحديث الشريف حرصا منه على

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١١ طبعة الشعب .

(٢) الدرر في اختصار المغازى والسير لابن عبد البر تحقيق شوقي ضيف ص ٣٢٣

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٨٧ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦

عدم الخوض في أشياء قد يحجمها ولم يكن محدثا أو ذا طول في علوم الحديث ،
وتلاحظ أيضا أنه يذكر أقوالا مختصرة كثيرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وذكر أقوالا مختصرة للحسن بن علي رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان أيضا
وهو في حديثه في باب من كلام الحكماء يذكر حكما لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ،
وللأحنف ولا يذكر أسماء الحكماء الذين ينقل عنهم بقية الأقوال وهو ما تأخذه
علي ابن دريد من عدم الدقة فهو يقول ، مثلا وقال آخر (نكاية الأحران في القلوب
أبلغ في الأجسام من أثر السرور ونقصان الأجساد بالحزن أكثر من زيادتها
بالفرح) (١)

ونأتي إلى باب يميز به كتابه وهو من نوادر الفلاسفة وهو يذكر لنا أقوالا
مأثورة لسقراط ونيسر جانس والاسم كنندر وأرسطاطاليس وهيباجريس
وهيبوقريطس وأفلاطون ونعجب كيف استطاع ابن دريد أن ينقل إلينا هذه
الأقوال من نوادر الفلاسفة وهو أغرى قبح وأغلب الظن أنه حفظها وسمعها من
شيوخه رغم أنه لم يذكر من روى عنه هذه الأقوال . ولكن لماذا يذكر ابن دريد
هذه النوادر للفلاسفة وما هدفه منها ؟ وهذه قضية أخرى - ذلك أن العرب كانوا
قد ترجموا كثيرا من المصنفات اليونانية إلى اللغة السريانية ويذكر المسعودي أن
المنصور كان أول خليفة قرب الترجمة وهو أول خليفة ترجم له الكتب من
اللغات الأجنبية إلى العربية ومنها كتاب كلية دمنه وكتاب السند والهند وترجمت
له كتب أرسطاطاليس عن المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس
وكتاب الأثرمطيقى وكتاب أوقليدس (٢) . وقد شجع البرامكة الترجمة

(١) المجتني لابن دريد ص ٨ تحقيق إبراهيم

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ٤ ص ٢٤١

وعنوا بإعادة ترجمة بعض الكتب اليونانية التي ترجمت قبل عصرهم بحيث نكثرون أكثر دقة وانتقانا على نحو ما صنع يحيى بن خالد بكتاب المجسطى لبطليموس (١)، ونشطت الترجمة أيضا في عهد المأمون ومن أشهر المترجمين ابن مطر وقد اشتهر بتحريره لكتاب الأصول في الهندسة لأقليدس وكتاب المجسطى لبطليموس ويحيى بن البطريق وقد ترجم لافلاطون قصة خيماوس وترجم لارسططاليس مخنمرا في النفس وكتبه في الآثار العلوية وفي الحيران وفي التاليم. وكتب الدكتور على سامي النشار في انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي وهو يرى أن الفلسفة اليونانية لم تعرف أولا في عصر المنصور ولكنها كانت معلومة للمسلمين قبل ذلك ويكذب قصة حرق مكتبة الاسكندرية ويرى أيضا أنه خلال الترجمة من اليونانية إلى العربية حدثت في خلال هذا النقل بعض الأخطاء العلمية والفنية وحرقت بعض المذاهب واختلطت مذاهب بأخرى ونسبت مذاهب بأخرى ونسبت مذاهب لغير أصحابها (٢)، وهو يذكر لنا شيئا مما عرفه المسلمون من هؤلاء الفلاسفة مثل طاليس الذين عرفوا عنه أول فلاسفة أيونيا وأنه أول من حاول أن يفسر أصل الوجود (٣)، وعرف المسلمون فيثاغورس ويذكرون أن فيثاغورس كان يرى أن المبادئ منها الواحدة وهي الاله والخير وأنها من طبيعة الواحد وهي العقل ويذكر الدكتور على النشار المدرسة النحورية المالية ويعني بهم سقراط وأفلاطون وأرسطو وأما سقراط فقد احتل مكانة كبرى في العالم الإسلامي. لقد صوروه في صورة نبي أو قدیس — يحدث أبناء أثينا عن الوعد والوعيد والشراب

(١) العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ١١٢

(٢) نشأة الفكر النحفي في الإسلام ج ١ ص ١٠٦ دكتور على سامي النشار

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٧

والعقاب والخطيئة والقوة وتظهر أهمية سقراط في تاريخ الأمثال والأحاديث فقد وصل إلى المسلمين كثير من حكمه وانتشرت في كتبه الأمثال والحكم ، (١)

إذن فقد نقل ابن دريد حكم سقراط وغيره أيزود القاري بأفوال متنوعة — فجع ذكره أفوال للرسول صلى الله عليه وسلم وخاتمته الراشدين رضى الله عنهم وكلام الحكماء يذكر نوادر الفلاسفة ، ونجد ابن النديم يعقد بابا عن الفلاسفة فيذكر أفلاطون وكتبه وأرسططاليس ونسبه ويذكر كتبها كثيرة في المنطقيات والطبيعيات والالهيات والخلقيات فن كتبه المنطقية وهي ثمانية كتب قاطيغورياس معناه المقولات باري أرمانياس معناه العبارة أناطوطيقيا معناه تحليل القياس ، أبو رقيطا وهو أناطوطيقا الثاني ومعناه البرهان ، طوبيقا ومعناه الجدال ، وسنسطيقا ومعناه المناطيين ، وبطوريقا ومعناه الخطابة ، أبو طيقا ويقال بوطيقا معناه الشعر ، (٢)

ويذكر ابن النديم ترجمة لثاوفرسطيس وديوخس برمكس وفلوطرخس .

ومن أمثلة نوادر الفلاسفة التي ذكرها ابن دريد قال أرسططاليس إن الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال وقيل لبولس أي الحيوان لا يشبع فقال الناجر الذي يربح . وقيل لسقراط وثيمغوس أن غلاما شتمك بالغيث قال لو ضربني بالسياط وأنا غائب لم أبال غير إنا نثك في هذه النواذر لأن بعضها له صورة إسلامية كالقرل السابق ولكن ربما نقلها ابن دريد هكذا أو ما يذكره الدكتور على النشار أن الترجمة من اليونانية إلى العربية قد حدث فيها خلط واضطراب .

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٠ - ١

(٢) النهرست لابن النديم ص ٣٦١

ونجد الفويرى فى كتابه نهاية الأرب فى فنون الأدب يذكر نفس الأقوال التى ذكرها ابن دريد للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وشيئا من كلام الحكماء ولعله نقلها من كتاب المجتنى لابن دريد . ويختتم ابن دريد كتابه بباب من عيون الشعر والمستحسن والأمثال منسوبا إلى أصحابها كما أقر على نفسه فى مقدمة الكتاب فهيرى ذكر وأنشدنى عبد الرحمن عن عمه الأصمعى ستمضى مع الأيام كل مصيبة وتحدث أحداث تنسى المصائب

وأنشد علقمة بن عبد الله القسرى :

ألا ليت شعرى هل أبىتن ليلة لسعد ولما يخل من أهله سعدا
ودل اقبلن النجو أعتاق أبق وقد سال مسيا ثم من صاغة النجد

وأنشده :

صديتك حين تستعنى كثير ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحد إذا ما طوى عنك الزيارة عند ضيق

وأكثر الشعر حكم وأمثال عن الزمان والصديق .

وأخيرا وليس آخرا فالكتاب مجموعة نادرة من أقوال النبى — صلى الله عليه

وسلم — وخلفائه الراشدين ومتاوية وكلام الحكماء ونوادير العلاسفة وهو يزودنا بشقافة لغوية وثقافة عامة تفيدنا فى تراثنا المغربى .

(٣) كتاب الملاحن :

وهذا كتاب من نوع خاص - صغير الحجم - سماه الملاحن - ولم نعرف من علماء اللغة من ألف مثل هذا الكتاب إلا ما ذكره البغدادى فى خزانه الادب (١) ، فهو يذكر كتاب ابن دريد فى الملاحن وكتابا المنفيع البصرى يسمى المنقذ وذكر السيوطى فى المزهر عن كتاب الملاحن لابن دريد « وقد ألف فى ذلك ابن دريد تأليفا لطيفا وقد كانت العرب تعتمد ذلك وتقصدہ إذا أرادت التورية أو التعمية » (٢) .

وقد طبع الكتاب مرتين نشر الكتاب فى أوربا ثوربكة فى هيدلبرج عام ١٨٨م ونشر الكتاب فى مصر وصححه وعلق عليه وذيله بذيل ابراهيم اطفيش الجزائرى، والكتاب مجموعة من العبارات اللغوية يستخدم فيها ابن دريد مدعة أطلاعه اللغوية فيذكر العبارة بمعنى ثم يحولها إلى معنى آخر وعنوان الكتاب غريب بعض الشيء ولكنه يفسر لنا عنوان الكتاب وسبب تسميته فى مقدمة الكتاب فقال : « معنى قولنا الملاحن لأن اللحن عند العرب الفطنة وقيل لمعاوية أن عبید الله بن زياد يلحن فى كلامه فقال أو ليس بطريف ابن أخى يتكلم النارسية فظن معاوية أن الكلام معدولا عن جهته العربية ويستشهد بقول الفزارى

منطق صائب وتلحن أحيا
نا وأصح الحديث ما كان لحنا
يريد أنها تعرض فى كلامها وحديثها فتزيله عن جهته فجعل ذلك لحنا فسمى اللحن

(١) خزانه الادب محمود بن عمر البغدادى ج ٢ ص ١١٣

(٢) السيوطى : المزهر فى علوم اللغة ج ١ ص ٥٦٧ تحقيق محمد أبى الفضل وأخريين .

لحنا لأنه يخرج عن قصده (١). وقد أخذ ابن دريد هذا المعنى ليمتق مع ما يريد أن يشبهه في كتابه. وقد وردت مادة «لحز» في أغلب المعاجم بمعان مختلفة وكانت كلمة اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب، ظاهرة ظلت فترة معينة من تاريخ العربية، وإذا تلبسنا مادة اللحن في المعاجم العربية نجدهم يذكرون معاني مختلفة لها، فهذا ابن منظور يذكر في مادة «لحن»، «...» اللحن من الأصوات المصوغة الموضوعية ووجه ألحان ولحن ولحن في قراءة إذا غرد وطرب فيها بالحن، والمحن واللحن ترك الصواب في القراءة والنشيد بنحو ذلك ولحن له ياحن لحنا قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يحيله بالتورية عن الواضح المفهوم ومنه قولهم لحن الرجل فهو لحن إذا فهم وفطن لما يفطن له غيره وقول الطرماح:

وأديت إلى القرب عنهن زوله تلاحن أو تدنو لقول الملاحن

أى تكلم بمنى كلام لا يفطن له ويخفى على الناس غيرى وألحن فى كلامه أى أخطأ، (٢) أما البيت الذى يستشهد به ابن دريد وهو قول مالك بن أسماء بن خارحة النزارى:

منطق صائب وتلحن أحياء نا وخير الحديث ما كان لحنا

فقد ذكرته معظم المعاجم بمعنى «وخير الحديث من مثل هذه الجارية ما كان لا يعرفه كل أحد فإنما يعرف أوصافه وقيل معنى قوله وتلحن أحياء أنها تخطئ في الإعراب وذلك أنه يستعمل من الجوارى ذلك إذا كان خفيفا ويستعمل منهم لزوم حامد الإعراب.

وقد عقد يوهان فك في كتابه العربية ملحقا ذكر فيه مادة لحن وذكر أنه أول قول الشاعر: منطق صائب وتلحن أحياء نا وخير الحديث ما كان لحنا وقال: «ولما اشتهر لفظ اللحن في الاستعمال المتأخر بالمعنيين بالخطأ اللغوى والغناء وهم الجاحظ فظن أن الشاعر أراد أنها تلحن فى الكلام أى تخطئ»

(١) الملاحن لابن دريد تحقيق إبراهيم أطميش - المقدمة -

(٢) لسان العرب: ابن منظور: المجلد الثالث عشر مادة - لحن -

وأن اللاحق في الكلام كان يستحسن من النساء كما أملى ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ على تلاميذه تصحيحاً مدعوماً بالحجة للفسير الذي ذكره الجاحظ وصحح ذلك أيضاً العمري ، (١) رأيت أبا علي القالي وهو تلميذ ابن دريد يذكر رأى ابن دريد في تفسير البيت :

منطق صائب وتلحن أحياء نا وخير الحديث ما كان لحنا

قال : وهذا مذهب أبي بكر بن دريد في تفسير قول الشاعر منطق صائب وتلحن أحياء قال يريد يعرض في حديثها فتري له من جهة لتلايفهمه الحاضرون ثم قال وخير الحديث ما كان لحنا أي خير الحديث ما كان لحناً ، أي خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب أنهامه بحدوده وخفى على غيره ، (٢)

وملخص القول أن مادته لحن لها معان مختلفة وليس ما ذكره ابن دريد من أن معناه عدد الحرف الفطنة وقد ذكرت كتب الأدب أبواباً في الأعراب واللحن بمعنى الخطأ . مثل ابن عبد ربه في العقد الفريد فقال : قال عبد الملك بن مروان ، اللحن في الكلام أفصح من التمتع في الثوب والجدرى في الوجه وقيل له لقد عجل عليك أشيب يا أمير المؤمنين قال شيعي ارتقاء المسابر وترقع اللحن ، (٣)

ويذكر الجوهري في الصحاح : اللحن الخطأ في الأعراب يقال فلان لحن ولحانة أي كثير الخطأ أو التلحين التخطئة ، واللحن واحد الألحان واللحن ومه

(١) العربية : يوهان فاك : ملحق الكتاب مادة (لحن)

(٢) الأملاني لأبي علي القالي الجزء الأول ص ٦

(٣) "العقد الفريد" ابن عبد ربه ج ١ ص ٢٩٥

الحديث : اقرأوا القرآن بلحون العرب ، (١)

وقد جمع أبو على القمالي (٢) معنى اللحن في كتابه الامالى فذكر عنها : قال أبو بكر ابن الأنباري رحمه الله معنى قوله عز وجل ، ولتعرفنهم في لحن القول ، أى فى معنى القول وفى مذهب القول ، واللحن بفتح الحاء الفطنة وربما اسكنوا الحاء فى الفطنة ورجل لحن أى فطن ، . وذكر أبو على نصوصا فى معنى اللحن ، ومنه الحديث الشريف الذى يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلين اختصما اليه فى مواريث وأشياء قد ورثت فقال عليه السلام لعل أحكم أن يكون اللحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار فقال كل واحد من الرجلين يا رسول الله حتى هذا لصاحبي فقال لا ولكن اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحال كل واحد منكما صاحبه .

وهو يجمع لنا معنى اللحن بالمعنيين الخطأ والفطنة فيقول (٣) . يقال قد لحن الرجل لحنا فهو لاحن إذا خطأ ولحن يلمن لحنا فهو لحن إذا أصاب وفطن وتفهم من قول معاوية حيث قال للناس كيف ابن زياد فيكم قالوا ظريف على أنه يلمن قال فذاك أظرف له ذهب معاوية إلى اللحن الذى هو الفطنة وذهبوا إلى اللحن الذى هو الخطأ ، أن العرب كانوا يتركون أن اللحن إما أن يكون معناه الخطأ أو معناه الفطنة وذكر أبو على القمالي معنى آخر للحن وهو (اللغة) وهو رأى الإصمعي وأبي زيد الأنصاري ومنه قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه تعلموا

(١) الصحاح للجوهري ج ٢ باب النون فصل اللام

(٢) كتاب الامالى لابن على القمالي ج ١ ص ٦

(٣) الاغانى لأبي على القمالي ج ١ ص ٧ .

الغرائض والسنن واللحن كما تعلمون القرآن فاللحن اللغة .

وقد وصح ابن الأثير ما نقله عنه صاحب لسان العرب معنى اللحن والفرقة بين معنى الخطأ ومعنى الفطنة في قوله « اللحن الميل عن جهة الامتقاة » ، واللحن بفتح الحاء الفطنة قال ابن الأعرابي اللحن بالسكون الفطنة والخطأ سواء قال وعامة أهل اللغة في هذا على خلافه قالوا الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون (١) .

ونضيف إلى ما ذكره ابن الأثير أن اللحن كان في فترة معينة من تاريخ العربية بمعنى الخطأ وذلك باختلاط العجم بالعرب فألف العلماء كتباً في لحن العامة وأشعرهم الكسائي وكتاب لحن العوام لأبي بكر محمد بن حسن بن مذهب الزبيدي وقد وصلنا الكتابان وحقق كتاب الزبيدي دكتور رمضان عبد التراب .

هذا هو معنى اللحن فما معنى الملاحن ؟ ولم سمي ابن دريد كتابه بالملاحن ؟ جاء في ذيل الملاحن من النسخة المصرية « في النسخة الأوروبية وهي التي نشرها (ثريبكه) في هدايج عام ١٨٨٢م » الملاحن طرق من الكلام كان العرب تتممها إذا أرادت التعمية والتورية وهي من باب إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر « قال الخفاجي في شفاء العليل » ملاحن العرب الغاربا وهي الحاجة لأنها تهر بالحجي ، والمعاياة والرمز والمعنى والمتأخرون من الأدباء اصطلمحوا على التفريق بينها وهو ليس بأسر لغوي وقد يعاق على كتاباتهم كفولهم للجز أشعر وللهاء أشهب إلى غير ذلك (٢) .

(١) لسان العرب لابن منظور المجلد الثالث عشر مادة (لحن) .

(٢) كتاب الملاحن بتحقيق إبراهيم أطيش الجزائري لابن دريد

وهذا الكلام يحتاج إلى توضيح فلاشك أن هناك فرقا بين الالغاز والاحاجى
والكناية والتعريض والملاحن وإن كانت تتقارب في الهدف .

أما الكناية فهي « اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع
بين الكناية والمكنى عنه كاللنس والجماع فإن الجماع اسم موضوع حقيقى اللبس
كناية عنه ، (٢١) .

وأما التعريض « فكقول كعب بن زهير لرسول الله صلى عليه وسلم :
في فتية من قريش فال قائلهم يبطن دكة لما أسلوا زولوا
فعرض بعمر بن الخطاب وقيل بأب بكر رضى الله عنها وقيل برسول الله
صلى الله عليه وسلم تعريض مدح ومن أفضل التعريض مما يجمل عن جمع
الكلام قوله عز وجل (ذق إنك أنت العزيز الكريم) (٢٢) ، أى الذى كان يقال له
هذا أو يقوله وهو أبو جهل ، لانه قال ما بين جبينها - يعنى مكة - أعز منى
ولا أكرم وقيل بل ذلك على معنى الاستهزاء به (٢٣) .

أما الاحاجى وهى الأغاليط من الكلام وتسمى الالغاز وهى الطريق الذى
يلتوى ويشكل على سالكه ويسمى أيضا بالمعجى ويشبه بالكناية تارة وبالتعريض
تارة أخرى ويشبه بالمغالطات المنعوية فاللغز والاحاجيه كل معنى يستخرج

(١) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير ١ ص ٢٢٠ .

(٢) العمدة فى محاسن الشعر وادابه ونقده لابی الحسن بن رشيق القيروانى

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ١ ص ٣٠٣ .

(٣) سورة الدخان آية ٤٩ .

بالحدس والفكر . ومن أمثلة اللغز قول بعضهم في الخناخال (١) .

ومغرور بلا جرم مليح اللون معشوق
له قد الهلال على ما يمسح القد معشوق
وأكثر ما يرى أبداً على الامشاط في السوق

ومن أمثلة المنز قول بعضهم في القلم (٢) :

وأرشق مرهوف الشبابة مهنف يئمت شمل الخطب وهو جميع
تدين له ان فاق شرقا وغربا وتغنو له ملاكها وتطبيع
حى الملك مقابوفا كما كان تحتفى به الاسد في الآجام وهو رضيع
ومن أطرف الالغاز قول مجد الدين أبو الميمر الكنانى حيث قال لمغزاً في
البراغيث (٣) :

ومعشر يستحل الناس قتلهم كما استحلوا دم الحجاج في الحزم
إذا مسنكت دمائهم فاسنكت يدأى من دمه المسفوك غير دى

وقد فصل محمود بن عبد القادر البغدادى في خزانة الأدب (٤) . القول في
هذه الأنواع فقال : « وإذا اعتبرت الكلام من حيث أن قائله لم يصرح بغرضه
سميته تعريضا وكناية وأكثر أبواب الحياء من الناس مضطراً إلى مثله وإذا
أعتبرت من حيث أن قائله يؤمك شيئا ويريد غيره سميته لحنا وسميت
مسائله الملاحن »

(١) المائل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير ج ١ ص ٢٠ .

(٢) و (٣) حياة الحيوان الكبرى : كال الدين الدميرى ج ١ ص ٣ و ١٢٣ .

(٤) خزانة الادب محمود بن عبد القادر البغدادى ج ٣ ص ١٧٧ .

أما اللحن والملاحن فذكره ابن رشيق في العمدة فقال : اللحن وهو كلام يعرفه المخاطب بنحوه وأن كان على غير وجهه قال الله تعالى (ولتبرفهم في لحن القول) (١) ويذكر « ابن رشيق » أن الملاحن يسميه الناس في عصره المحاجة لدلالاته الاجتماعية وكل لغز داخل في الاحاجي .

ومجمل القول أن المصطلحات الكناية والتعريض والمحاجة واللغز والملاحن ذكرتها كتب الأدب والبلاغة بمكان مختلفة عن بعضها البعض الآخر لكنها تقترب كلها من معنى الاخفاء والتسمية وعدول اللفظ إلى معنى آخر وهذا هو الذي سار عليه ابن دريد في كتابه الملاحن .

سبب تأليف الكتاب

ذكر ابن دريد سبب تأليفه الكتاب في مقدمة كتابه فقال : « هذا كتاب الفناء ليفزع اليه المجبر المضطر على اليمين المكره عليها فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف ما يظهر ليسامه من عادته الظالم ويتخلص من حيف الغاشية ومسميناه كتاب الملاحن واشتققناه هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة التي لا يشوبها الكدر ولا يستولى عليها التكلف » ، (٢)

فابن دريد يريد أن يجد مخرجا عن طريق اللغة وألفاظها للمضطر على اليمين وهذه تهمة خطيرة نستطيع أن نوجهها إلى ابن دريد فهو يستخدم اللغة للخروج من حلف اليمين فإن كانت التهمة تخفف عنه في قوله « المضطرب على اليمين المكره عليها والشرع يبيح للمضطر أن يفعل أشياء مخالفة لاضطراره اليها ولكنها

(١) سورة محمد آية ٣٠ .

(٢) كتاب الملاحن لابن دريد تحقيق ابراهيم اطفيش (المقدمة) ص ١

مشروطة بشروط وتنبه تهمة ابن دريد في الملاحن مسألة الحيل الشرعية وقد
قوبلت في بعض أوساط اللغة بهجوم شديد - وكانت قد وضعت الحيل الشرعية
أساساً للتحايل على قلب طريقة مشروعة وضعت لأمر معين واستعملها في حالة
أخرى بقصد التوصل إلى إثبات حق أو منع ظلم أو إلى التبرير بسبب الحاجة وهذا
النوع من الحيل الشرعية لا يهدم مصالحة شرعية فهو إذن جائز في جميع المذاهب
الإسلامية .

ومجمل القول أن كتاب ابن دريد في الملاحن يشبه مسألة الحيل فهو يتساهل
أو يتسامح ويتحايل على اللغة للميل إلى معنى آخر ولعل هذه العبارات التي
ذكرها في كتابه دفعت من حقوقه إلى اتهامه بنفاق العربية مثل
الأزهري .

منهج الكتاب

لم يذكر ابن دريد منهجه في مقدمة كتابه (الملاحن) لكنا نستطيع أن نفهم
من حديثه في المقدمة أنه يستخدم اللغة ومعاني اللغة المختلفة داخل العبارة التي
تتحول إلى معنى أو يتخلص من معناها التي وضعت له إلى معنى آخر ليخلص
المضطر أو المجبر على اليمين المكره عليها ويستخدم في هذا المنهج مسعة حفظه
للغة ومعرفة استخدام الكلمة وكثرة مرادفاتنا ونلاحظ أحياناً أنه أثناء استخدام
بعض العبارات يكون المعنى الذي يريد قلماً مثل قوله

ووتقول والله ما للنلان عندي جارية ولا اغتصبته عليها يعنى سفينه قال الله
تعالى (وله الجوارى المنسآت في البحر) (١) فالجارية بمعنى السفينة لا تستقيم

مع قوله ولا اغتصبته عليها . وقوله « وتقول والله ما رأيت فلانا قط ولا كلمته
- فعنى ما رأيت أى ما ضربت رثته » . فلو افترضنا أن شخصا يقف أمام قاض
يحلف يميناً مثل هذا اليمين ثم يقول للقاضى « والله إنى لا أقصد أنى ما رأيت فلانا
بمعنى الرؤية ولكن بمعنى أنى لم اضربه على رثته فإن القاضى لا يسلم بقوله .

وأكثر عبارات ابن دريد فى الملاحن تبعيد المعنى ولا بدنيه . وهذه أمثلة من
عباراته يقول

(١) والله ما أملك كلباً وهو المسهار فى قائم السيف ولا فهدا (وهو
المسهار فى وسط الرجل ولا شعيرة رهى رأس المسهار من القصة ولا حنوان وهو
دبس الرطب .

(٢) ويقول ولا ضربت له يداً وهى واحدة لا يادى المصطنعة ولا رجلاً رهى
القطعة العظيمة من الجراد - ولا أخبرته أى ما زعمت له خبرة وهى شاة يشتريها
قوم يقتسمون بينهم .

فى المثال الأول نجد البعد الكبير بين معنى الكلب وهو الحيوان المعروف
وبين الكلب وهو المسهار فى قائم السيف وبين الفهد وبين المسهار فى وسط الرجل
وأى تقارب فى المعنى نستطيع أن نألفهم بين «صقر وبين دبس الرطب . وبين
الرجل وبين القطعة العظيمة من الجراد وبين قوله وأخبرته وبين ما زعمت له خبرة
وهى الشاة يشتريها قوم يقتسمون بينهم

وابن دريد يستشهد فى كتابه ببعض الشعر قال مثلاً

وتقول « والله ما أخذت من فلان عسلاً ولا خلا فالعسل عدو من عدو
الذئب والخل الطريق فى الرمل ويستشهد بقوله الراجز

إذا الثريا طلعت عشاء فبيع الراعى غنم كساء

وآية ما كان الامر فالكتاب مجموعة من العبارات يستخدم فيها ابن دريد سعة عليه باللغة يكشف لنا عن معاني العبارات بمعان مختلفة وقد أفادنا ابن دريد بهذه المعاني والألفاظ المشتركة والمتضاربة ونستطيع أن نستخدمها في استعمالات أخرى من كناية وتعريض وغير ذلك رغم ما تعيب عليه في بعض عباراته أو صيب تأليف الكتاب .

والكتاب يمكن أن يعد نوعاً من المعاجم التي نرجع اليها في رصد المعاني غير المألوفة للألفاظ التي يتضمنها وقد نستطيع أن نفيد منه عند بحث تدرج هذه المعاني وظروف استعمالها .

(٤) كتابا صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث:

مقدمه :

كتابا صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث رسالتان صغيرتان لابن دريد وقد ذكر أصحاب التراجم هاتين الرسالتين بأسماء مختلفة فيذكران باسم المطر أو الرواد مرة أو زوار العرب — ورواة العرب وقد ذكرهما ابن النديم في الفهرست تحت عنوان « كتاب السرج واللجام وكتاب صفة السحاب والغيث » (١).

ونشر ولیم رایت الرسالتين مع مجموعة سماها مجموعة «جزرة الحاطب وتحفة الطالب» في لندن عام ١٨٥٩م وتشمل المجموعة رسالتی ابن دريد وكتاب تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها لابن كيسان ومقطعات مرات لبعض العرب مروية عن ابن الاعرابي .

الرسالة الاولى — صفة السرج واللجام — صغيرة الحجم والثانية — صفة السحاب والغيث — أكبر منها ويعتمد فيها ابن دريد على ما قاله العرب في وصف السحاب والغيث ، والرسالتان من مجموع الرسائل التي سبقت ظهور فن المعاجم العربية اللغوية وكانت هذه الرسائل مجهوداً مبكراً قام به علماء اللغة في عصور مبكرة من تاريخ العربية يحافظون به على اللغة من اللحن واختلاط العجمة بها وكانت الفتوحات الاسلامية قد أوجدت طبقة من الناس لا يحسنون العربية مثل الموالي والزنوج وغيرهم وشاع اللحن حتى تحدث به بعض العلماء مثل الوليد

بن غبد الملك فما كان من علماء اللغة إلا أن شتموا عن ساعد الجد ينهضون بالتأليف في متن اللغة وجمع كلماتها ، رقد أختلف الباحثون المحدثون في هذه الرسائل وأسبقها وأولوية تأليفها فعلى حين يذكر أحمد أمين في ضحى الاسلام (١) ، ثلاث مراحل لجمع اللغة الأولى جمع الكلمات حيثما انفق فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر ويسمع كلمة في أسم السيف وأخرى في الزرع والبيات، وغيرهما في وصف الفتى أو الشيخ إلى غير ذلك فيدون ذلك كله حيثما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع .

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد كالحدوث بجمع أحاديث الصلاة وأحاديث البيع . الخ توجت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد ، فألف أبو زيد كتابا في المطر وكتابا في اللبن والاف الاصمعي كتبها كثيرة صغيرة كل كتاب في موضوع فكتاب في النخل والكرم وكتاب في الشاة . الخ .

المرحلة الثالثة : وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى الكلمة .

ويتفق الدكتور حسين نصار (٢) مع أحمد أمين في تقسيمه لهذه المراحل الثلاث التي نظمت جمع اللغة ولكنه يخالفه في مناقشته لعملية التسلسل الزمني لهذه المؤلفات فقد رأى أحمد أمين أن التحليل راعى الفكرة الثالثة كان أمبق

(١) ضحى الاسلام — الجزء الثاني — أحمد أمين ص ٢٦٤ طبعة النهضة المصرية ١٩٦١ .

(٢) المعجم العربي : الدكتور حسين نصار الجزء الأول ص ٣٥ .

زمننا من أبي زيد والأصمعي وغيرهم من واضعي الفترة المأثية وهو يرد على هذا السؤال بأن الثلاثة الخليل والأصمعي وأبا زيد تعاصروا زمننا طويلا (١) .

يرد الدكتور حسين نصار بأن التسلسل الزمني معقول نظريا لا عمليا ويرى أن المرحلة الأولى اختلطت فيها عدة دراسات حول "قرآن والحديث ورسائل أخرى ينظم ق عليها وصف هذا البياض ، وهي كتب النوادر والأمالى وكان أكثر اللغويين "تقدماء" يملكون على تلاميذهم من معارفهم بلا نظام معين (٢)

ويذهب المرحوم الدكتور محمد أبو الفرج إلى أن البداية المعجمية التي ابتدأ بها العرب كانت حول دراسة الكلمة بالنسبة للقرآن الكريم . فقد كانت من الفاظ القرآن ما هو غريب على بعض العرب ليسأل الجاهل منهم عنه البارف فيفسر العارف بطريقة الخاصة ما استغلّق على السائل وكان من أول الذين عرفوا في هذا الشأن عبد الله بن عباس الصحابي المتوفى عام ١٨ هـ وله كتاب يسمى غريب القرآن ولكنه يشك في نسبة الكتاب إليه .

وقد ذهب دكتور إبراهيم نجا في كتابه « المعاجم اللغوية » (٣) إلى أن تسجيل اللغة قد سلك طرائق مختلفة ويرى أنه قد بدأ أولا بتأليف رسائل خاصة في الالفاظ والمعاني وهذه أسبق المراحل اللغوية وقد تبعها كثير من الثقات مثل

(١) ضحى الاسلام : أحمد أمين : الجزء الثاني ص ٢٦٤ .

(٢) المعجم العربي : نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج١ ص ٣٥ .

(٣) المعاجم اللغوية دكتور إبراهيم نجا ص ١ مطبعة الموسكى ١٩٦٨ .

الأصمعي في أسماء الوحوش والغابات والشجر وأبا حنيفة الدينوري في الأنواء والنبات ثم اتجه العلماء إلى إيراد الألفاظ المروعة لمختلف المعاني مثل كتاب الألفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٥٢٤هـ، والألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى عام ٥٣٧هـ ومبادئ اللغة للاسكافي المتوفى عام ٥٤٢١هـ وبقه اللغة للنعالي المتوفى عام ٥٤٢٩هـ والمختصر لابن سيده المتوفى عام ٥٤٠٨هـ. ثم اتجه العلماء إلى إخراج مؤلفات تجميع الألفاظ بطريقة خاصة وتشرحها شرحاً دقيقاً مؤيداً بما يدعم وجهتهم من القرآن والحديث وفصيح الشعر، وذكر دكتور إبراهيم نجا أن لفظ معجم لا يعرف على وجه التحديد متى أطاق ومتى شاع ويقال أنه أطلق أولاً على معجم الصحابة لابي يعلى وتبعه المغزى في كتابيه الذين ألفها في أسماء الصحابة وأطلق على أحدهما المعجم الكبير وعلى الآخر المعجم الصغير ثم شاع إطلاق هذه اللفظة على الكتب الجامعة من حديث وأدب وتاريخ وغيرهما كمعجم الأدباء والبلدان لياقوت الحموي.

لكن هذا الرأي الذي ذكره دكتور إبراهيم نجا لا يقترب من الصواب فقد ذكر أن ثمانية المراحل وهي إيراد ألفاظ موضوعة لمختلف المعاني وذكر كتاب الألفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٥٢٤هـ فكيف يسبق الخليل وقد توفي الخليل قبله بكثير. ورأينا كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وقد توفي عام ٥٣٧هـ كيف يبقى ابن دريد في الجهرة وقد توفي عام ٥٣٢١هـ ومثل ذلك يقال عن مبادئ اللغة للاسكافي المتوفى عام ٥٤٢١هـ، والنعالي في فقه اللغة وقد توفي عام ٥٤٢٩هـ. ونرجح أصح الآراء التي ذكرها أحمد أمين وصححها دكتور حسين نصار وتابعه دكتور محمد أبو الفرج. شارك ابن دريد إذن في المراحل الأولى لجمع اللغة وكانت مشاركته بهاتين الرسالتين سمة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث وشارك بكتب أخرى عن غيرها الزمن منها كتاب غريب القرآن وغريب الحديث.

(١) كتاب صفة السرج والمجام :

أهتم اللغويون في المرحلة الأولى بجمع اللغة بالتأليف في الخيل والأبل لما لها من أهمية خاصة عند العربي ، فالخيل عنده عدته للقتال وزينته يفتخر بها أمام الناس والأبل وميلة المواصلات الرئيسية وكان الشعراء في الجاهلية يفتخرون بخيالاتهم مثل امرئ القيس وغنيرة الذي كان قد وضع لفرسه اسما وكان يحاوره الحديث . وكان العربي يصون الخيل ويكرمها حتى أن الرجل ليبيت جائعا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده .

يقول هشام بن محمد بن السائب في مقالة كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام «كانت العرب ترتبط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفه بفضلهما وما جعل الله تعالى فيها من العز وتشرفا بها وتصبر على المحمصه واللاواء ... وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد ، وتفتخر بذلك في أشعارها فلم تزل على ذلك من حب الخيل ومعرفة لأفضالها حتى بعث الله نبيه عليه السلام فأمره الله باتخاذها وارتماطها ، (١) .

وقد بلغ من اهتمام اللغويين بالتأليف في الخيل إلى الكتابة في أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها مثلما فعل ابن الكلبي في كتابه أنساب الخيل في الجماعة والإسلام وأخبارها وهو يتحدث عن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم «لواز ولحافى والمرتعز والسلب واليهسوب» .

ويتحدث عن داحس والخبراء وعن خيل للعرب مشهورة » .

(١) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها لابن الكلبي تحقيق دكتور أحمد زكي ص ٦ - الدار القومية للطباعة ١٩٦٥ .

ومن مؤلفي الخيل في المرحلة الأولى النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤ هـ وأبو عمرو الشيباني المتوفى عام ٢٠٦ هـ وابنه عمرو بن أبي عمرو الشيباني المتوفى عام ٢٤١ هـ والتوزي المتوفى عام ٢٢٣ هـ والرياشي المتوفى عام ٢٥٧ هـ وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠ هـ وله ثلاث كتب في الخيل وأسماءها وحضرها ..

وفي القرن الرابع نجد من مؤلفي الخيل ابن الأنباري المتوفى عام ٣٠٤ هـ والرجاج المتوفى عام ٣٢٠ هـ واليزيدي المتوفى عام ٣٤٠ هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ وأبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء المتوفى عام ٣٢٥ هـ وأبو علي القالي المتوفى عام ٣٥٦ هـ هذا عن المؤلفين وقد ذكر أبو علي القالي في كتاب الأملاني شيئاً عن ترتيب أسنان (١) الأبل وأسمائها وكرام الأبل وما يستحب طوله وقصره (٢)، من الفرس وما يستحب من الفرس هذا وقد جمع الثمالي (٣) بعضاً من أوصاف الفرس بل الكرم والعتق وأوصاف الفرس التي جرت بحرى التشبيه وخصص ابن سيده (٤) في التخصيص فصلاً عن الفرس وأوصافها وغير ذلك نجد من كتب الإبل التي كانت تنقل عن الآخرين فأبها لا تخلو من وصف للفرس والأبل

(١) أما ابن دريد في كتابه صفة السرج واللجام فإنه يختار أهم شيء للفرس وهو ما يجعله معداً للقتال أو الركوب وهو السرج واللجام وقد ذكر ابن النديم (٥)

(١) كتاب الأملاني لابن علي القالي ج ١ ص ٣٣

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٥ و ٢٥٢

(٣) فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثمالي ص ٢٣٩

(٤) التخصيص الجزء التاسع لابن سيده ص ٩٤

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٨٦

أن لأبي عبيده معمر بن المثنى كتابين هما كتاب السرج وكتاب اللجام ولم يصلنا الكتابان .

سبب تأليف الكتاب ومنهجه فيه :

لم يذكر ابن دريد في مقدمة الكتاب سبب تأليفه الكتاب وقد اعتاد أن يذكر في مقدمة كتبه سبب تأليفه ونعتقد أن سبب التأليف واضح فلا حاجة لذكره أو ربما كتب مقدمة وضاعت فهو يدخل في الموضوع مباشرة دون تمهيد .

أما منهجه في الكتاب فقد قسم الكتاب إلى قسمين قسم يتحدث فيه عن السرج وتعريفه وأنواعه ونلاحظ هنا أنه لا يفسر المادة لغويا كمعاداته بل إنه أحيانا يحلل الكلمة صرفيا ومثال ذلك ما قاله والقروس في وزن مفعول وهي مقدمه ومؤخره ، (١)

وقال في موضع آخر د ثم المشيرة غير مهموز وهو ما تمشى ظهر السرج بين القربوسين ونهى عن ركوب المياثر الضمر وأصلها من قولهم فراش وثير إذا كان كثير الحشو وكان في الأصل يؤثره فقلبت الواو ياء لكسرة الميم لأنها ميم مفعلة)
والقسم الثاني من الكتاب عن وصف اللجام ، ومن صفاته للسرج يصف القربوسين من السرج وهي بمنزلة السرخين من الرجل وخشبة القربوس يسمى القبقب ويصف بعض أجزاء السرج فهناك الابزيم وهي حلقة تعطف ويكون وسطها حديدته شبيهة بفأس اللجام صغيرة تدخل في الثقب وفي الحزام سير دقيق يعقد بالحلقة الثانية التي تشد فيها الطية يسمى الاطنابه .

(١) كتاب صفة السرج واللجان ضمن مجموعة جرزة الخالع والنفحة الطالب

ومن وصفة للجام ، اللجام (١) هو الحديدة التي في فم الفرس ثم كثر في كلامهم حتى سمي اللجام بسيوره وآلته لجاما - وفيه السكينة والمسحل وهو حديدة تحت الحنك وفي اللجام الفراستان وهي الحديدتان اللتان يشد بهما أطراف العذارين . .

ويستعين ابن دريد في شرحه بالشعر وقد لا يأتي بالبيت كـ لا قال مثلاً :
وفي الحزام أيضاً ابنزيم قال الشاعر :

يدق ابنزيم الحزام حشمة

وقد لا يذكر اسم الشاعر كما ذكر في قوله (٢) والسير الذي يجمع بين الخياصتين الطية والجمع طباب وأنشد :

ارته من الحرباء في كل موطن طبابا فأواه النهار المراكد

وشرحه في الكتاب غامض بعض الشيء فهو لا يذكر اشتقاق الأسماء الذي يذكرها وهو ينقلها نقلاً وربما حفظها ابن دريد عن شيوخه ولكنه أمين في نقلة ورغم عدم وضوح شرحه وتفسيره فإن الكتاب تراث خالد لجمهور اللغويين الأول في مرحلة جمع اللغة الأولى والتي شارك فيها ابن دريد مشاركة فعالة .

(١) صفة السرج واللجان لابن دريد ضمن مجموعة جرزة الحاطب وثمفة الطالب اشرف وايم رايت ص ٧
(٢) المصدر السابق ص ٢

كتاب صفة السحاب والغيث

كتب ابن دريد هذه الرسالة في مرحلة جمع اللغة الأولى واختار السحاب والغيث لما للسحاب والمطر من أهمية عند العربي، فالعربي ينتظر الغيث ويتمناه فهو يعيش في صحراء لا انهار فيها فالمطر حياته ومصدر رزقه منه يشرب وبه يزور بعض ما يأكل منه وأحب العربي الرياح التي تحمل الخير مثل ريح الصبا. وكره الرياح الخبيثة ورأينا من أصباب الصراع بين القبائل قتالهم حول الماء بل أن شاعرهم كان يعتز بأن قومه يردون الماء قبل غيرهم فهم يشربون الماء صفوا لا كدر فيه، قال عمرو بن كلثوم:

ونشرب أن وردنا الماء صفوا ويسرب غيرنا كدرا وطيا

وقد يكون منمنى البيت أنهم مقدمون في كل شيء سابقون لغيرهم من القبائل واختار الماء لأنها صلة الصراع ومصدر الخير، وجاء الإسلام وانتشر وفتح بلاداً كثيرة جلبت الخير للمسلمين وكانوا سادة العالم آنذاك ورغم ذلك فقد حدثت أزمات للمسلمين مثل عام الرمادة عام ثمان عشرة للهجرة في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان من أسبابها عدم نزول الغيث، ولذلك عرف الإسلام صلاة الاستسقاء وفيها يطالبون من الله تعالى المطر ليعيشوا. عرف ابن دريد بذلك أنه ما للمطر من أهمية عند العرب فكتب فيه ولا نعرف أحداً اختار هذه الصفة (صفة السحاب) الحامل للمطر ولكننا نجد أهم كتب المطر وهو كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري م ٢١٠ هـ وقد وصلنا كتاب أبي زيد ونشر مفردا ونشر مع مجموعة بإسم اللغة في شذور اللغة بإشراف أوغست هتر وتحتوى المجموعة على كتاب النبات والشجر للأصمعي وكتاب النحل والكرم للأصمعي وكتاب المطر لأبي زيد

الأنصارى ونجد بعد ابن دريد من ذكر عن المطر والسحاب ، الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية ، وخصص ابن سيده في معجمه المخصص فصلا عن السحاب والمطر وذكر النويرى في نهاية الأرب بعضها عن أمور المطر والسحاب ولكن كل هؤلاء كانوا نقلة عن أبي زيد والاصمعي وابن دريد ، فلا زهد الأنصارى وابن دريد فصل السبق والتأليف .

سبب تأليف كتاب صفة السحاب والغيث ومنهجه فيه

يذكر ابن دريد في مقدمه الكتاب سبب تأليف الكتاب ومنهجه فيه فيقول في مقدمة الكتاب « هذا كتاب جمعنا فيه ما ذكرته العرب في جاهليتها وإسلامها من وصف المطر والسحاب وما نعتته الرواد من البقاع وزغب إلى الله عز وجل في التوفيق للصواب »

وفي هذا الكتاب نجده ينقل عن العرب ويذكر أحاديث للاعراب ثم يشرحها ويفسرها لغريا فمهمته في هذه الرسالة كانت التفسير والشرح لما نقله عن الأعراب ونلاحظ أن ابن دريد ابتداء كتابه بحديث النبي - ﷺ - عن السحاب وقد ذكر أبو على القالى هذا الحديث في كتابه الأمالى (١) وتلك ملاحظة نستدل بها لى تقدم علوم الدين عند ابن دريد على غيرها كما رأينا ذلك عنده في كتاب المحتنى وكتاب الاشتقاق ويتخذ ابن دريد من الأحاديث التى يروها ما يتعلق بالسحاب والغيث فيفسرها وقال ذلك ماذكروا فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم - حين قالوا يا رسول الله هذه مسجاة فقال : كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد

استقامتها ذكر تفسير العبارات فقواعدها : أسافلها ورحاها وسطها ومعظمها
وبواسقها أعاليها (١)

وهكذا يستمر في تفسير الألفاظ فيشرحها باختصار تارة وبإسهاب تارة
أخرى ثم يختار ابن دريد أحاديث لبعض الترب عن السحاب والمطر يراها
الأصمعي أو أبو حاتم السجستاني ولا يلاحظ أنه يختار ما يكون من الأحاديث التي
تتملىء بغريب اللغة فيشرحها وينسرها ومثال ذلك ما ذكره من حديث معمر
بن حماد مع ابنته حين سمع رعداً وقال لها ما ترين فقالت أراهما حمام عقافة كأنها
حولاء ناقة لها سيروان وهدروان فقال مرى ولا بأس عليك .

وينسب ابن دريد هذه الألفاظ فيقول : « قولها حمام عقافة : الحمام السوداء
تغرب إلى الحمرة والمقافة تنعق بالبرق والحولاء جلدة رقيقة تقع على سليل الناقة
كأنها مرآة »

فمهمته في الرسالة كانت تفسيراً وشرحاً للألفاظ الغريبة عن السحاب ، وتحدث
ابن دريد عن السحاب فذكر السد وهو السحاب الذي يسد الأفق والعموارق وهي
قطع من السحاب تتفرق عنه واليه يذهب هو ما تدلى من السحاب ، والسحاب
العارض والرباب وهو من السحاب تراه كأنه متعاقق والفرقة وهي القطعة من
السحاب صغيرة ومن المطر الديمة وهو المطر يدوم أياماً في سكون والطبق من
المطر الذي يطبق الأرض والمربع الذي يمرع أي يخضب والمخرج الذي تسمع
لرعداه جلجلة والمسحفر الجارى والسح الصب والسفوح المنسفع .

(١) كتاب صفة السحاب والغيث ص ٢ (صحن بمجموعة جرزة الحاطب)

ونلاحظ أن ابن دريد لا يسير على منهجه الذي ذكره في المقدمة فهو يذكر أنه جمع أخبار ما ذكرته التربة في جاءيتها وإسلامها من وصف المطر وما نعتته الرواد وهو يشرح هذه الأخبار أو لا يشرحها رغم حاجته للشرح فمنهجه مضطرب بعض الشيء ورغم هذه العيوب فإننا نتخذله عذره بأنه حاول أن يجمع ما استطاع جهده من أحاديث العرب وهم أهل البادية التي كان ينتقل إليهم العلماء وينقلون عنهم وهم أهل الفصاحة وكان العلماء اللغويين يقضون بهم أوقاتا كثيرة بل بلغ الأمر بعد ذلك أن العلماء كانوا يرسلون أولادهم إلى البادية ليتعلموا العربية الفصيحة ، وإذا كان ابن دريد قد ذكر في شرحه كثيرا من غريب اللغة فإننا نلاحظ أيضا أنه ذكر أحاديث يكثر فيها البديع وهي أحاديث مسجوعة منسقة مرتبة . وهذا يؤيد ما ذكر من قبل عن تمهيدته لنظم المقامات في الأدب العربي .

وإذا ألقينا نظرة على كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري الذي نشر مع مجموعة كتب الاصمعي ، نرى منهجه يختلف عن منهج ابن دريد فهو يذكر في مقدمة كتابه فقرات المطر ومراحله قال ، قال القيسيون أول المطر الوسمي وأواؤه العرقوبان المؤخرتان من الدلو ثم الشرط ثم الثريا وبين كل نجمين نحو من خمس عشر ليلة ثم الشترى بعد الوسمي ، ، (١) .

وهو يذكر لنا أول أسماء المطر المنقط وهو أضخر المطر والراذاذ وبقية أسمائه مثل الطش والديمة والذباب وغير ذلك .

(١) مجموعة البلغة في شذور اللغة تحترى على كتب للاصمعي وكتاب المطر

لأبي زيد ص ٢ ، نشرها أوغست هفتر بهروت .

ويذكر لنا من أسماء السحاب — الغيمة — الغراء — السماء — والخلق وغير ذلك .

فكتاب أبي زيد الأنصاري تعريف لأسماء المطر والسحاب دون تفسير هذه الأسماء وبذلك يتميز ابن دريد بالشرح والتفسير .

وقد ذكر النعالي في فقه اللغة من أوصاف السحاب عن أكثر الأئمة :

« أول ما ينشأ السحاب فهو النشء ، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب فإذا تغيرت له السماء فهو الغمام فإذا أظلم السماء فهو العارض ، (١) »

ففي أمطار الأزمنة يروى عن ابن عمرو والأصمعي : « أول ما يبدو المطر في إقبال الشتاء فاسمه الخريف يليه الوسمي ثم الربيع ثم الصيف ثم الحميم » .

وفي تفصيل أسماء المطر وأوضاعه عن أكثر الأئمة : « إذا أحيا الأرض بعد موتها فهو الحياء فإذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة اليه فهو الغيث فإذا دام مع سكون فهو الديمة ... الخ ، (٢) »

وما ذكره النعالي فهو منقول عن اللغويين الأولين ولكنه يرتب هذه الأوصاف ترتيباً منتظماً .

أما ابن سيده فقد ذكر في معجمه المختص وصفاً للسحاب والمطر ويتميز ابن سيده وهو أيضاً جامع وناقل عن غيره من العلماء — أنه لا ينقل إلا من الثقة مثل الخليل وابن الأعرابي وابن دريد وغيرهم . يقول ابن سيده : « في السحاب

وأنواعه - صاحب العين - سميت سحابة لانسحابها في الهواء - أبو عبيدة - الدجن
 اظلال السماء الأرض - ابن دريد الجمع ادجان ودجون وليلة مدجان ،، أما عن
 المطر فقال : ،، أبو زيد الرش المطر الخفيف القليل ... الخ ،، (١)

ونستطيع أن نقول أن ابن دريد وأبا زيد كانا مصدرين لكل من كتب في
 المطر والسحاب مثل الثعالبى في فقه اللغة وسر العربية وابن سيده في المخصص
 والنزيرى في نهاية الأرب .

(١) معجم المخصص لابن سيده الاندلسى المجلد التاسع ص ٩٣ طبعة بولاق

الديوان

ديوان ابن دريد :

مقدمة :

نشر ديوان ابن دريد بالقاهرة عام ١٩٤١ م وقام بتحقيق الديوان السيد محمد بدر الدين العلوي أستاذ اللغة العربية في الجامعة الإسلامية - عليكرة - وقام المحقق بمجهود فجمع شعر ابن دريد من كتب الأدب المختلفة التي تناثر فيها أشعار ابن دريد وأهم هذه الكتب كتاب الأملاني على القائل الذي كان تلميذا مخلصا لابن دريد وأملاني الزجاجي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وغير ذلك من كتب الطبقات . وقدم المحقق إلينا من الديوان وصاحبه فذكر مختصرا عن حياة ابن دريد وحاول تصحيح ما حرف من شعره في كتب الأدب المختلفة .

كان ابن دريد شاعرا ولكن هل كان شاعرا محترفا أم هاويا نظم الشعر ؟

يذكر المسعودي في مروج الذهب « وكان مجيها قد برع في زمننا هذا في الشعر وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب في الشعر كل مذهب فطوراً يحزل وطرراً يرق وشعره أكثر من أن نحصيه ، (١) .

ويذكر الوزير جمال الدين القفطي في أنباه الرواه عن ابن دريد ، « وكان رأس العلم والمتقدم في حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب وله شعر كثير ، ، (٢) .

(١) مروج الذهب ومعادن الجواهر لعل بن الحسين المسعودي ج٤ ص ٣٢٠

(٢) أنباه الرواه على أنباه النحاه للقفطي ج٢ ص ٩٢ تحقيق محمد أبي الفضل

وتذكر كتب الطبقات مثل شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ومراتب النحويين لأبي الطيب أنه كان يقال أن ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، يقول أبو الطيب : ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على شعر وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبو بكر بن دريد ، (١) ونستطيع أن نفهم من هذه النصوص أن ابن دريد كان شاعرا وكان يحفظ أشعار العرب ويذكر أبيانا من الشعر في كتبه التي صنفها يشهد بها وخاصة الجهرة والاشتقاق وقد مر بنا أنه حفظ ديوان الحارث بن حلزة في مدة قصيرة لا تتجاوز وقت الغذاء وقد روى ابن دريد كتاب معاني الشعر للأشناداني وهو من الكتب الأولى في شرح الشواهد الشعرية .

ولكن الدكتور زكي مبارك يرى أن ابن دريد كان شاعرا مقلدا تحفظ له الأبيات والمقطوعات وبعض القصائد ولكنه كان يسكب روحه فيما ينظمه من الشعر فتسرى معانيه قريحة سحابة بلا جلبة ، (٢)

ويرى أحمد الاسبغندي أن ابن دريد ، ولم يكن شاعرا من حيث صناعته — وكان ينظم الشعر كلها بعثته باعته من المديح أو الهجو إذ كان في الأصل عالما مدرسا مصنفنا (٣) .

ونحن نرى أن ابن دريد كان شاعرا مجيدا رغم أنه لم يكن محترفا وأن مقصوده

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللؤلؤي تحقيق محمد أبي الفضل ص ٩٤

(٢) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٢٩

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي : أحمد الاسبغندي ص ١٠٠

الرائعة التي ذاع صيتها لتدل على إبداعه الفني وقريحته الشعرية الذكية وسعة ملكته اللغوية ولذلك نراه يستعرض ملكته اللغوية وقوة حفظه في كثير من شعره. ويقال إن ابن دريد ابتداءً نظم الشعر وعمره عشرون عاما ويروى له بيتان يقال إنها أول شعره وهما :

ثوب الشباب على اليوم بهجته وسوف تنزعه عني يد الكبر
أما ابن عشرين ما زادت وما نقصت إن ابن عشرين عن شيب على خطر

والبيت الثاني يشير إلى أن ابن دريد نظم الشعر وعمره عشرون عاما وهذا يدل على ملكة شعرية مبكرة عند ابن دريد .

مذهب ابن دريد الشعرى :

كان ابن دريد شاعرا ولكنه لم يكن مشهورا في عصره أنه شاعر أكثر من شهرته اللغوية ولكن مقصوده التي سبق بها الشعراء جعلته ذا شهرة عريضة بين الخلف الذين عارضوه فيها . وكان ابن دريد ينظم الشعر إذا دعت الحاجة إلى ذلك فقد كان نه أعداء يعرضون به مثل نفطويه والباهي اللغوي المتوفى عام ٢٣١هـ وكان يمدح كثيرا من الأشراف وأشهر مدوحيه ابنا ميكال وقد مدح غيرهما مثل حجر بن أحمد الحويمى وابن يحيى من أهل البصرة ومثل يحيى بن عبد الوهاب البصرى الكاتب .

ولابن دريد مراتب بديعه أشهرها مرثيتان للامام الشافعى ومرثية لابن جرير الطبرى .

وقد ذكر ابن دريد في المقصورة أن شعره نفثه المصدور (١) .

(١) شرح المقصورة الدريدية (مع مجموعة لأمية العرب) البيت رقم ٧٥

لكنها نفثة مصدور إذا جاش لغام من نواحية غما

ويقول في قصيدة له في الديوان (١) .

حبا الشعر تعظيما أناس وإنه لاحقر عندي من نفثة نافث
وهل يحفل البحر اللثام إذا عمى فطاح على تياره المتلاطث

ونجد من شعره ما يتضح اتصاله بقرمه وبغاطيته التي لا تنسى موطنه وأهله
وله قصيدتان يعرض فيهما قوله على أخذ النار لمن قتل منهم في موقعة الروضة
والقصيدة الأولى قالها يرثى من قتل في هذه الواقعة (٢) ويقول في أولها :

إنما فازت قدامح المنسايا يوم حازت حنظلها بتنوفا
يوم قالت للردي استعصى حظي يوم لم تصطف إلا الشريفا

والقصيدة الأخرى وهو يحرض قرمه على أخذ النار وأولها :

وله نابه وخطب جليل بل رزايا لمن عبء ثقیل

بدأ ابن دريد نظم الشعر وعمره عشرين عاما وأول شعر قاله البيتان اللذان
ذكرناهما ثم تدرج في قول الشعر حتى صار ذا منزلة عظيمة في الشعر وشعره
يجمع فيه السيب مثل الأقدمين وفيه مدح ومجاء وحامسة ووعظه ويتحدث عن
أخلاق الناس وموئسمة مثل المرونة الشعرية تارة ومرة يظهر كاله في الدقائق اللغوية
مثل تعريضه بالباهل وقصديته المقصورة والممدود وفيه الحكمة ونرى في بعض
شعره صنائع وبدائع كما في مرثيته .

أما مقصوراته الرائعة التي سنتحدث عنها فهي تدل على ملكة شعرية وقد حاول

(١) الديوان ص ٤٨ البيت رقم ٣٤ و ٣٥ من القصيدة الثامنة .

(٢) الديوان قصيدة ابن دريد اللاحقة والثامنة

الخروج فيها عن طريقة الجاهلین وصدور الإسلام في النسيب والشبيب وكان محافظا فيها على بساطة العرض وعدم التكلف الصناعات غير ماذكر فيها من بعض الالفاظ النثرية .

وينبغي أن نشير إلى أن ابن دريد كان يروى الشعر وكان ناقدًا لغويا لهذا الشعر وقد ذكر السبكي (١) في طبقات الشافعية خبرا ، واداه أن أحد الحاضرين انشد يبتين يعزيان لآدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي حسن وطيب وقل بشاشة الوجه المليح

فقال ابن دريد هذا الشعر قد قيل قديما وجاء فيه الاقواء . قال أبو سعيد السيرافي تلميذ ابن دريد وراوى الخبر ،، فقلت له إن كان له وجه يخرج عنه الاقواء نصبت بشاشة وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين فيكون بهذا التقدير نكره منتصبه على التمييز ثم رفع الوجه بإسناد قل إليه فيصير وقل بشاشة الوجه المليح ،، ويعقب السبكي على هذا الخبر ويقرر ،، غير أنى رأيت أبا العلاء المعري في رسالته التى سماها رسالة الغفران قد أنكر على ابن دريد إنشاد هذا الشعر على وجه الاقواء وذكر أن الرواية الصحيحة :

وغرد في الثرى الوجه الفليح

قال أبو العلاء والوجه الذى قاله أبو سعيد في تخريجه شر من الاقواء عشر مرات ،، (٢) .

(١) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ٢١٢

(٢) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٢

وقد التفت د. زكي مبارك هذا الخبر واتخذ مدقا للهجوم على ابن دريد ورأى
أنه على سعة عقله وقوة ذكائه كان يطعن إلى بعض الحقائق المزيقة التي يتداولها
الناس فكان يذكر أن أول من أقوى الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح

وأردف زكي مبارك ،، وهذه سذاجة مطبقة أن نظن أن آدام كان يتكلم
الربية حتى يؤخذ عليه أنه أول من وقع عليه الإفواء ،، (١) .

ونستطيع أن نجد دليلا ندافع به عن ابن دريد في هذا الخبر ذلك أن ابن
دريد لم يكن راويا له وأنه قال عندما أنشد أحد الحاضرين هذا الشعر ،، هذا
الشعر قد قيل قديما ،، ولم يقل إنه منسوب لآدم عليه السلام .

ومن نقد ابن دريد للشعر ماروى عن أبي على القالى أنه روى أمام ابن دريد
بيتا لامرئ القيس وهو :

وسالفة كسحوق اللبا ن أضرم فيها النوى الشعر

وقال ابن دريد وهذا محال وكيف تشبه عنق الفرس بشجرة اللبان وهي قدر
قعدة الرجل وإنما هو كسحوق اللبان ، والليان الفحل ،، (٢)

اقسام الديوان ومواده :

قسم محقق الديوان السيد محمد بدر الدين العلوى — الديوان تقسيما حسب

(١) النشر العنى في القرن الرابع الهجرى : دكتور زكي مبارك ج ١ ص ٢٤٦

(٢) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٤٥

الحروف الابدادية دون ترتيب الموضوعات أو الأغراض ، ذلك لأنه نقل معظم شعر ابن دريد من أمهات الكتب وخاصة أمالي أبي علي القالي وهو يجمع قصائد وأبياتا وربما نقل بيتين أو أكثر وبدأ الديوان بقول ابن دريد :

ليس السليم سليم أفعى حمره لكن سليم المقلّة النجلاء
نظرت ولاوسن يخالط عينها نظر المريض سورة الاغفاء

وقد ذكر هذين البيتين أبو علي القالي في أماليه (١) تحت عنوان « فصل ما قيل في فنون الظرف » ، وننتقل إلى شعر ابن دريد الذي وضعه لهدف فذكر قصيدة لابن دريد يمدح فيها المشتغلين بالحديث الشريف ونجد في هذه الأبيات شعرا قلعا غير مبدع فالأبيات كأنها تتخلع من مكانها أو هو يجري وراءها ليضعها في مكانها . يقول ابن دريد يمدح المشتغلين بالحديث :

أهلا وسهلا بالذين أودهم وأحبهم في الله ذى الآلاء
أهلا بقرم صالحين ذوى نفحات غر الوجوه وزين كل ملاء
يسعون في طلب الحديث بعقه وتوفر وسكينة وحباء
لهم المهابة والجلالة والنهى وفضائل جملت عن الإحصاء

ورغم قلق أبياته فإننا نجد في هذه الأبيات روحا لحب الدين ومدح علمائه . أما القصيدة التي ذكرها المحقق تحت عنوان « فصل في معرفة ما يمد ويقتصر وأولها :

لا تركنن إلى الهوى واذكر مفارقة الهواء

فهي إن دلت فإنما تدل على براعة ابن دريد اللغوية واستغلاها في الشجر ،
ومن المؤكد أن ابن دريد نظم هذه القصيدة للتعليم كما فعل في المقصورة وأحاديثه
المتناثرة في كتب الأماشي لابي علي القالي وقد استطاع ابن دريد تنسيق الالفاظ
واختيار كلمات مرتبة فذكر كلمات في الشطر الأول مقصورة وفي الشطر الثاني ممدودة
ومعناها مختلفان ، وأحيانا يختار ألفاظا مقصورة في الأول من البيت وممدودة
في الشطر الثاني والمعنى واحد . مثل النوع الأول (الهوى ، الهواء) والثرى
والثراء ، ومن النوع الثاني (الفحى والفحاء) والخوى والخواء .

ويفعل القول في نوع كل قسم ذكره . وهذا يدل على تمكن لغوى بارع
وذلك مبدع جعله من التمكن بحيث ينظم أبياتاً بهذه الصورة التي رأيناها .

وتسمى هذه القصيدة في كثير من المصادر بالمقصورة الصغرى . وهو ما نجده
عند التبريزي (١) في شرح المقصورة الدريدية فبعد أن شرح المقصورة ذكر
هذه القصيدة وسماها بالمقصورة الصغرى ولكنها ليست مشروحة ونجدنا في مجموعة
أعجب العجب (٢) في شرح لامية العرب للزحشرى تحت اسم المقصورة الصغرى
ولكنها ليست مشروحة ، وتسميها بعض المصادر منظومة في المقصور والممدود
مع خلاف في المعنى ، أو كتاب المصمر والممدود وتوجد نسخة مخطوطة في
مجموعة ومعها شرح قصيدة أبي مدين ومعها منظومة في المقصور والممدود (٣) .

(١) شرح مقصورة ابن دريد للتبريزي طبع دمشق ، ذيل شرح مقصورة
ابن دريد . ص ٣٤٥

(٢) أعجب العجب في شرح لامية العرب للزحشرى؛ ذيل المقصورة الكبرى
ص ٢٤٥ .

(٣) مجموعة نشتمل على شرح قصيدة أبي مدين ومنظومة في المقصور والممدود
مع اختلاف المعنى لابن دريد . مخطوطة مكتبة بلدية الإسكندرية تحت رقم ٥٢٤ ب

والقصيدة حكم عن الزمان والدهر ونصائح تحذر من الدنيا وتذكر بالموت.
وتنقسم القصيدة إلى أقسام فالقسم الأول هو باب ما يفتح أوله ويقعر ويمد والمعنى
مختلف ومثال ذلك :

لا تركزن إلى الهوى	واذكر مفارقة الهواء
يوما تصير إلى الثرى	ويفوز غيرك بالثراء

ومن القسم الأول أو الباب الأول كما يسميه ابن دريد :

وأرى العشا في العين أكل	ثر ما يكون من العشاء
وأرى الخوا يذكى عقر	ل ذوى التفكير في الخواء

وإذا قارنا بين الألفاظ التي ذكرها ابن دريد فإننا نجد (الهوى والهواء) في
الشرط الأول والأول مقصور والثاني ممدود والمعنى مختلف. وفي البيتين الآخرين
(العشا والعشاء) ، العشاء في العين ، والعشاء الأكل عشيا ، والمعنى مختلف ،
(والخوا والخواء) فالخوى الجوع والممدود الخواء الهواء والمعنى مختلف ،
وهكذا نجد ابن دريد يستعرض صفة عليه بالغة ويسدى نصائحه إلى تلاميذه
والناس ونلاحظ هنا وفي مقارنته الكبرى أنه يكثر من ذكر مصائب الزمن
ومحن الدهر ويحذر عن الدنيا والوقوع في غلوائها . ولاشك أن نفسية ابن دريد
قد أصيبت بياس في فترة من الفترات ولذلك عده الدلحي من المنكوبين وجعل
فلا كته فلا كته نفسية ، (١) .

ونستطيع أن نجمل القول أنه في الباب الأول ينصح بعدم الركون إلى
الدنيا وهوى النفس فإن الموت قادم لا محالة ، وكمن عظيم كان له المكاتة والشرف

وررى التراب يعيش وحيداً في قبره بعد أن كان لا يجد متسعاً من الوقت يخلو فيه إلى نفسه .

أما الباب الثاني وهو باب ما يكسر أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف فمن أمثله :

كم من عظام باللوى قد فارقت خنق اللواء
وأرى النخنى يدعو الغنى ———— إلى الملاهى والغناء
يمضى الانا بعد الانا ومنها فى ملء الاناء

ونستعرض الشواهد فى هذا الباب فنجدها (اللوى - واللواء) فاللوى مقصور وهو حيث يستدير الرمل ويرى ويلتوى ، واللواء مدود وهو لواء الأمير والراية ، والغنى فى البيت الثانى والغناء ، الأول مقصور وهو ضد النقر والغناء والسماع من شعر وغيره . وفى البيت الثالث (الانا - والاناء) فالانا هى الساعة والاناء الوعاء وهذا القسم كسابقه يتل على حكم رائدة عن الزمان والحياة .

أما القسم الثالث وهو باب ما يكسر أوله فيقصر ويمد والمعنى واحد فمن أمثله :

وأرى البلى يبلى الجدى ———— وكل شئ للبلاء
كم من أنا يفنى اللى ———— إلى ثم يفنى بالإناء

فنجد فى البيت الاول (البلى والبلاء) فالأولى مقصورة بمعنى القدم والتغير والثانية مدودة مفتوحة بمعنى الشئ البالى ونجد فى البيت الثانى الاناء والاناء بمعنى بلوغ الشئ منتهاه ، ومن براعة ابن دريد اللغوية أنه ذكر لفظ الاناء مرة

قبل ذلك في باب ما يكسر أولا فيقصر ويمد والمعنى مختلف في الاناء والاناء ثم ذكر (الاناء والاناء) بمعنى واحد .

أما الأقسام الأخيرة من القصيدة وهو باب ما يفتح أولا فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد ومن أمثلته :

وسكنت بيتا ذا فحى ولتخرجن من الفحاء
فالفحى والفحاء المتاع أو سقف البيت ، وهناك بيت واحد في باب ما يفتح
أوله فيقصر ويكسر فيه والمعنى مختلف وهو :

وأراك تنظر في السماء لا صبر في نظر السماء
فالسما الأول مقصور بمعنى "قرطاس والمحدود الخفاش ، وهناك بيت آخر
في باب ما يضم أولا فيقصر ويفتح فيمد والمعنى مختلف : فهو :

شمس الضحى طاعت عليــــــــــــــــك ولا ترى شمس الضحاء

فالضحى صدر النهار والضحاء النهار

وإذا استعرضنا أغراض الشعر عند ابن دريد فنجد أهمها الرناء ولابن دريد
مراث كثيرة أهمها : مراثيه لابن جرير الطبري النقيه المفسر المؤرخ المتوفى
عام ٤٣٠ هـ يقول راثيا أبا جعفر محمد بن جرير الطبري :

لن تستطيع لأمر الله تهريبا فاستجد الصبر أو فاستشعر الحوبا
وأفزع إلى كف التسليم وارض بما قضى المهيمن مكروها ومحوبا
ويقول فيها :

أورى أبو جعفر والعلم فاصطحبها أعظم بهذا صاحبها إذ ذاك مصحوبا
إن المنية لم تالف رجلا بل أتلقت علما الدين منصوبا
أهدى الردى للثرى إذ نال مهجته نجما على من يعادى الحق مصحوبا

والقصيدة جميلة رائعة وتقع في خمسة وثلاثين بيتا وذكرها الخطيب
البغدادى (١) في تاريخ بغداد وذكرها أيضا السبكي في طبقات الشافعية (٢).

وقد رثى ابن دريد عمه الحسين بن دريد وكان أباه الرواحي وعلمه الاول
ومتولى تربيته وكان قد جاب إليه الاشنادان يؤدبه وقال يرثى عمه :

نجم العلى بعدك منقض وركنه الاوثق منهض
يا واجد لم تبق لى واحدا يرجى به الإبرام والنقض
أو بل بطن الارض من ظهرها يوم حوث جثمانه الارض
ومن مرثيه الرائعة رثاؤه الامام الشافعى وأولها :

بلمة تيه للشيب طوالح ذوائد عن ورد التصابي روادع
تسرفنه طوع العنان وربما دعاه الصبا فاقفاده وهو طائع
ويقول فيها :

لراى ابن إدريس ابن عم محمد صباه إذا ما اظلم الخطب ساطع
إذا المعضلات المشكلات تنابها سما منه نور فى دماهن لامع
أبى الله إلا رفعه وعلوه وليس لما يعليه ذو العرش واضع
وقد ابن دريد الامام الشافعى فقال فى قصيدة أولها :

وإذا قرأت كلامه قدرته سبحانه أويوفى على سبحانه
لو كان شاهده بعد خاطبا وذور الفصاحة من بنى قحطان

(١) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى الجزء ٢ ص ١٦٧ .

(٢) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٣٨ .

ويقول فيها :

ذو فطنة في المشكلات وخاطر امضى وأنفذ من شبابة سنان
وإذا تفكر عالم في كتبه يعني التقى وشرائط الايمان
متبيا للدين غير مقلد بسمو بمهمته إلى الرضوان

والقصيدة تذكر فضل الإمام الشافعي ومنزلته العالية . وقد عد السبكي في طبقات (١) الشافعية ابن دريد من الشافعية .

ومن مرأى ابن دريد التي تبين تعاطفه مع قومه في عمان واتصاله بهم ما قاله يرثى من قتل من قومه في وقعة الروضة وهو موضع بالقرب من تنوف باليمن ويتمص علينا السالمى في تحفة الاعيان (١) عن هذه الواقعة فيقول : ، وأن جماعة من اليمن أرادوا عزل راشد بن النخعر واتفق المآسرون مع جماعة أخرى على عزله وساروا جميعا وخرجوا جميعا إلى نزوى فأخذوا طريق الجبل يريدون عزل راشد بن النخعر وكان النخعر قد اتحل به فلما صاروا بالروضة من تنوف من حدرد الجوف وجه اليهم راشد بن النخعر سرايا والجيوش - خيلا ورحلا - فكبهم ليلا وهم نزول بالروضة من تنوف وهم لا يشعرون فوقع بينهم وقعة شديدة ، ، .

وقال ابن دريد يرثى من قتل من قومه في موقعة الروضة :

(١) طبقات الشافعية : السبكي ج ٢ ص ١٢٧

(٢) تحفة الاعيان في سيرة أهل عمان : محمد عبد الله بن حميد السالمى ج ١

إنما فازت قـداح المنـدأيا
يوم قالت للردى استقص حظى
يوم حازت خيـاها بتنوفا
يوم لم تصطف إلا الشريفا

وهو يتهدد ويتوعد من قتلوا بعضا من قومه فيقول :

ياسويد بن سراة ترقب ضربة تجتث منك الصليفا
قد كفاك النجم يوما تترك الصاحى منه نزيفا
وهو يواسى من بقى من قومه ويذكر أن الايام ستأتى بالسعد والنعمة
فليأخذوا من الهزيمة درسا للنصر ويقول :

ان يكن يوم تصدى بنحس فلعل السعد يأتى رديفا
او يكن ما أنفك لدغ زمان فعسأ أن يرف رفيفا
والقصيدة رائعة ، أبياتها تنساب بالفاظ سلسة لا غريب فيها وتدل على ملكة
شعرية رائعة . وترتبط بهذه القصيدة قصيدة أخرى قالها يعبر قبائل قومه من ولد
مالك بن فهم ويحرضهم على أخذ ثأر من قتل منهم بالروضة وهى :

وله نابه وخطب جليل بل رزايا لهن عبء ثقیل
بل غرام مباده بل دهار يس عظام وقوعهن وبیل
ويستثير حمة قومه بقوله :

يابنى مالك بن فهم قتيلـا بدهاريس عزهن البتول
أن بالروضتين هاما نرافا لم يقل من ثوى هناك قتيل

وهو يذكرهم بأن أخذ الثأر لا وقت معه للهو والانتظار فيقول :

ليس شأن الموترين مهـاد وغناء ومـزهر وشـمول

وصبح مباحر وغبوق وشواء ودريك ونشيل
إنما ثوبه إذا اعتكر الأظـ سلام ثوب الدجنة المسدول

وقال ابن دريد يرثى عبد الله بن عمارة :

بنفس ترى ضاجعت في يديه البلى أقدم ضم منك الغيث والليث والبدر
فلو أن حيا كان قبرا لميت لصيرت أحشائي لأعظمه قبرا
ولو أن عمرى كان طوع أرادتى وساعدنى المقدار قاسمتك الحمرا

ويبدو أن عبد الله بن عمارة هذا كان محظيا لدى ابن دريد فهذه الابيات التى تفيض عاطفة ووفاء ابن دريد يتمنى أن يضع أحشاه قبرا اعظم ابن عمارة .

ومن قصائد ابن دريد القصيدة الثائية وهى تشتمل على النسيب والمدح والنخر والحكمة وقد بلغت ٩٥ بيتا أولها هذا النسيب :

أماطت لثاما عن أقاح الدمائم بمثل أساريع الحقوف العثائم
ونصت عن الغمن الرطيب سرا الفنا يشب سناها لون أخرى جناحي

وإن دريد فى هذه القصيدة يلتمس الغريب من اللغة فيذكره ويظهر براعته اللغوية فى سعة الحفظ وبراعة التفكير . وافتتاحه بالنسيب هنا يعنى أنه كان يسير على طريقة الأقدمين ويجب الغريب من اللغة أو لعله ذكرها للتعليم ولكننا نلاحظ أنه لا يطيل النسيب وينتقل فجأة إلى ذكر صديق له وهو شمس بن عمرو بن غانم ونصر بن زمران بن كعب بن حارث ثم يذكر طرفا من حالهما ، وقد ذكر السيد

على صدر الدين بن معصوم المدني (١) في كتابه أنوار الربيع في أنواع
البديع في باب الاطراد ، وهر أن يتحدث الشاعر باسم الممدوح ولقبه وكنيته
وصفته وأين ذهب وقبيلته غالباً وما أمكن من ذلك مطرداً موالياً في بيت واحد
من غير تعسف ولا تكلف . وقال ابن معصوم المدني : وقول ابن : يد
وجمع ثمانية أسماء في بيت واحد ولم يقع في شواهد هذا النوع نظيره
انسجاماً . .

فنعم فتى الجلى ومستنبط الندى وملحاً مكروب ومفزع لاهث
عياذ بن عمر بن الجليس بن جابر بن زيد بن منظور بن زيد بن واث
وقد ذكر ابن رشيق في العمدة (٢) أبياتاً لبعض الشعراء وفيها اطراد مثل
قول الأعشى :

انيس بن مسعود بن قيس بن خالد

وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

ومثل قول أبي تمام :

عبد الملك بن صالح بن على بن قسيم النبي في بدر
وبالقصيد فخر وأجله قوله
ولو أننى فيكم أسرت كلوكم وداويت منها غائقات الغثالث

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع : السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني
تحقيق أحمد شاكر ج ٣ ص ٣٢٧

(٢) العمدة لابن رشيق القيرواني ج ٢ ص ٨٢

وبجمل القول أن القصيدة تجمع أغراضا كثيرة من "شعر وتجمع كثيرا من غريب اللغة وبها أطراد ليس له نظير عند الشعراء .

ومن أغراضه الشعرية الهجاء ومن أهم قصائده في الهجاء ما قالها يعرض بالباء على اللغوى وهى قصيدة تمتلىء بالغريب من اللغة أيضا يقول فيها : (١)

ديار الحى بالرس إلى العمرين فالابرق
كرجع المنقش فى الطرس إذا نطق لم ينمق

ويعرض به فيقول :

فيا للناس ما الزيم إذا فصل أو دهدق
وما التتيم فى الميسم — مر إن جمع أو فرق
وما الكمدل فى الخيم — عل والكافر فى اليلق
وما الاسناخ فى الأرعاء ظ والأوصاف إذ يلزق

ونظرة واحدة إلى الكلمات (الكمدل - الخيميل - اليلق - الاسناخ - الارصاف ... الخ) نجد أنها تحتاج إلى شرح بل إلى معجم للغريب إن صح هذا التعبير . والقصيدة تمتلىء بالغريب وبالهجاء المقذع وكأن ابن دريد يقول للباء على اللغوى إن كنت مبدعا فى اللغة فأنا أعلم منك بها وبغريبها .

ويهجو بعض النحويين فيقول (٢) وقد أتى بأبيات طريقة بارعة :

عنظير أنا اختلافنا فى الفعل من فاعلين

(١) الديوان ص ٨٧ (ديوان ابن دريد تحقيق محمد بدر الدين العلوى)

(٢) الديوان ص ١١٠

فقال قوم يشنى لجمعنا الهمزة بين
وقال قوم يعدي بملتقى الساكنين
وأنت أعلم مني بهذا وذاك وذین
لأنك الدهر فعل يعتل من جهتين

ومن هجائه العام وهو من أجمل شعره (١)

الناس مثل زمانهم قد الحذاء على مثاله
ورجال دهرك مثل دهر رك في قلبه وحاله
وكذا إذا أنسد الزمان جرى الفساد على رجاله

ومن هجائه المشهور تلك الأبيات يهجو بها نفطويه وكان نفطويه قد
دجا ابن دريد بقوله: (٢)

ابن دريد بقرة وفيه عى وشرة
ويدعى من جهله وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

وكان بين الاثنين مفاخرة فرد عليه ابن دريد ردا قاسيا وقال: (٣)

لو أنزل الوحي على نفطويه لكان ذلك الوحي منسوخاً عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه مستأهل للعنف في اخذعيه

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١١٣ والديوان ص ١٠٥

(٢) معجم الادباء ج ١ ص ٣١١، المزهر للسيوطي ج ١ ص ٤٧

(٣) معجم الادباء ج ١ ص ٣١١

أف على النحو وأربابه قد صار دن أربابه نفاويه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صراخا دليه

ومن أغراضه الشعرية قوله في أخلاق الناس (١) :

أرى الناس قد أغروا ببغى وريبة وغى اذا ما ميز الناس عاقل
وقد لزمو معنى الخلاف فكلامهم إلى نحو ما عاب الخليفة مائل
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنه وإن عاينوا شرا فكل مناضل

ومن أغراضه الشعرية — الوصف فها هو يصف النرجس فيقول : (٢)

عيسون ما يلم بها الرقاد ويمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استمت وتعمل حين ينحسر السواد
لها صدق من الذهب المصفي صاغه من يدين له العباد

ومن وصفه الجليل قوله في المطر : (٣)

تبسم المزن وانهل مدامعه فأضحك الروض جفن الضاحك الباكي
وغزل الشمس نور ظل يلحظها بعين مستعبرة بالدمع ضحاك

ووصف ابن دريد الخمر فقال :

وخمراء قبل المزج صغراء بعده أتت بين ثوبى نرجس وشقائق

(١) الديوان ص ٩٩

(٢) الديوان ص ٦٥

الديوان ص ٩٨

ووصف جلسته بينه وبين الحبيب وأغلب الظن أنها من الخيال فقال (١) :
عانقت منه وقد مال النعاس زه والكأس تقسم سكرا بين جلاس

ونختم شعره بهذين البيتين الرائعين :

ودعته حين لا تردعه روحى وليكتها تسير مـهـ
ثم اقترقنا وفي القلوب لنا ضيق مكان وفي الدموع سعة

مقصورة ابن دريد

مقدمة :

ظهر في الأدب العربي قسائد يطلق عليها المقصورات وهذه القصائد تتشابه في كثير من الأمور أهمها أنها تشترك في الروى المقصور وتنتهى القافية فيها بالالف المقصورة . وتكون المقصورة في الغالب من بحر الرجز وبعضها من بحر المتقارب وتكون المقصورة في الغالب من القصائد المطولات والمقصورة حازم تزييد على ألف بيت ومقصورة ابن دريد تزييد على مائتين وخمسين بيتاً .

وهدف المقصورة في الغالب مدح شخص عظيم ثم تشمل أغراضاً أخرى قد تنسى الشاعر هدفه الأساسى فيعنى بأمور أخرى منها الغزل ومشاهد الحياة والحكم والأمثال والبكاء على الشباب والتجلى والصبر وسرد الحوادث التاريخية ويتخذ الشعراء المقصورة وسيلة لاستعراض علمهم فى اللغة والأدب والبلاغة وهم لذلك قد يقحمون فيها من غريب اللغة وفى القافية بوجه خاص وشاعر المقصورة يستعمل كثيراً من أنواع البديع وخاصة الجناس والطباق والمقابلة .

ويعتبر ابن دريد أول من أنشأ المقصورة الكاملة التى ذاع صيتها فى الأدب العربى وصارت مثلاً وأسوة لكل من لحقوه وأنشأوا مقصورات على منوال ابن دريد ورغم ذلك فإن المسعودى (١) يذكر أن ابن دريد قد سبقه بعض الشعراء بالمقصورة فقال « وقد سبق إلى المقصورة أبو المقاتل

(١) مروج الذهب ومعادن الدرر للسيد ج٤ ص ٣٢٤ تحقيق محمد محى الدين .

نصر بن نصير الحلواني في محمد بن زيد الداني .

ققا خليلي على تلك الربى ومائلها اين هاتيك الدمى
اين اللواني ربعت ربوعها عليك باستنجاها تشفى الجوى

ويذكر أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغانى (١) أن السموأل بن عادياء

قال :

ارفع ضميرك لا يحر بك ضعفه يوما فتدركة العواقب قد نما
ويروى أبو الفرج الاصفهاني (٢) ستة أبيات لحنظلة بن أبي غنراء مطلعها :
ومها يكن ريب الزمان فأننى أرى قمر الليل المغرب كالنجمي

ولكن كل هذه الأبيات التي ذكرها أبو الفرج الاصفهاني وما ذكره المسعودي
من مقصورة أبي المقاتل نصر بن نصير الحلواني لا تعدو إلا أن تكون أبيانا
لا تكتمل فيها المقصورة بالمعنى الذي عرف بهذا ذلك ، فابن دريد مبتكر هذا
النم . وقد ذكر الدكتور مهدي علام « أن القافية المقصورة كانت مستعملة في
الشعر العربي قبل الاسلام ولكنها لم تكن ذاتة ثم ذاعت على يد الإسلام وإن
شيوخ الكلمات المقصورة في كثير من سور القرآن الكريم مثل سور الأعلى والليل
والنجم والمعارج والقيام والنازعات والأعشى والعلق والضحى كان قدرا داعيا
إلى الإكثار من القافية المقصورة ، (٣) .

(١) الاغانى لأبي الفرج الاصفهاني ج ٣ ص ١٢٤ و ١٢٥ .

(٢) الاغانى لأبي الفرج الاصفهاني ج ٢ ص ٤ .

(٣) مجلة كلية أدب - جامعة القاهرة - المجلد الاول عام ٩٥١ ص ٢٤

مقال عن المقصورات بقلم الدكتور مهدي علام .

ولستطيع أن نقول أن رأى دكتور مهدي علام قريب إلى الصحة فيما رآه من وجود النافيه المقصورة في الشعر الجاهلي ولكنه فيما رآه من مقارنته بسور القرآن الكريم — بالشعر والمقصورة قد جانب الصواب ، فالقرآن الكريم في إعجازه لا يقارن بشعر وآيات القرآن الكريم تسير على نسق يعجز البشر عن الإتيان بمثله . ومن ذهب إلى هذا الرأي الدكتور طه حسين ، فابن دريد مبدع المقصورة إذن وعارضه فيها كثير من الشعراء مثل النخعي وحازم والنبهاني وكان آخر الذين عارضوه محمد رشيد رضا .

المقصورة الدريدية وشروعها :

كان لابن دريد فضل السبق في إنشاء المقصورة في الأدب العربي كما رأينا — وكان هدف ابن دريد من نظم المقصورة مدح ابني ميكال عبد الله بن محمد بن ميكال وابنه إسماعيل ، وكان إسماعيل تلميذاً لابن دريد أو كان ابن دريد مؤدباً له .

ونرى ابن دريد وقد نال مكانة عالية في قلب عبد الله الذي ولاء المنصور الأعمال بكور الأهوار ، وقد قلد ابنا ميكال ابن دريد ديوان فارس وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . وقد استطاع ابن دريد أن يجعل من تلميذه أبي العباس أديبا مشهوراً وعندما قال ابن دريد قصيدته المصورة طرب ابنا ميكال طرب عظيماً . قال ياقوت : قال الحكم وسمعت أبا عبد الله محمد بن الحسين الوضاحي يقول سمعت أبا العباس بن ميكال يذكر صلة الدريد في إنشاء المقصورة فيهم قال الوضاحي فقلت وإين الذي وصل إليه من خاصة الشيخ فقال لم تصل يدي إذ ذاك إلا إلى

ثلاثمائة دينار صبيحتها في طبق كاغ. ووضعتها بين يديه، (١)

ورغم أن المقصورة قيلت أساسا لممدح ابني ميكال لكن ابن دريد جمع فيها أغراضا أخرى ففيها يتحدث عن شبيهه وضمته وقوة احتماله للكلمات الأيام فهو صلد لانهزه من الزمن . وفيها اشارات تاريخية وأدبية وقد اختار رجالا هم الدهر وأثقلتهم النوائب مثل امرئ القيس وأبي الجبر الكندي وجذيمة بن مالك وفيها أوصاف للابل التي تحمل راسكها إلى مناسك الحج ويتحدث عن السيف والفرس والسحاب والمطر . وهو بين هذا وذاك يتحدث عن مدوحيه ويشكر لها فضلهما عليه ويخص مدحه لأبي العباس الذي سما للعلا وكرمه لا يرق إليه أحد وهو يذكر جانباً من أوصاف المرأة الجميلة ويذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ممجداً له ويذكر جانباً من أخلاقه فهو لين لمن يلين له ، ويخشن مع من يخشن معه ويفخر بفعله وذكائه وعفته (ويتحدث عن الخمر وشربها)

فالمقصورة تحوى اشارات تاريخية وأدبية وحكما ووصفا للفرس والسحاب والمرأة والخمر فهي تجمع أغراضا بجانب ذلك الفخر والصلابة أمام النوائب وهذا شئ جديد في الأدب العربي لم يسبق أحد ابن دريد فيه

واقعد شهرت القصيدة شهرة عظيمة وعارضها خلق وشرحها كثيرون ويقال أن شروحا بلغت خمسة وثلاثين شرحا ومن الذين شرحوا المقصورة ابن خالويه المتوفى عام ٣٧٠ هـ وهو تلميذ ابن دريد وربيعه بن محمد المعمرى والتبريزى المتوفى عام ٥٠٢ هـ والزمخشري المتوفى عام ٥٣٨ هـ والجواليقي المتوفى عام ٥٣٩ هـ ،

ومحمد اللخمي وعبد الله بن عمر الحضرمي وعز الدين بن جماعة ومحمد بن خليل
الاحسائي المتوفى عام ١٠٤٤ هـ

وقد ختمت المقصورة وبمن خمسها سعد بن علي الاربلي ، وتخميمس لعبد الله
بن عمر الانصاري الوزير وتخميمس للحسين وتخميمس للطاهر فخر الدين وتخميمس
للبلال جرجيس وقد كتب عن المقصورة وتاريخها دكتور أحمد الشرباصي وأحمد
عبد الغفور العطار ودكتور مهدي علام ودكتور أنيس المقدسي

وقد استعنت في الحديث عن المقصورة بأحسن شروح المقصورة وهو شرح
المقصورة للخطيب التبريزي وهو مطبوع وشروح المقصورة للرخشري الذي نشر
مع مجموعة أعجب العجب في شرح لامية العرب وشرح المقصورة لمحمد بن هشام
اللاخمي وهو مخطوط بمكتبة محافظة الاسكندرية تحت رقم ١٢٨٨ وهو من أحسن
شروح المقصورة وذكرت نموذجاً من نماذج تخميمس المقصورة وهو تخميمس
المقصورة لمحمد بن الملا جرجيس وهو مخطوط بمكتبة محافظة الاسكندرية ومكتوب
بقلم عادي وخط جميل سنة ١٢٣٢ هـ تحت رقم ١٧٣٧ - د

وتختلف الروايات في بداية المقصورة فأكثر الروايات تورد بداية
المقصورة بهذا البيت :

أما ترى رأس حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
ولكن أغلب شارحي المقصورة يذكرون أولها :

يا ظبية أشبه شيء بالمها نرى الخزامى بين أشجار النقا

هذا ما تجده في شرح الرخشري والتبريزي وابن هشام اللخمي . وقد ذكر
في مقدمة شرح المقصورة للتبريزي - عن المخطوطة التي صورت منها الطبعة :

وقد افتتح الشارح المقصورة بقوله :

أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

ياظبية أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

ولم يفتتحها بقوله : ياظبية لأنه قال أنه فى حانية الاصل ليس هذا مفتتح

القصيد فى أثير الروايات فإن المفتتح قوله :

ياظبية أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وعليه أثير الشروح .

قال محمد زهر شاويس مصحح شرح التبريزى « الصحيح أن البيت المذكور

من مقصورة أخرى لآل نبارى :

وفىها : ياظبية أشبه شيئاً بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا (١)

ونجد محمد بن هشام اللخمي يفتح القصيدة بقول ابن دريد :

ياظبيه أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وبعد أن يشرح البيت يقول : « وهذا البيت لم يثبت عليه أكثر الروايات

وأما وقع به رواية شاذة وهى رواية أبى اسحاق بن محمد (٢) . ولقد رأيت

أغلب الشارحين للمقصورة يبدأون القصيدة بالبيت :

ياظبية أشبه شئ بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وربما جاء اختلاف مفتتح المقصورة باختلاف الروايات كما ذكر ابن هشام

(١) شرح مقصورة ابن دريد الخطيب التبريزى طبع دمشق ١٩٦١م (المقدمة)

(٢) شرح مقصورة ابن دريد : محمد بن هشام اللخمي : مخطوط مكتبة بلدة

اللخمى ولا نرجح ما ذكره شاوليش من أن هذا البيت لابن الأنبارى فهو متأخر
عن ابن دريد .

وقد كتب الدكتور أنيس المقدمى بحثاً جيداً عن المقصورة الدريدية وقسمها
إلى مواقف خمس (١) .

فالموقف الأول الأول : الشاعر وا . هر يفقهه بمخاطبة عادة خيالية فى البيت
يا ظبية أشبه شىء بالمها

وفى نحر ثلاثين يبشها ما يشعر به من وطأة الزمان عليه ولكنه يغتفر كل ذلك
بالنسبة إلى ما أصابه من فراق الأحباب .

فكل ما لاقته مغتفر فى جذب ما أسأره شحط النوى

ولكن ما ذكره الدكتور أنيس المقدسى يحتاج إلى تحايل . فابن دريد افتتح
المقصورة على عادة الجاهلين فى مخاطبة عادة خيالية وقد شبه ابن دريد هذه المرأة
وجعلها ظبية على الانساع . وجعلها مثل المها وهى أما أنها تكون كالشمس فى
ضياها أو هى قرة الوحش فى حسن عينيها أو بالبلورة فى بياضها . (٢)

وهو يذكرنا بأن الزمن قد أخذ منه حياته وأن رأسه قد اشتعل شيباً ويشبه
الشيب فى اشتعاله بالرأس مثل اشتعال النار فى شجر له حجر ثم يشبه الشيب
أيضاً بالليل البهيم الذى دخل إليه ضوء الصباح فأجلاه ، وهذه صورة جميلة لقد
ذهب الشباب ولا مرد له وذيل زهر الشباب - وهو لا يستكين للنصاب بل هو

(١) المقصورة الدريدية بقلم الدكتور أنيس المقدمى - مجلة المجمع العلمى بدمشق
أبريل سنة ١٩٧٠ م

(٢) شرح مقصورة ابن دريد لمحمد بن هشام اللخمى مخطوط ص ٣

جلد في كل متصوِّرة وهو يبين أنه مارس كل أنواع الهر والسعادة ويقول أبو على
القبلي أن الله غاقبه بقرله .

مارست من لو هوت الافلاك من

جوانب الحو عليه ماشكا

وهو يكتب المقصورة ليخرج ما جاش في صدره ويعبر عما يكن به قلبه من
ظروف مرت عليه

لكها نفسه مصدور إذا جاش لتمام من نواحيه غما

ويالتفت إلى الدهر - من يقابل مراغما - ولكن المرء لا يستطيع قوة القضاء
التي لا ترد فحكمه لا يرد فيقول متجلدا :

رضيت قسراً وعلى النفس رضى من كان ذا سخط على صرف القضاء

وهو لم يجر عليه لزمان وحده بل جار باعلام التاريخ برغم ما كانوا عليه من
عز وهو ينتقل إلى الاشارات العامة التي نطينا معلومات مهمة عن عظماء الرجال
فيذكر ادرى القيس وقصته في التاريخ وكان قد طرده أبوه عندما احترق نظم
الشعر فكان ينتقل في أحياء العرب ويتبع الصعايلك منهم وكان أبوه ملك بني أسد
ففسدهم عسنا شديداً فتحالفوا عليه فقتلوه (١)

ويذكرنا بابو الجبر وهو رجل من كندة وكان من الملوك وقد خرج إلى كبرى
يستعديه على قرة بأعطاء جدينا ولكنه قننى عليه ، وابن الأشج وهو عبد الرحمن
بن الأشعث بن قيس الكندي وكان الحجاج قد رلاه مسعستان فخلع الحجاج وأتبعه

أهل العراق ومنهم الشعبي وقاتل الحجاج مدة طويلة وغدر بابن الأشج
وأسلم إلى الحجاج وكان قد قرن إلى رجل من بنى تميم بسلسلة فلما كان في بعض
المياالي قال للتميمي قم معي فأنزل فلما قام موه أشرف من القمة إلى الأرض فقال
له التميمي ما تصنع أيها الأمير قال الساعة أعلمك ثم رمى بنفسه فوقع هو
والتميمي فأتا جميعاً ، (١)

ويذكرنا بالوضاح وهو جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي . . وكان أبرص
فهابت العرب أن تقول الأبرص فقالت جذيمة الأبرش وقد استطاعت الزباء
أن تقتله ، وي زيد بن المهلب بن أبي صفرة وقد خرج على بنى أمية وخطب له
بالبصرة ولكن بنى أمية استطاعوا قتله ، وانتقم عمرو بن ربيعة بن نصر بن أخت
جزيمة الأبرش لحاله واستطاع الواقعة بالزباء بخداعة ، وسيف بن ذي يزن الذي
أذاق الحبش ألوانا من العذاب ولكنه هزم .

ويذكرنا بيزم (أو ارات) وهو يوم من أيام الحرب وقد وقع هذا اليوم
بين بنى تميم وعمرو بن هند الذي قتل منهم كثيراً .

ونلاحظ عاطفة ابن دريد تذكرنا دائماً بأعلام التاريخ وأكثرهم من اليمن
بلاده العزيزة التي يفخر بها وبأعلام التاريخ منها .

وبعد أن ينتهي من سرد هذه الأحداث التاريخية وأعلام التاريخ الذين كانوا
ذاقرة فجار عليهم الزمن ينتقل إلى ذكر الموقف الثاني : فيفخر بمضاء العزم
وشدة البأس ويقسم بالنياق وهي تحمل الحجاج إلى الحج ويصف هذه النياق

وسيرها في الصحراء وراكبيها وقيامهم بواجبات الحج (١) ، يقول ابن دريد
في صف النياق :

خرص كاشباح الخنايا حند يرعن بالانشاج من جذب البرا
يرسبن في بحر الدجى وبالضحى يطفون في الآل إذا الآل طفا

وينتقل إلى وصف الخبل ويقسم بهذه الخيل التي تحمل الفرسان إلى الحرب
والجهاد :

يقول في وصف فرسانها
يحملن كل شمري باسل شهن الجنان خائض غير الوغى
يغشى صلا الحرب بحمديه إذا كان لظن الحرب كربه المسمط

ويقسم بكرام العرب الذين كانوا مثلاً للشجاعة والكرم ويخلص من كل هذا
القسم ليصف بأسه ومضاء عزمه وشجاعته وأنه سيظل أبداً متهيئاً للحرب حتى
يؤثر في الثرى مادام معه صاحباه حصانه وسيفه :

وصاحباي صارم في مثته مثل حذب النحل يعلو في الزبي
أبيض كالملح إذ انقضته لم يلق شيئاً حده إلا فرى
ويصف حصانه بقوله :

ومشرف الأقطار خاط تحفة حابي القيصري جرشع عرد النسي
قريب ما بين القطاه والمطأ بعيد ما بين القذال والصلا

(١) المقصورة الدريدية بقلم دكتور أنيس المقدسي . مجلة المجتمع العلمي بدمشق

ويسترسل في وصف الحصان ثم يقول عن الليف والفرس إنها عتاده في الحياة وبها يستغنى عن جعله من الناس عدة له .

وينتقل إلى موقف ثالث : وهو حنينه إلى العراق التي ولد بها فهو الآن في فارس بين يدي ابني ميكال فهو يبتذر عن مفارقتها للعراق فهو لم تنهأ له حياة يفارقهم كرها لا بغضا ولقد أكرمه ورعاه في غربته من أفاضوا عليه بكرمهم ويخلص من ذلك إلى مدح ابني ميكال وهو الهدف الاساسي للبقصورة ولكن مدحه لهما لم يتجاوز عشرين بيتاً من المقصورة وهو يمدح ابني ميكال اللذين كانا نعمة له وهما اللذان اظلاه تحت ظلها ودفما بل إلى الأمل بعد أن كان على شفا جرف هاو . وأصبحت الحياة بين الاميرين حياة حية وهي كالشجرة اخضرت أوراقها وصارت نزهة للناظرين وثمرة الآكين يقول في مدحها :

حاشا الاميرين الذين أوقدا

على ظلا من نعيم قد ضفا

هما اللذان أنبتا لي أملا قد وقف اليأس به على شفا

ويقول أيضا

هما اللذان عمرا جانبا من الرجا وكان قدما قد عفا

قلداني منة قرنت بشكر أهل الأرض عنى ماوفى

ويختتم مدحها بقوله :

نفسى الفداء لاميرو ومن تحت السماء لاميرو الفدا

لا زال شكرى لهما مراصلا لفظى أو يعتافنى صرف المنى

وبعد مدح الاميرين يعود إلى ذكرى العراق والتذكير بمكرم أهله وهو لم

يفارقهم غن كره لكنه يسير بعزمه رباطة جأش يكافح في الحياة ويصبر على
الخطوب ولوشاء لعاش في ظلال النعم والحنى واللهم بصحبة غاوية لعوب تخفف
عنه آلام الفراق ويصف هذه الغادة بتسعة أبيات أولها :

ولا عبتنى غادة وهنائه تصنى وفي ترساقها برى

ومح نعيم عليه وصف تلك الغادة فن صنانها عنده أنها لو نظرت إلى العابد
في صومعته المقطع إلى عبادة الله تعالى لانشغل بها وذلك مالا ينبغي أن يقال عن
عابد يخضع لفتاة ، وكيف يشغل العابد عن تبيح الله تعالى بفتاة ، هذا مقام كان
لا ينبغي لابن دريد أن يقارنه بانشغال العابد بالغادة الحسناء . يقول ابن دريد
في وصف الغادة الفاتنة .

لوشاحت الاعسم لا تحط لها طوع القياد من شماريح الذرى
أوصابت القانت في مخلوق مستصعب الملك وعمر المرتضى
الهاه عن تسبيحه ودينه تأنيسها حتى تراه قد صبا

وهو لا يقطع فكره عن العراق فهو يتمنى أن يحمل الغيم الذى يسير الغيث
إلى وطنه ويذكر موطنه بالبصرة مثل العميق والخرز والتحيث والمربد ويعدد
مفاخر قومه فهم ينتسبون إلى أصل عظيم ويصله إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فيقول :

صلى عليه الله ماجن الدجى وما جرت في فلك شجر الصخر

ثم يصف المطر وصفاً رائعاً فقد نزل المطر وتمنت كل بفعة أن يحترقها
وينزل إليها بالخير فإذا اختفت بروقه ظهرت ريح الصبا تحمل الخير وتوذن
بالغيث وإذا فترت وعوده حضها سائق من الجنوب فحدث فهو مطر كثير
الخير وكأنها البدياء آخر صوب هذا المطر ، يقول في وصف المطر :

وطبق الأرض فكل بقعة منها تقول الغيث في هاتا ثرى
إذا خبت بروقه عنت لها ريح الصبا تشب فيهما ما خبا
وإن دنت رعوده حدا بها راعى الجنوب فحدث كاحدا

ثم ينقل ابن دريد إلى نفسه كما يراها هو — يصف الشاعر نفسه بأنه مرفوع الرأس يتحدى الزمن لا يهن أمام الخطوب ولا ييأس وهو لا يضعف أمام تحديات الزمن أما أخلافه فيصفها بأنه يسالم من يسالمه ويعادى من يعاديه وهو ليس سهلا أمام معانده وهو ابن سهل إذا الوين وهو لا يطمع طمعا مدنسا فهو صاحب تجارب في الحياه وإذا خيف امرؤ لسرعته في الاذى لم يخف مو مثل ذلك دون ضعف ولكنه يسون عرضه ويحفظ منزلته إذا احتاج إلى ذلك يقول عن نفسه :

لى التواء ان معادى التوى ولى استواء ان موالى استوى
خصمى شر ترى للعدو تارة والراح والارى عن ودى انبقى
ويقول أيضا :

ان امرؤ خيف لإفراض الاذى لم يخش منى نزق ولا أذى
من غير ما وهن ولكنى أمرؤ أصون عرضا لم يدنسه الضنا

ثم ينظر إلى الناس والزمان بعين الحكيم الخبير ذاهبا فيها مذهب الامثال البليغة ونلاحظ عنده نوعا من التشاؤم يبدأ وصفه للناس بقوله :

والناس كالنبات فمنهم رائق فضرب نخير عوده والجنى

ويهمنا هنا تلك الحكم الرائعة عن الزمن فتستمع إليه يقول :

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواغظ يوما أو غدا

ويقول :

من عطف النفس على مكروهاها كان الغنى قربته حيث انتوى
من ضيع الحزم، جنى لنفسه نداهه الذع من سفع الذكا

ويقول :

من طال فوق منتهى بسطته أعجزه نيل الذمى بله القصا
من رام ما يعجز عنه طوقه ما لب يوم ما أحد مجزول المطا
وهو بعد أن يصف الناس وأخلاقهم يحكم عليهم بأن أجادهم وأكارمهم مثله
بالنسبة إلى سواهم فهو يقول :

لأن نجوم المجد امتست أفلا وظله الفالص اضحى قد ازی
إلا بقايا من أناس بهم إلى سبيل المسكرات يفقدى
ثم ينتقل بنا فجأة ويصف لنا بعض مشاهد البادية ولعلها رحلته التي قام بها
من البصرة إلى فارس . وهو يتذكر في غربته أيام شبابه في وطنه بين القيان
والخمر والندامى ويصف الخمر وصفا رائعا فيقول :

يارب ليل جمعت قطريه لى بنت ثمانين عروس يختلى
لم يجعل الماء عليها امرها ولم يدنسها الضرام المحتضى
حينما هى الداء وأحيانا بها من دائها إذا يهيج يشفى
قد صانها الخمار لما اختارها ضنا بها على سواها واختبى

ويختتم المقصورة بحلاصة تجاربه في الحياة فقد نال كل شيء فيها فإذا مات فقد
أخذ كل شيء . وان عاش عاش صلبا لا يئن ولا يخضع لنوائب الزمان .
يقول في ختام المقصورة :

فان امت فقدت تناسلت لذتى وكل شيء بلغ الحد انتهى

وإن اعن صاحبه دهرى عالما بما إنطوى من صرفه ما أنثى
حاشا لما أساره فى الحجا والعلم إن اتبع رواد الحنا
أو ان ارى لنكبة محتضاها أو لابتهاج فرحا وقد زهى

هذه هى مقصورة ابن دريد التى يمدحها الدكتور انيس المقدسى ويقول انها
تمتاز فى التعبير بحسن المقصور للمعانى معتمداً بجوانح التشابه والاستعارات
والدقة فى استعمال اللفظ المناسب والذى ينعم النظر إلى شتى مواقف المقصورة
يتراعى له صاحبها من خلال انفعالاته رجلاً أبى النفس مرهف الحس ذا مقدرة
عجيبة على نجسيم المعانى بصور رائعة وبعبارات وألفاظ وحكمة (١).

ولقد رأينا المقصورة الدريرية تنتشر فى دوائر الادب ويعارضها كثيرون
وأول من عارض ابن دريد فى مقصوره كما رأينا من قبل الترخى الانطاكى
وقد مدح الانطاكى بمقصوره تنوخ وقومه من قضاة وأولها :

لولا انتهائى ولم اطع نهى النهى أى مدى يغلب من جاز المدى
إن كنت قد افصرت ما اقصر قلب داميا تدمية ألحاظ الدمى
أما أشهر المقصورات بمدح ابن دريد فهى مقصورة أبو الحسن حازم بن حازم
ابن محمد بن خاف بن حازم الأندلسى المتوفى عام ٦٨٤ هـ ومقصوده بلغت حوالى
الف بيت ونظمها للمستنصر ابن عبد الله وتبنى فيها بمدحه ومدح اخيه أبى يحيى
ومطلع مقصورة حازم :

لله ما هجيت يا يرم النوى على فؤادى من تباريح الجوى

(١) المقصورة الدريرية لانيس المقدسى : مقال بمجلة مجمع اللغة العربية
بدمشق ١٩٧٠ ص ٢٦٨ .

وهناك مقصورة نسبت إلى أبي صفوان الأسدي في كتاب الامالي لأبي علي
القالي ومطلع هذه المقصورة .

نأت دار ليلي وشط المزار لما رأى من حسنها ما قد رأى

ومن العصر الحديث نجد قصيدة المقصورة لمحمود سامي البارودي المتوفى
عام ١٩٠٤ م وقالها يصف المزارع ومطلعها :

هجرت ظلوم وهجرها صلة الأسي ضحى يحوم على المتيم باللقا

ويختمها بقوله :

والقطن بين ملوز ومنسور كالنبادة ازدانت بأنواع الحلى
فكان عاقده ككرات زمرد وكان زاهره كواكب في الردى

ومن أصحاب المقصورات في العصر الحديث أيضاً رشيد رضا ونظمها عام
١٨٩٧ م يهنئ الشيخ عبد القادر المغربي عندما تزوج من أسرة علم الدين وعدد
أبيانها ١٢٩ بيتاً وأول المقصورة :

تبارك البارئ مبدع الورى بالحق والحكمة عن ظهر غنى

ومن حكمه فيها :

ومن يهن هان عليه قومه وعرضه ودينه الذى ارتضى

وإذا كان ابن دريد له صاحبان السيف والحصان فإن رشيد رضا له صاحبان
هما الروضة والكتاب يقول :

وصاحبى دفتر فى متنه مثل مذب النحل يسعى فى الربى

وقد مدح رشيد رضا فى مقصوده جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده ،

وعبد القادر المغربي على خلاف ابن دريد الذى مدح ابنى ميكال . . واقد أعجب
البارودى بمقصورة رشيد رضا وفضلها على مقصورة ابن دريد . . (١)

بقيت لنا خمس المةصورة ونختار نموذجاً لها وهو تخميس المةصورة
الدريدية وخمسمها محمد سعيد الجوارى وهو مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية
— وخط المخطوطة جميل جداً وواضح ويتحدث الخمس فى مقدمة التخميس بأنه
لما رأى قصيدة ابن دريد شهيرة بين الفضلاء والأعلام جامعة لكل معنى غريب
وظرف عجيب لم يسبقه إلى النسج على منوالها سابق (٢) ، فقد ذكر محمد سعيد
الجوارى أن محمد الرضا المشهدى الشاعر قد خمسمها وصرف المدح عن الأميرين
ابنى ميكال إلى الحسن والحسين رضى الله عنهما فخطر له أن يصنع صنيعه أى
يصرف المدح عن ابنى ميكال إلى سيدى شباب أهل الجنة — الحسن والحسين —
رضى الله عنهما ويبتدى التخميس بقوله :

ولى الضبا ومبدأ الغى انتهى
فحيث وجهت ألف-ؤاد ما اشتهى
حكم النهى نهى فما قوم بها

بأظبية أشبه شيء بالمها

رائعة بين العقيق والـوى

ومن تخميسه ويقول فى مغايرة مدح ابنى ميكال إلى الحسن والحسين -
رضى الله عنهما :

(١) المةصورة فى الأدب العربى : دكتور أحمد الشرباصى ص ٦٧
(٢) تخميس المةصورة الدريدية محمد سعيد الجوارى (مخطوط) ص ٢

أن العراق لم أفارق أهله

عن شئنا صدى ولا قلى

لكن الظلم بعضهم هجرتهم
وحزب آل المصطفى عاهدتهم
فلم يظلم عيش قد فقدتهم

ويقول :

أن كنت أبصرت لهم

من بعدهم مثلاً على وخز السفا

لا أرتجى يوم القيامة أحدا
يشفع لى إلا الرسول أمددا
ولست أرجو غيره لى ممددا

أخبار ابن دريد (مخطوط)

وهذا مؤلف آخر لابن دريد مازال مخطوطا وقد اطلعت على نسخة كتبها احمد بن الأمين الشنقيطي ، والمخطوط يتبع في حوالى سبعة عشر صفحة وقد احيى بعض صفحاتها وكتبها الشنقيطي بخط غير واضح ، والكتاب مجموعة من أخبار رواها ابن دريد عن ابن أخى الاصمعي أو عن أبى حاتم السجستاني والعتيبي وكلهم شيوخه وهذه الأخبار تتناول بعض الروايات عن العرب ونواديرهم وبذكر بين هذا وذاك طرفا من الشعر لبعض الشعراء أو يروى أحيانا أخبارا عن قدماء بعض الأعراب على الخلفاء الأمويين ، ونستطيع أن نقول ان الكتاب مجموعة من الأخبار الأدبية أو القصص تشبه إلى حد ما أحاديثه التى انشرت فى كتاب الامالى والى رواها عنه أبو على الفاي واعتبرا بعض الباحثين المحدثين مثل دكتور زكى مبارك ودكتور مصطفى الشكعة مقدمة لذمالة فى المقامات . ولكننا نعجب إذا رأينا ابن دريد يذكر موضوعات لغوية كلها تتصل بالشعر والأدب اتصالا مباشرا فى بعض الأحيان ولا تتصل به فى بعضها الآخر ، وهو يذكر بابا بالحروف التى جازتها العرب أو غلطت فيها وباب ما جاء مجموعا وإنما هو اثنان ، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، وهذه المجموعة اللغوية المادرة نابعه عن مقدرة لغوية بارعة عند ابن دريد ولكننا نعتب عليه ذكر هذه الأخبار اللغوية فى كتابه هذا وكان من الافضل له ان يضعها فى معجم الجهرة الذى خلا من ملاحق نحوية وقد خطأه فيه ان جنى بعيوبه العرفية الكثيرة ، ولم يذكر ابن دريد سبب تأليف الكتاب أو منهجه فيه وأغلب الظن ان المخطوط جزء من كتاب ضاع بعض ما كتبه وبقي بعضه الآخر ولذلك نجد لا يذكر منها ما يدخل فى ذكر الأخبار مباشرة دون تمهيد على عكس ما عهدناه فى كثير

من كتبه التي قد منا ذكرها لها . ونجد غاتمة السكتاب مبنورة بعض الشيء فهي
لا شيء عن نهاية الكتاب ونحس في النهاية روح ابن دريد اللغرية وكأنها تريد
أن تقول لنا شيئاً جديداً ولـسكن الزمن يسلب منه ما كتب وهذه الروايات
والاخبار التي رواها عن أساتذته تفص لنا طرفاً من أخبار العرب تمتلئ بالغريب
والحواشي ونعتقد أن ابن دريد ذكر هذه الأخبار والروايات لفرض تعليمي
كما فعل في المقصورة الكبرى وفي أحاديثه التي ذكرها أبو علي القالي في كتابه الامالي
وكذلك مقـ ورته الصغرى .

نماذج من الكتاب ونحوه ببعض مواده :

يبتدىء الكتاب برواية عن عبد الرحمن بن أخي الاصمعي « اخبرنا ابن
دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال ضجر اعرابي من أهله وولده فتوجه بهم
نحو خيبر يعرضهم لحماها وأنشد :

فقلت لحي خيبر استعدي هذا عيالي فأجهدى وجدي
وباكرى بمال ودود اعانك الله وعلى ذي الجند

قال فعرضت له الحي من بينهم فمات وبقي عياله (١) .

وقد ذكر ابن دريد بعض العظات فقد ذكر « رواية عن أبي حاتم قال
اخبرنا محمد بن عبد الله العتبي قال حدثنا ابن هرون قال دخل عمرو بن عبيد على
المنصور وعنده المهدي فقال له عمرو : من هذا يا امير المؤمنين فقال هذا ابن
امير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال عمرو يا امير المؤمنين أراك قد ربطت له

(١) اخبار ابن دريد (مخطوط) مكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية

رقم (١٠ م) تأليف محمد بن دريد بقم أحمد بن أمين الشنقيطي ص .

أمر أسيعة إليه وأنت عنه مشغول فاستعبر فقال يا أبا عثمان عظمى فقال يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها وأنت تدنسك منه ببعضها ، فإن هذا الأمر الذى أصبح فى يديك لو بقى فى يد من كان قبلك لم يصل إليك فأحذر ليلة تمنحس بيوم لا ليل بعده ، ثم قرأ : (ألم تر كيف فذل ربك بعباد) ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد (١) ، فنزل عن سريره ووضع خده بالأرض (٢) .

ويذكر لنا فى رواية أخرى عن العكلى قصة مروية عن عمر بن الخطاب مؤداهما أن عمر سافر فى تجارة من الشام ونازعه بعض البطارقة وتعاركا سويا وهرب عمر بعد أن شج رأس البطريق ودخل ديرا آخر وأكرمه أحد الرهبان وذكر له أنه قد علم من الكتاب أنه سيكون لعمر شأن فأشترط عليه أن يكتب له كتابا بأن الدير له إذا فتح الله للدين الجديد هذه البلد ومن فيها واعطاها أمانا وتركه ، ويمضى الزمن ويأتى الاسلام ويصبح عمر بن الخطاب رضى الله عنه خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويتولى الخلافة ويقوم المساوون على البلدة ويأتى الراهب اليه بالكتاب ويعرفه عمر بن الخطاب ويوفيه حقه .

أما ما ذكره ابن دريد من بعض الدقائق اللغوية فهمى لفظة كريمة من ابن دريد ، نراه مثلا يذكر فى باب ما جاء مجموعا وإنما هو اثنان أو واحد فى الأصل : وقالوا : رجل عظيم المناكب ، وإنما له منكبان ، ورجل ذو لبساب ورجل غليظ المشافر وشديد المرافق وضخم المناخر ، وعظم البآدل (٣) .

(١) سورة الفجر من الآية ٦ إلى الآية ٨ .

(٢) اخبار ابن دريد (مخطوط) كلية الآداب جامعة الاسكندرية رقم

(١٠٠ م) ص ٤ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٧ .

وذكر في كتاب الابدال والمعاقبة والظائر قال : وهذه الحروف والابدال
والمعاقبة والظائر ، منها ما يجوز بعضه مكان حرف واثنين وثلاثة وليس كل
الحروف كذلك الواو والالف والياء : تقول أنتك من علا ، ومن علو ، ومن
على ، فهو يستشهد بعصر الاحتجاج فيذكر قول امرؤ القيس :

كجاود صخر حطه السيل من عل

ومن الظائر جعل لكل حرف بابا فقال في باب (الحاء والخاء) يقال رحمة
ورخمة ومرحوم ومرخوم ومنه فضحته وفضخته ، ويستشهد بالقرآن الكريم مثل
قوله تعالى (فيها عينان نضاختان) (١) ، وفي باب (الزاي والسين والصاد)
بزق وبصق وبسق ، هو البزاق والبصاق والبساق ، وقد لزق ولصق ، ويقال في
اسنانه رصص ولصص ، وفي الباب الحروف التي جوزتها "عرب أو غلطت فيها"
يذكر غلط بعض الشعراء أو تجاوزهم في المعنى مثل قول الاسود بن يعفر : من
صنع داود أبي سلام ، يريد سليمان ، وقال الخطيئة :

فيها الرماح وفيها كل سابقة

جدلاء مبهجة من نسيج سلام

يعنى سليمان ، (٢) .

أية ما يكون الامر فالكتاب مجموعة من أخبار أدبية ومجموعات لغوية
ورائعة تبين سمعة اعلائه في علم اللغة وإن كان موضوعها يستحق أن يكون في
معجم وليس في كتاب مثل هذا الكتاب ،

(١) مقورة الرحمن الآية ٦٩ .

(٢) أخبار ابن دريد ص ٨ و ٩ و ١٠ (مخطوط) ،

هذه هي أهم مصنفات ابن دريد التي وصلت إلينا ونحن نستثنى جمهرة اللغة منها لأن لها بحثاً خاصاً وقد ضاعت بعض كتب ابن دريد فلم يتم بعضها مثل كتاب (غريب القرآن) وقد حفظت بعض مصادر الأدب نصوصاً من كتب ابن دريد ، لقد نقل جلال الدين السيوطي في المزهرة نصوصاً من كتاب الأمل والكتاب الوشاح لابن دريد ونقل أبو علي الفارابي نصوصاً من كتاب المتناهي في اللغة لابن دريد أيضاً ، وفي مذهب السيوطي (١) قال ابن دريد في أماليه : « أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن الأصمعي قال : سمعت صبيبة يحمي جزيه يتراجزون فوقفت وصدوني عن حاجتي وأقبلت أكتب ما أسمع إذا أفبل شيخ فقال أنكتب لكلام هؤلاء الافزام الادناع » .

وفي المزهرة أيضاً قال ابن دريد في أماليه « حدثنا العكلي عن أبيه عن سابط ابن سعد قال كان أكتهم بن صيني يقول : رب عجلة تهب ريثاً ادرعوا الليل فإن الليل أخنى للويل ، المرء لا يعجز لا المحالة ، لا جماعة لمن اختلف » (٢) .

وفي شرح شواهد المغنى للسيوطي أيضاً نصوص لكتاب الوشاح الذي صنفه ابن دريد ويتضح من نصوص الكتاب أن ابن دريد ألفه في شرح ألقاب الشعراء ، قال السيوطي عند حديثه عن النابغة الذبياني « قال ابن دريد في الوشاح ، وسمى النابغة بقوله :

رحلت في بني النقي بن جسر

فقد نبغت لنا منهم شؤون

(١) المزهرة في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) المزهرة في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ج ١ ص ٥٠١ .

وعن عمرو بن كلثوم قال ابن دريد في الوشاح كنيته أبو الأسود (١) .

وفي المزهري للسيوطي حديث عن كتاب الوشاح يقول عن شعراء العرب
« عقد لذلك ابن دريد باباً في الوشاح قال فيه امرؤ القيس بن حجر (أبو
الحارث) وزهير بن أبي ساسى (أبو مجير) ونابغة بنى ذبيان (أبو أمامه)
و (أبو عترب) واوس بن حجر (أبو شريح) (٢) .

وقال في ذكر من لقب ببيت شعر قاله : « قال ابن دريد في الوشاح من
الشعراء من غلبت عليهم ألقابهم بشعرهم حتى صاروا لا يعرفون إلا بها فمنهم
منبه بن معد بن قيس بن عيلان بن نصر وهو اعصر وإبما سعى اعصر لقوله :

اعمير إن أباك غير لونه مر الليالى واختلاف الاعصر

ومنهم عمرو بن سعيد بن مالك سمي المرقش لقوله :

اندار قفر والرسوم كما رقص فى ظهر الاديم قلم (٣)

وذكر أبو علي القالى أشهر تلاميذ ابن دريد من كتاب المتناهى فى اللغة
لابن دريد نصاً قال فى الامانى وقال أبو بكر فى كتاب المتناهى فى اللغة : وهذا
اعرابى أدخل قرداً إلى سوق الحيرة ليديعه فنظرت اليه امرأة فقالت منخ فقالت
هذه الابيات : وشراحيل وشراحين وجبرئيل وجبرائين ويقال الصت الشىء

(١) شرح شراهد المغنى للسيوطي ص ٢٩ و ٤٥ :

(٢) المزهري للسيوطي ج ٢ من ٤٣٤ إلى ٤٥٦ .

(٣) المزهري للسيوطي ج ٢ ص ٤٥٦ .

اليصه الأصة ، وانصته ، انصية ، اناصة ، إذا أدركته (١) .

ونستطيع ان نستنتج من استعراضنا لمؤلفات ابن دريد انه كتب كتابه الاشتقاق بدافع الغيرة على العربية والدين الاسلامي ، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما في ضبط الاعلام وبه أيضا نصوص شعرية وأخبار عن العرب الخالص وقد اتضح ان ابن دريد يتتبع أحداث عصره مثل الشعبية وقد كتب كتابه هذا يبين اشتقاق الاعلام العربية مبتدئا بالرسول — صلى الله عليه وسلم — وهي ائمة كريمة منه وخلق صالح ينبيء عن روح دينية ، وفي كتابه المجتني نجده يختار مجموعة من الاقوال المأثورة مبتدئا بالرسول الكريم — عليه السلام — والخلفاء الراشدين ، وينفرد الكتاب بمجموعة من أقوال الفلاسفة والحكماء .

أما كتاب الملاحن فهو يستخدم فيه سعة اطلاعه على علوم اللغة فيحول الكلمة من معنى إلى آخر مستخدما الاضداد ، والارادفات وقد اتضح من استعراضنا لمواده ان الكتاب رغم ثرائه بمواد لنوعية متقلبة المعاني إلا أنها نعيم عليه تساهله أو محاولة تيسير أمور الدين عن طريق مواد اللغة .

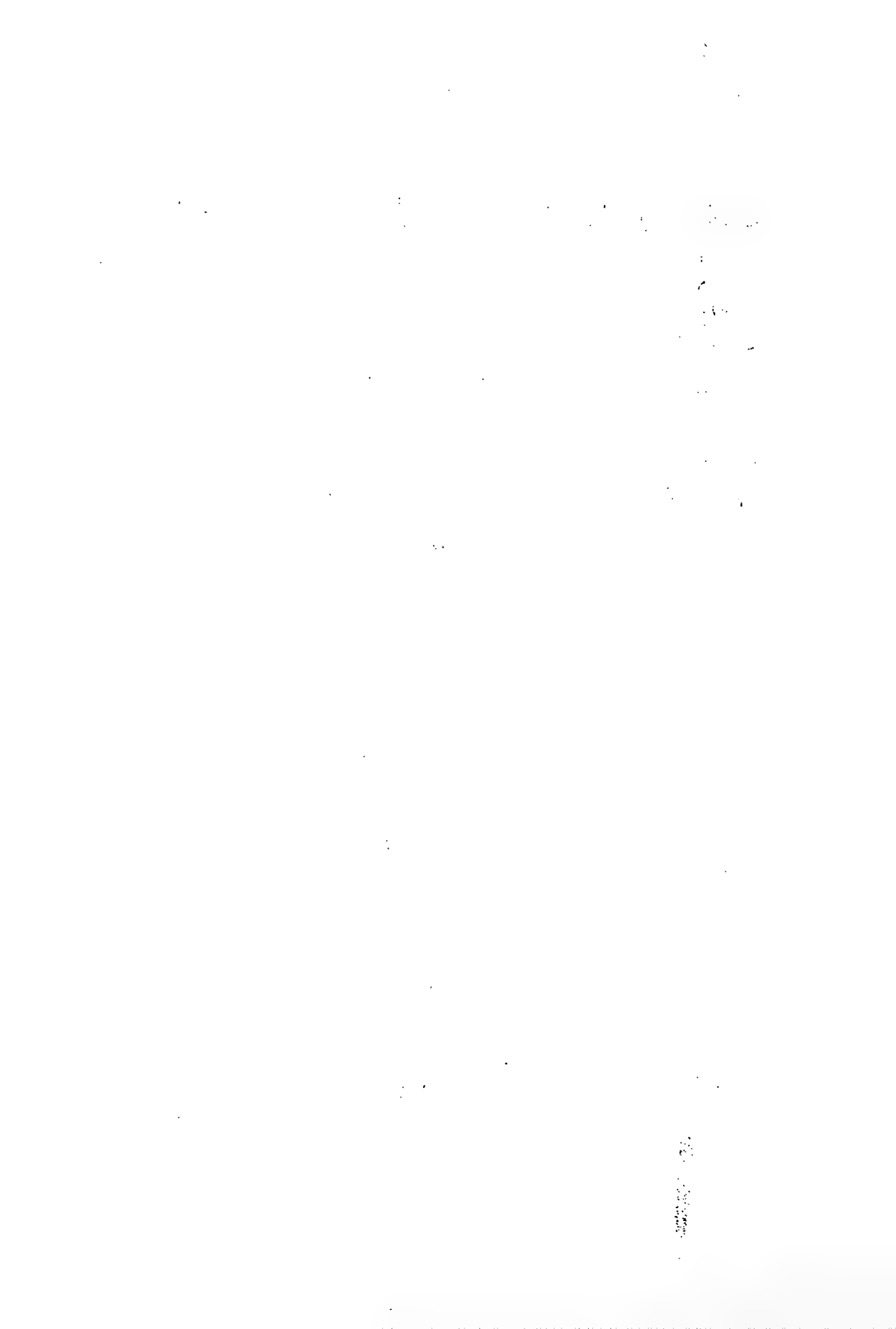
أما رسالته صفة السرج واللجام وصفة السحاب والغيث فتنبئ عن شخصية لغوية تهتم بالغريب وتشارك علماء عصرها في مراحل جمع اللغة الاولى التي أدت إلى ظهور فن المعاجم .

أما ديوانه فيكشف عن حسن مزجه وعن علاقاته مع أقرابه فنجده يهاجم

نارة ويرثي أشهر العلماء الذين ماتوا في عهده مثل الشافعي والطبري ، ويكشف عن عاطفته القومية وانتصاره لقومه في عمان .

وأما كتاب أخبار ابن دريد المخطوط فقد جمع مواداً لغوية وأخباراً عن الأعراب وبه مجموعة من المواد اللغوية أشبه بما كتبه الأوائل في فقه اللغة .

وأما مقصوده فتكشف عن شخصيته الإنسانية فنجده يزهد في الدنيا ويذكر حكماً عن الزمان ونوائبه ويفخر بنفسه وهو يمدح ابني ميكال شكراً لهما على صنيعهما معه وسنتحدث الآن عن كتاب الجهرة .



البَابُ الثَّانِي

الفصل الثاني

كتاب جمهرة اللغة



كتاب جمهرة اللغة

مقدمة : نشأة المصاحم العربية :

لم تهتم أمة بن الأمم إهتمام الأمة العربية باغتتها فحافظت عليها واعتزت بها وأحسن العرب بحال لغتهم ورقيقها واهتموا بها إهتماماً كبيراً فكانت العربية قد نضجت ، في أواخر العصر الجاهلي نضجاً كبيراً ، ونزل القرآن الكريم بعربية تعبر عن ربيعة عرب البادية ، وكانت معجزة الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يتحدى بالقرآن الكريم قريشاً في لغتهم وميلان فخرهم ، ودخل الإسلام خلق كثير وأصبحت العربية اللغة الرسمية للعرب ، وللبلاد المنتزحة التي حاول أهلها تعلم العربية حباً في تعلم الدين الجديد الذي دخلوا فيه ، أو تبعية للفاتح المنتصر ، وكان التلاحم بين العرب وأهل البلاد التي فتحوها — ودخل ميدان العربية لهجات ولكنات أعجمية — وكان الرقيق قد تسرب إلى بيوت سادة العرب وتسربت الموالى إلى الحياة العربية ودخلوا طبقة الجندية وكان مؤلاء خطراً على اللغة العربية ، ووجد اللحن بمعنى الخطأ وذاع اللحن في إعراب الكلمات ، وفزع علماء اللغة وعلماء الدين ووجهوا وجهتهم أن يحافظوا على لغتهم نقية خالصة وكان العرب يرون أن العربية الفصحى النقية هي لغة البدو البعيدين عن الاختلاط بالمعجم وكان الطريق إلى تعلم الفصحى هي معايشة البدو واعتبر كل ما يقوله البدوي فصيحاً وكان القادرون من الناس يرسلون أبناءهم إلى البادية يتعلمون فيها النصحى ، وظهر المؤدبون والمعلمون ، وظهرت فئة من العلماء كان همهم الأكبر العلم ، أمثال أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه ، ورحل هؤلاء إلى البادية يسمعون من أهلها عربيتهم الفصحى ، وأشهر هؤلاء أبو عمرو بن العلاء والحليل بن أحمد

والكسائي وتلاميذهم . ولما رأى بعض لاعراب تعلق العلماء والمؤدبين بأهل البادية هاجروا اليهم في مدنهم ومن أشهر هؤلاء الاعراب أبو مالك عمرو ابن كركرة وأبو نندام كلاب بن حمزة وأبو البيداء الرياحي وأبو الجاموس ثور بن زيد .

وكان السبب الرئيسى للاهتمام بالعربية ارتباطها بالقرآن الكريم وعلوم الدين وكان الهدف الاساسى لمعرفة اللغة آنذاك توضيح آيات القرآت الكريم أو تفسير غريبه ، واعتنى اللغويون أيضا بالحديث الشريف اهتمامهم بالقرآن الكريم ، فحاولوا تفسير غريبه ، وفي أول العصر العباسى وضعت أسس العلوم العربية والدينية نقالية مثل علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والاصول والنحو وعقلية مثل المنطق والكلام والفلسفة ، وظهر لما علم النحو ، وكان يسمى أولا علم العربية وكانت هناك جهود ضخمة اضبطت العربية المدونة من حيث الشكل والإعجام وظهرت بين هذا وذاك فكرة المعاجم كما سنرى .

ونرى أحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام يذكر أن جمع اللغة كان يسير فى مراحل ثلاث :

المرحلة الاولى :

جمع الكلمات حيثما اتفق فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة فى المطر وأخرى فى الزرع والنبات فيدون ذلك كله حسبما سمع .

المرحلة الثانية :

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد كالحديث يجمع أحاديث الصلاة ويسمى كتاب الصلاة وأحاديث البيع ويسمى كتاب البيع . وتوجت

هذه المرحلة يكتب في الموضوع الواحد فألف أبو زيد كتباً في المطر واللبن ،
وألف الأصمعي كتباً كثيرة صغيرة كل كتاب في موضوع .

المرحلة الثانية :

وضع معجم يشمل كل الكلمات ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى
الكلمات (١) .

ويذكر الدكتور على عبدالواحد رافى تقسيماً يشبه هذا التقسيم ولكنه لا يذكره
بمراحل فهو يقسم متون اللغة إلى ثلاثة أقسام :

(١) رسائل في طوائف خاصة من الألفاظ أو المعاني مثل كتاب أبي حنيفة
في الأنواء والنبات وكتب يعقوب في النبات والأصوات والفرق وكتب أبي
حانم في الأزمئة والحشرات والطير وكتب الأصمعي في الدارات والأسلاح .
ثم يعقب على ذلك بقوله وهذا النوع من المعجمات كان أمبق في الظهور
من النوعين الآخرين . فقد ظهرت بعض كتب منه في فاتحة العصر
العباسي .

(٢) معجمات جامعة ترمي إلى بيان المفردات الموضحة لمختلف المعاني فنرتب
المعاني بطريقة خاصة وتذكر الألفاظ التي تقال للتعبير عن كل معنى فيها ومن
أشهرها كتاب الألفاظ لابن السكيت المتوفى عام ٢٤٤ هـ وثانيها الألفاظ
الكتابية للهمداني المتوفى عام ٣٢٧ هـ ومبادئ اللغة للأصمعي المتوفى عام

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ج ٢ ، ص ٢١٤ - مطبعة النهضة

٤٢١ هـ ورابعها فقه اللغة الشعالبي المتوفى عام ٤٢٩ هـ وخامسها النخص لابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ .

(٣) معجمات جامعة ترمى إلى شرح معاني المفردات وترتب الكلمات ترتيباً خالصاً ليسهل على من يريد الوقوف على معنى أى كلمة الرجوع إليها فى مواطنها (١) .

كانت فكرة المعجم إذن لم تكتمل إلا بعد أن ظهرت رسائل فى غريب القرآن والحديث ورسائل خاصة فى المطر والحشرات والخيل وغير ذلك وكان سبب ذلك كما وضعنا الحفظ على العربية من المحن واختلاط العجم بالعرب وفساد ألسنتهم ثم حاجة العرب إلى معرفة ما غمض عليهم فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان هذا دافعاً قوياً للاهتمام بتلك الكتابات اللغوية .

أما المرحلة الأولى وهو ما كتبه العلماء فى الرسائل الخاصة وأهمها غريب القرآن وغريب الحديث فأول من يعزى إليه تأليف كتاب فى غريب القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنها ، المتوفى عام ٦٨ هـ ، ولكن معظم الباحثين يشكون فى نسبة الكتاب إليه (٢) ، وكتب فى غريب القرآن خلق كثير منهم فى القرن الثالث ، الضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٢ هـ والاصمعى المتوفى عام ٢١٣ هـ وابن سلام الجعفى المتوفى عام ٢٣١ هـ وابن فتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ ونعلب المتوفى عام ٢٩١ هـ ، ولقد فقدت كتب هؤلاء العلماء ما عدا كتاب

(١) دكتور على عبد الواحد وافى : فقه اللغة ، ص ٢٨٠ ، الطبعة الثالثة .

(٢) المعجم العربى نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ، ج ١ ، ص ٤٨ .

ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ فى غريب القرآن وهو يفسر فى كتابه الألفاظ الغريبة ، ويستشهد علماءها بكثير من الأشعار والأحاديث وأقوال العرب .

وفى القرن الرابع نجد كثيراً يكتبون فى غريب القرآن منهم المفضل ابن سلة المتوفى عام ٣٠٨ هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ ولكنه لم يتم كتابه ، ونفطويه المتوفى عام ٣٢٣ هـ ، ومحمد بن عزيز السجستاني المتوفى عام ٣٣٠ هـ .

كانت حركة البحث عن غريب القرآن وتفسيره هى الحركة العلمية الأولى فى الإسلام وبدأت فى النصف الأول من القرن الأول وكانت تسير فى طريقين بانتظام ترتيب وفقاً للسور فى المصحف وهى أقدمها والترتيب الألف بآى .

أما غريب الحديث فقد ظهر متأخراً ، وأول من ألف فيه أبو عبيدة معمر ابن المثنى ، المتوفى عام ٢١٠ هـ ، ونحن نشك أن يكون لابن المثنى كتاباً فى غريب الحديث ، لقد نقده إبراهيم الحربى باحتوائه أحاديث لا أصل لها ، وقد كان أبو عبيدة مشهوراً بالشعوبية والتطاول على العرب والعريضة ، ولقد فقد الكتاب وكتب النضر بن شميل المتوفى عام ٢٣٠ هـ كتاباً فى غريب الحديث أيضاً ولكنه لم يصلنا وفى القرن الثالث نجد من كتب فى غريب الحديث أبو عمرو الشيبانى المتوفى عام ٢٠١ هـ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ والاصمغنى المتوفى عام ٢١٣ هـ ، وألف أبو عبيد المتوفى عام ٢١٤ هـ كتاباً فى غريب الحديث أعجب به الباحثون وكتب ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ فى غريب الحديث يقول فى مقدمته : وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع

تفسير غريب الحديث وان الناظر فيه يستغن به ثم تعقبت ذلك بالنظر والتنقيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نحواً ما ذكر فتبعت ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر وأرجو ألا يكون بقي بعد مذيّن الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال « (١) .

وفي القرن الثالث نجد ابراهيم بن اسحق الحربي المتوفى عام ٢٨٥ هـ يؤلف في غريب الحديث ويتبع فيه منهج أبي عبيد المتوفى عام ٢٢٤ هـ ، وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ ، والمبرد المتوفى عام ٢٨٦ هـ وثلث المتوفى عام ٢٩١ هـ ، وابن كيسان المتوفى عام ٢٩٩ هـ .

أما القرن الرابع فنجد فيه من العلماء الذين كتبوا في غريب الحديث قاسم بن ثابت السراقسطي المتوفى عام ٣٠٢ هـ وأبو موسى الحارثي المتوفى عام ٣٠٥ هـ وابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ وأبو بكر بن الانباري المتوفى عام ٣٢٨ هـ وابن درستويه المتوفى عام ٣٤٧ هـ (٢) .

أما أهم الكتب التي ألفت في غريب الحديث بعد ذلك ووصلتنا وتعتبر مصدراً لكل ما كتب قبل ذلك عن غريب الحديث كتاب الفائق في غريب الحديث الذي ألفه الزمخشري المتوفى عام ٥٤٨ هـ وقد قسم كتابه على حسب حروف المءجم فيذكر في المادة الحديث الذي يحتوى عليها ثم يشرح المادة ، ويستشهد عليها بأحاديث أخرى وبآقرآن الكريم وبالشعر .

(١) غريب الحديث : ابن قتيبة : مخطوط مكتبة البلدية رقم ٢٢٢٠ ب .

(٢) التمهيد : لابن النديم ، ص ١٣٥ (جمع مؤلفي كتب الحديث في القرن الثالث والرابع ، أنظر ص ١٣٥ وما بعدها) .

أما كتاب النهاية في غريب الحديث والآثار لابن الأثير المتوفى عام ٦٠٦ هـ وقد أخذ مادة هذا الكتاب من أكبر كتابين في غريب القرآن والحديث للروى المتوفى عام ٤٠١ هـ بعد تجريدتهما من غريب القرآن والزيادة عليهما من الكتب الأخرى، وكان الهروى المتوفى عام ٤٠١ هـ قد أراد أن يضم إلى الحديث الشريف فجمع (كتاب الغريبين) واستمد الهروى مادته كلها من الكتب السابقة عليه في القرآن والحديث مع الاختصار ولذلك قلل الشواهد وحذف أسانيد الأحاديث ولا شك أن تفسير الغريب في القرآن الكريم والحديث الشريف عمل له صلة أصيلة بالدراسة المعجمية، فإن أساس المعجم شرح لفظ من الالفاظ اللغوية وبدأ العرب بتفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف وتطور التفسير اللغوي إلى وضع المعاجم بعد ذلك.

وهناك ناحية أخرى أحس بها علماء اللغة ذلك أن ألفاظا ظهرت في معان جديدة، مثل الصلاة والزكاة والحج والصوم والوقف والبيع وكان لهذه الالفاظ اصطلاحات فقهية ومبانٍ لشره أخرى فظهرت لنا كتب في معاجم الفقه، مثل كتاب الزاهر في غرائب الامام الشافعى تأليف أبى منصور الأزهري صاحب التهذيب، والمتوفى عام ٣٧٠ هـ وقد ألف كتابه لشرح ألفاظ الامام الشافعى معتمداً على كتاب جمع ألفاظ الشافعى وهو جامع إسماعيل بن يحيى المرزى.

ومن الكتب الأخرى التى كتبت في الفقه وألفاظ كتاب المغرب في ترتيب المعرب، لأبى الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي الخوارزمي المتوفى عام ٦١٦ هـ، وكتاب تهذيب الاسماء واللغات لمحى الدين بن شرف النووى المتوفى عام ٦٧٦ هـ وقد ترك مثل هذه الكتب في أنها شرح لكتب معروفة من كتب الفقه نذكر من

الاستشهاد بالحديث الشريف وتقل من الاستشهاد بالشعر حتى أن بعضها يشبه كتب غريب الحديث . كما يشترك أكثرها في العناية بأسماء الفقهاء والمحدثين والأما كن الواردة في الحديث وهي تعنى باللفظ بالمعنى الفقهي ولا تورد شيئاً من مشتقاته إلا ما يوضح معناه ولا تفصل في المعاني اللغوية والنحوية .

ومن المؤلفات التي سبقت وضع المعاجم وكانت مقدمة لجمع اللغة كتب اللغات والعلمى والمغرب وكانت لغات القرآن الكريم أهم الكتب المؤلفة في ذلك المضمار ، وقد وصلت إلينا رسالة منسوبة إلى ابن عباس من رضى الله عنهما — تحت عنوان « كتاب اللغات في القرآن » ، ويشك كثير من الباحثين في هذه الرسالة المنسوبة إلى ابن عباس ، يقول الدكتور حسين نصار في كتاب المعجم العربى نشأته وتطوره « ويخيل إلى أن الكتاب يجمع بعض الروايات المعزوة إلى ابن عباس من عمل أحد الرواة المذكورة أسماءهم في صدر الكتاب وليس من عمل ابن عباس نفسه » (١) .

ووصلت إلينا رسالة أخرى منسوبة إلى أبى القاسم بن سلام ونشرت الرسالة مع تفسير القرآن العظيم لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى فى هامش الكتاب ، ويملك كثير من الباحثين فى نسبة هذه لرسالة أيضا إلى أبى القاسم بن سلام ، فصاحب الرسالة غير معروف وليس هو أبى عبيد القاسم بن سلام إذ لم تذكر له رسائل من هذا النوع ، ويعتبرون الرسالة صورة مختصرة من رسالة ابن عباس — رضى الله عنهما — وقد اطاعت على الرسالة التى نشرت على هامش تفسير الجلالين ، هى تبدأ بمقدمة تبين نزول القرآن الكريم بإسان

(١) الدكتور حسين نصار: المعجم العربى نشأته وتطوره ج ١ ص ٧٣ .

قريش وأنه لو كان غير عربي ما فهموه ، « وما أنزل الله كتابا من السماء إلا بالعربية وكان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبي بلسان قومه ، وذلك معنى قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) ، فليس ما وقع من السنة الامم أو سمع من لسان العرب في القرآن ليس فيه لغة إلا لغة العرب وربما وافقت بعض المكات بعضها فالأصل والجنس فعربي لا يخاطه شيء (١) .

وتسير الرسالة في منهجها مبتدئة بترتيب المصحف الشريف فتذكر ما ورد في القرآن الكريم من لغات العرب وهذه أمثلة لها ، ففي سورة البقرة قوله تعالى (قالوا أنؤمن لك كما آمن السوءاء) (٢) ، السفية الجاهل بلغة كنانة ، ومثل قوله تعالى في سورة البقرة (لا شيء فيها) (٣) ، لا وضح بلغة أزدشنة ، وفي سورة مريم قوله تعالى (من الكبر عتيا) (٤) نحو لا بلغة حمير ، (وتمتك سريا) (٥) يعنى جدولاً ، بلغة توافق لغة السريانية (٦) .

ومن الذين ألفوا في لغات القرآن الكريم الفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ

(١) أبو القاسم بن سلام : رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات

القبائل هامش تفسير الجلالين ج ١ ص ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة آية ١٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٧١ .

(٤) سورة مريم آية ٨ .

(٥) سورة مريم آية ٢٤ .

(٦) رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل : أبو القاسم بن

سلام ، هامش تفسير الجلالين ج ١ ص ١٢٦ - ١٣٠ .

والأصمعي المتوفى عام ٢٠٣ هـ ، وأبو زيد الانصاري المتوفى عام ٢١٥ هـ
وابن دريد المتوفى عام ٢٣١ هـ ولم يتم كتابه .

أما لغات القبائل فينسب إلى يونس بن حبيب المتوفى عام ١٧٢ هـ كتابا وأبي
عمرو أسحاق بن مرار الشيباني المتوفى عام ٢٠٦ هـ وكذا ألف في لغات القبائل
الفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ وأبو عبيده المتوفى عام ٢١٠ هـ والأصمعي وأبو زيد
الانصاري المتوفى عام ٢١٥ هـ وعمرو بن أبي عمر الشيباني المتوفى عام ٢٣١ هـ
أما ابن دريد المتوفى عام ٢٣١ هـ فتمد تخصص أمثلة تعالج اللغات الحقة
بجمهرة اللغة .

أما كتب اللحن فأقدم كتاب وصل إلينا كتاب ينسب إلى الكسائي وقد
كتب غيره في اللحن مثل الزبيدي الذي كتب في لحن العوام وكتب ابن السكيت
المتوفى عام ٢٤٤ هـ كتابه لإصلاح المنطق وابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ الذي أفرد
قسما من كتابه أدب الكاتب وهو ما سماه كتاب تقويم اللسان .

أما الرسائل التي كان لها دور كبير في نشأة المعاجم فهي الرسائل المؤلفة في
الإنسان والحيل والابل وقد سبق ذلك كتب الف في الحشرات .

وقد تعجب دكتور حسين نصار من سبب ظهور هذا النوع من التأليف
سابقا لغيره من أنواع التأليف الأخرى ولكنه علم ذلك بقوله « أن القرآن ذكر
طائفة من الحشرات كالنمل والنحل والذباب والعنكبوت والجراد والبعوض
فكان لمنعري القرآن مباحث وكلام فيها استرعى أنظار اللغويين » (١) .

أما كتب الحشرات فقد ألف أبو خيرة الأعرابي كتاب الحشرات ثم ألف

(١) المعجم العربي نساؤه وتطورها : دكتور حسين نصار ج ١ ص ١٤٣ .

أبو عمرو الشيباني المتوفى عام ٢٠١ هـ كتابي النحل والعسل وأبو عبيدة
المتوفى عام ٢١٠ هـ كتابي الحيات والعقارب ، والاصمعي المتوفى عام
٢١٣ هـ كتابي النحل والعسل وابن الأعرابي المتوفى عام ٢٣١ هـ كتاب
الذباب ، وأبر حاتم السجستاني المتوفى عام ٢٥٥ هـ كتب الحشرات والجراد
والنحل والذباب وألف أبو الحسن الاخنش الأصغر المتوفى عام ٢١٥ هـ كتاب
الجراد .

ولم يصل إلينا كتاب مستقل من هذه الكتب وإنما نقل عنها أصحاب
الموسوعات مثل ابن سيده المتوفى عام ٥٨٤ هـ في كتابه المخصص والشعالي المتوفى
عام ٤٢٩ هـ في كتابه فقه اللغة :

أما كتب الخيل فاهتم بها علماء اللغة لما للخيل من أهمية عند العرب
فهي أداة الأساسية في الحرب وأداة انتقاله وزيتته في السلم وكتب اللغويون
فيها تحت اسم الخيل أو خلق الفرس مثل النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤ هـ
وأبو عمرو الشيباني المتوفى ٢٠٦ هـ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ وأبو عبيدة
المتوفى عام ٢١٠ هـ وله ثلاث كتب في الخيل وأسمائها وحضرها . وكتب أيضا
الاصمعي المتوفى عام ٢١٢ هـ والمنضل الضبي المتوفى عام ٢٢٨ هـ والرياشي
المتوفى عام ٢٥٧ هـ .

وفي القرن الرابع نجد من كتب في الخيل مثل قاسم بن محمد الانباري
المتوفى عام ٣٠٤ هـ والزجاج المتوفى عام ٣١٠ هـ والنويري المتوفى عام
٣٤١ هـ .

أما ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ فيجده يكتب رمهاتين أحدهما في صفة

السرج واللجام والأخرى في السحاب والغيث أما تليذه أبو على القالى المتوفى عام ٣٥١ هـ فيؤلف في الخيل بعامة .

وكتب الخيل يقسمها مؤلفوها تقسيما موضوعيا فهنا باب لأعضاء الخيل وآخر لما يستحب فيها وثالث لما يكره وقد ضاعت معظم هذه الكتب وبقيت رسالتنا ابن دريد وأحدهما تتحدث عن صفة السرج واللجام . وقد بقيت نصوص هذه الكتب ينقلها أصحاب الموسوعات كما قلنا ونجد ذلك عند الثعالبي في فقه اللغة وابن سيده في المخصص والنويرى في نهاية الأرب .

أما الرسائل الأخرى التي مهدت لنشأة المعاجم العربية فهي كتب النوادر وأول كتاب في النوادر ينسب إلى أبي عمرو بن العلاء المتوفى عام ١٥٧ هـ ظهر في هذا الشأن وينسب إلى يونس بن حبيب المتوفى عام ١٨٢ هـ كتاب في النوادر أيضا .

أما القرن الثالث فقد امتلأ بكتب النوادر فقد ألف فيها اليزيدى المتوفى عام ٢٠٢ هـ وقطرب المتوفى عام ٢٠٦ هـ والفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ وأبو عبيدة المتوفى عام ٢١٠ هـ والأصمعي المتوفى عام ٢١٣ هـ وغيرهم من علماء القرن الثالث . وأهم كتاب وصلنا في النوادر بل أقدم هذه الكتب التي بقيت مع الزمن كتاب النوادر لأبي زيد الانصاري المتوفى عام ٢١٥ هـ وينقسم الكتاب إلى أبواب منها مجموعة خاصة بالشعر وأخرى بالزجل وثالثة للنوادر وهو يتم كثيراً بالشعر فكان يذكر صاحب الأبيات وعمره جاهلي أم أدرك الإسلام ويذكر الروايات المختلفة في الشعر ،

وكان يلتفت في شروحه إلى بعض المشتقات والتعبيرات الخاصة والدقائق اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية . كما أنه كان يشرح معاني المفردات ويفسر المعنى الإجمالي ، ركان يستشهد في شرحه بشواهد أخرى من القرآن الكريم والشعر ويطلب على البابین الأولین من أبواب الشعر الإطالة والاستطراد وایس الحال هكذا في الأبواب الأخرى الخاصة بالرجز والنوادر فقد كان أقل دقة في عزو الرجز إلى صاحبه وكثيرا ما يهمل التصريح باسم الفائل وقد ينرد الرجز إلى قبيلة أو بطن من البطون لا إلى فرد معين وكان شرحه في هذا الجزء مختصرا عن شرح الشعر أما الفاظ النوادر فتتداول الفاظا وتعبيرات واستعمالات غريبة لا تجرى على القواعد المعروفة لا على اللغة الشائعة .

ومن أهل القرن الرابع من ألف في النوادر منهم الزجاج المتوفى عام ٣١٠ هـ وابن دريد المتوفى عام ٢٢١ هـ . وأبو علي القالي المتوفى عام ٢٥٦ هـ وأبو هلال العسكري المتوفى عام ٣٩٥ هـ .

أما كتاب النوادر لابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ فقد ضيعه الزمن ولكنه بعد أن انتهى من ذكر أبواب الخمسة في كتاب جمهرة اللغة ألحق به بعض الأبواب وجعلها من النوادر وعزاها إلى أبي عبيدة وأبي زيد والاصمعي ، ونوادر ابن دريد عبارة عن نقول من كتب كان يأخذ منها ويروي فيها عن علماء اللغة السابق ذكرهم ومنهجهم في النوادر هو نفس منهج أصحاب كتب النوادر وقد جمع ابن دريد فيه ألفاظا غريبة ويأتي لها بشواهد من الشعر .

ويعتمد بعض الباحثين المحدثين أن هذا الملحق الذي ختم

ابن دريد الجوهري به ايسر الاكتسابا منفصلا أحب الناشر أن يلحقه بالجمهرة لما له من علاقة بفن الكلمة . (١)

إلى جانب هذه الرسائل التي شاركت في تطور العلوم اللغوية وارساء فن المعاجم اللغوية ظهرت كتب البلدان والمواضع وقد ظهرت هذه الكتب في عصر الخليل بن أحمد فقد عد ابن النديم في الفهرست كتابا لهشام بن محمد الكلبى المتوفى عام ٢٠٢ هـ ، منها البلدان الكبير والبلدان الصغير وتسمية الأرض والأنهار ومنازل اليمن ، وأسواق العرب والأقاليم . (١)

وذكر ابن النديم للاصمعي المتوفى عام ٢١٦ هـ كتابا عن مياه العرب وجزيرة العرب والدارات وقد وصل إلينا كتاب الدارات في مجموعة البلغة في شذور اللغة التي نشرها أرغست ، فغتر إلى جانب هذه الرسائل كانت هناك رسائل أخرى في الأفراد والتثنية والجمع والمصادر وقد ذكر دكتور حسين نصار احصاءاً لهذه الكتب في كتابه ، المعجم العربى نشأته وتطوره ، فذكر كتابا تنسب إلى الرؤاسي المتوفى عام ٢٨٧ هـ في الأفراد والجمع والفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ كتب كتابا في الجمع والتثنية في القرآن ثم ألف أبو عبيده المتوفى عام ٢١٠ هـ كتاب الجمع والتثنية وأبو زيد الأنصاري المتوفى عام ٢١٥ هـ ألف كتابا الواحد والتثنية ثم يعقوب بن السكيت المتوفى عام ١٤٦ هـ ، كتاب المثنى والمكنى والمبنى والمواخى والمشبّه والنخل (٢)

وهناك كتب الابنية مثل كتب المصادر وكان الكسائى المتوفى عام ١٨٩ هـ قد كتب كتابا في المصادر وجاء النضر بن شميل المتوفى عام ٢٠٤ هـ والفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ وقد كتب عن المصادر في القرآن وهناك كتب أمثلة الاسماء .

(١) د . عبد السميع أحمد : المعاجم العربية ص ٧٣

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٤٨

(٢) المعجم العربى : دكتور حسين نصار ج ١ ص ١٧٢

ويعتقد الدكتور حسين نصار أن الفارابي المتوفى عام ٣٥٠ هـ قد ابتدع نظاما في هذا النوع من التأليف كان له أثره الخالد في حركة المعاجم العربية . فقد جمع للمرة الأولى بين كتب الأفعال والمصادر والاسماء في كتاب واحد (١) وهناك رسائل في الصفات أيضا . ونستطيع أن نلاحظ في نهاية هذه الرسائل أن ابن دريد شارك مشاركة فعالة في هذه الحركة المبكرة فكتب في الخيل والمطر والامالي والنوادر وغريب الحديث الشريف وهو إلى جانب ذلك صاحب معجم .

كانت هذه الرسائل التي تفسر كلمات أو تتحدث عن موضوعات خاصة بالإنسان أو بالخيال أو المطر أو أبنية الكلم في العربية مقدمة لنشأة المعاجم العربية وكان الخليل بن أحمد عالم اللغة العظيم صاحب الفضل الاول في نشأة المعجم العربي ولكن هل كان العرب أمسبق الاسم في المعاجم أم سبقتهم أمم أخرى ؟

يرى الدكتور محمد أبو الفرج أن العرب كانوا أسبق من الغرب في تأليف المعاجم . يقول الدكتور محمد أبو الفرج في كتابه « المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث » ، وإذا أردنا أن نقارن تاريخ المعاجم في العربية بمعاجم اللغة كالانجليزية مثلا وحدنا الاصطلاح « معجم » لم يظهر في صيغة اللاتينية Dictionaries الا في سنة ١٢٢٥ ميلادية أي بعد خمسة قرون من ظهور معجم العين وبعد هذه القرون الخمسة استعملت الكلمة . ولكن لم يظهر معجم بالمعنى الشامل الا في القرن السابع عشر إذ كتب Robert Tanderly معجمه سنة ١٦٠٤ م (١)

(١) المعجم . للعربي الدكتور حسين نصار ج ١ ص ١٠٨

(٢) د . محمد أبو الفرج : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث

ويرى الدكتور حسن ظاظا وهو يذكر أن المعاجم الأولى التي عرفها الإنسان كانت معاجم ترجمة أو معاجم زوجية يرى أن « هذا النوع أى المعجم الزوجى أو معجم الترجمة نجده معروفًا في العراق القديمة إذ جاء الساميون من جزيرة العرب في غضون الألف الثالث قبل الميلاد وأسروا لهم حضارة ودولة ونظما إجتماعية أخذت معظم عناصرها الأساسية من حضارة السومريين » (١)

وفى موضع آخر يذكر الدكتور حسن ظاظا حين يتحدث عن المعاجم اللغوية الأبجدية ، إن هذه المعاجم ظهرت فى الشرق الأقصى — وبخاصة الصين — ويرجع ذلك إلى سنة ١٥٠ ق. م وهو معجم يعرف باسم « شوأران » من تأليف « هوشن » ومعجم آخر من سنة ٥٣٠ بعد الميلاد ألفه كورى وانج واسمه « يوبين » ، كذلك وضع اليونان والرومان معاجم من هذا النوع منها معجم هلاديوس السكندرى ، فى القرن الرابع الميلادى ومعجم يوليوس بولوكس وهو مرتب حسب الموضوعات ، وهذان المعجمان يونانيان .

وفى عهد الامبراطور الرومانى أغسطس حوالى ميلاد المسيح ظهر معجم فاليريوس فلاتوس ، وعنوانه « معانى الألفاظ كما ألف هتريثيوس السكندرى فى القرن الرابع الميلادى معجمًا للهجاء والتعبيرات وألف امونيوس السكندرى معجمًا لمعانى المشترك » (٢) .

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية مادة الخليل بن احمد أن الهنود سبقوا إلى وضع معاجم ألفاظ اللغة السنسكريتية مرتبة ترتيبا أبجدياً . (٣)

(١) كلام العرب من قضايا اللغة العربية : دكتور حسن ظاظا ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : ترجمة ابراهيم خورشيد وآخرون مادة (الخليل بن احمد) .

ويرتب بعض الباحثين المحدثين على هذا أن العرب قلدوا الهنود بتنظيم معجماتهم تنظيمها هجائياً وأن الخليل بن أحمد نفسه تأثر بهم وتعلمه على طريقةهم . ولكن هذا الافتراض لم يقم عليه دليل يؤيده حتى الآن . ونستطيع أن نرى من الآراء السابقة للباحثين المحدثين أن العرب كانوا أسبق الأمم في إرساء فن المعاجم اللغوية بطريقة منظمة مرتبة تحفظ اللغة على مر الزمن وتتيح للباحث أن يرى ما خفي عليه . وقد توسعت بعض المعاجم اللغوية مثل لسان العرب فأصبحت موسوعات لغوية تشمل لغة وتفسيراً وحديث شريف وأدب ، وهناك معاجم خصصت موضوعاتها لدراسة خاصة مثل المخصص لابن سيده الأندلسي .

ولكن متى ظهرت كلمة « معجم » وهل أطلقت أول ما أطلقت على المعاجم اللغوية ؟

تطلق كلمة « معجم » من الناحية اللغوية على معان ، فيذكر ابن جنى في سر الصناعة أن « ع ج م » — إنما وضعت في كلام العرب للابهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح من ذلك قولهم رجل أعجم ، وإسراء عجماء إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما ، وكذلك العجم والعجم ، ثم يناقش ابن جنى معنى (أعجمت) وتعريف — عجم ، وفي كلامهم موضوع للابهام وخلاف الإفصاح وأنت إذا أعجمت الكتاب فأما معناه أوضحته وبينته (١) .

ويذهب بعض اللغويين المحدثين إلى أن المعجم بمعنى الاعجام مصدرأ مثل

(١) سر صناعة الإعراب : ابن جنى : تحقيق إبراهيم مصطفى

المخرج والمدخل أى من شأن هذه الحروف أن تعجم ووضع الكتب التى راعت فى ترتيبها حروف الهجاء أى مراعاة فى الحرف الاول وحده أو فى الحرفين الاولين أو فى حروفها جميعا ، وعلى ترتيب ألف باء أو ترتيب الخارج ، أو ترتيب الأبجدية بأنها تسير على حروف المعجم ويبدو أن الناس استطالوا عبارة «كتاب كذا على حروف المعجم لفلان .. فاختروها وساروا فى طريقين قالوا كتاب كذا على الحروف لفلان . بحذف كلمة (المعجم) وقالوا معجم كذا لفلان بحذف كلمة (حروف) وتغيير وترتيب الكلمة» (١).

وظهرت كلمة معجم قبل أن تظهر كلمة (المعجم) فى المعاجم اللغوية فقد كتب أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوى المعروف بابن بنت منيع المعجمين الكبير والصغير ونرى أبو يعلى أحمد بن على بن المشنى المتوفى عام ٣٠٧ هـ يضع كتاباً يسميه معجم الصحابة . وأطلقت كلمة معجم فى القرن الرابع على كثير من الكتب وأشهرها المعجم الكبير والصغير والأوسط فى قراءات القرآن وأسمائه لأبى بكر محمد بن الحسن القاسم الموصلى المتوفى عام ٢٥١ هـ ، ومعجم الشيوخ لأبى الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادى المتوفى عام ٣٥١ هـ . ومعجم الشموح لعمر بن عثمان البغدادى المعروف بابن شاهين والمتوفى عام ٣٨٠ هـ .

ولا ندرى متى أطلقت كلمة (معجم) على المعجمات اللغوية ونجد كلمة (قاموس) مرادفة لكلمة معجم : وقد ذكرت أول ما ذكرت من تسمية معجم الفيروز أبادى بالقاموس المحيط ومعناها البحر المحيط ، واقتصر المتأخرون

على تسمية المعاجم بالقاموس وشهر الاسم وأذن على جميع المعاجم اللغوية
الآخرى المتقدمة والمتأخرة .

ونستطيع أن نلخص الآراء السابقة فنقول أن كلمة معجم أصلها من عجم
وهي تدل على الإبهام والخفاء والأعجم غير الفصحى أما أعجمت الحروف أزلت
عجمته بما يميزه عن غيره بنقط وشكل . فالمعجم هو ما يزيل العجمة ويبين الخفاء
وان كلمة المعاجم ظهرت أول ما ظهرت في كتب لانعقد معاجم لغوية مثل معاجم
الصحابة ومعاجم القرآن الكريم وأطلقت بعد ذلك على الكتب التي تفسر الكلمة
وترتبها وتبويبها وظهرت كلمة (قاموس) أيضا مرادفة لها وكان أول من استعملها
الفيزون ابادى في كتاب (القاموس المحيط) بمعنى البحر المحيط وشاعت الكلمة بعد
ذلك فقليل معجم أو قاموس والمعنى واحد .

وننتقل بعد ذلك إلى معجم العين للخليل بن احمد الذى كان له أثر كبير في
كتاب الجهرة ، بل إن بعض الباحثين عدوه شيعيا له واهم بعض القدماء ابن
دريد بسرقة العين وتغييرها وتسميتها بالجهرة .

والخليل بن احمد غنى عن التعريف فقد كان في حياته زاهدا يحب العلم تتلمذ
على عيسى بن عمر وأبى عمرو بن العلاء واهتم بالعلوم المستعربة وخاصة العلوم
الرياضية وقرأ كل ما ترجم وخاصة منطق ارسططاليس وقرأ ما ترجم من علم
الايقاع الموسيقى عند اليونان وألف فيه كتابا وكان عقل الخليل من العقول
الخصبة المادرة فهو ينهل من كل علم يقبل عليه ويحاول أن يبتكر فيه ويرجع
اليه الفضل في ابتكار علم العروض ويقال أنه استغل معرفته بالعلوم الرياضية
ونظرياتها وخاصة نظريتى المعادلات والتعادل والتوافيق في تنظيمه لعلم العروض
فقد اشتق له تفاعيل خاصة وأدارها في دوائر كدوائر المهندسين مستخدما إشارات

من النقط والحقاق تصور ما يجرى في التفعيلات من زحافات كما تفسح لأجزائها في التقدم والتأخر ، (١)

ويقال انه مر بمجدار يوما فأعجبه دق المطرقة المنتظم ولما حاول أن يربط بين هذه النغمات المنتظمة وبين الاوزان وفي الشعر العربي أداه ذلك إلى اختراع علم العروض .

وكان الخليل بارعا أيضا في علم الحساب فقد ذكر أنه وضع محاولة ابتكر فيها وضع نظام حسابي خاص من السهولة حتى تعرفه جاريته ، إذا ذهبت إلى السوق فلا يغالطها أحد في الحساب . وله مؤلفات يذكر ابن النديم منها كتاب النغم ، كتاب العروض ، كتاب الشواهد ، كتاب النقط والشكل ، كتاب فائت العين ، كتاب الانباع ، (٢).

وقد تلبذه له سيبيويه والنضر بن شميل ومؤرج السديسي ودات عام ١٧٠ هـ .

منهج الخليل في كتاب العين :

لم يجد الخليل بن احمد في الرسائل اللغوية الخاصة منها كافيا لجمع اللغة وفكر طويلا في منهج جديد وأخيراً اهتمدى إلى ان العربية تتألف من (٢٩) حرفا وحاول أن يتم حصر اللغة بترتيب هذه الحروف في نظام ثابت وقد تذكر أن الكلمات العربية محصورة بين الثنائي والخاسي فلا تقل ولا تزيد إلا بحروف زوائد

(١) المدارس النحوية : دكتور شوقي ضيف ص ٣١ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٧١ .

لا تؤثر في المعنى الاصلى للكلمة المجردة وحاول أن يستخدم هذين الاسمين
(انحصار الحروف في ٢٩ حرفاً وانحصار الكلمات العربية فيما بين الثنائي والخماسي)
وحاول أن يستعمل الأبجدية العادية فيبدأ بالالف وليكنه يذكر في مقدمة العين
أن ذلك لم يتيسر له ، لأن الالف حرف معتل فلما فاتته الحرف الاول كره أن
يبتدىء بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر ، فدبر ونظر إلى الحروف
كلها وذوقها فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق وإنما كان ذواقه
اياها انه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف نحو : ا ب ، ا ت ، فوجد العين
أدخل الحروف في الحلق ... (١)

فلم يبدأ بالهمزة لأنها لا استقرار لها والهمزة هو ذلك الحرف الذي
هزم أستاذه أبا عمرو بن العلاء ، واتعب كل من تصدى له ولا صورة ثابتة له في
النطق أو الكتابة فلم يبدأ بالهمزة وكره البدء بالباء وهنا تجود به القرينة وهو
ذلك العالم الذي يعيش في جو الاصوات والانغام فيبتكر نظاماً جديداً قائماً على
الاصوات فهو يرى أن الاصوات تشبه انغام الآلات الموسيقية والآلة التي تصدر
الاصوات اللغوية فهي ما بين الحنجرة إلى الشفتين وأما الذي يفرق بين وقعها على
الاذن فهو اختلاف مواضع مخارجها كما يفرق في الاصوات الموسيقية الخارجية
من الناي بشدة إرسال الهواء أو ضعفه ويخلق بعض الثقوب الجانبية أو
فتحها .

وقد ذكر ابن جنى في كتاب « سر صناعة الاعراب » في تشبيه الحلق بآلات

(١) مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد (مقال بقلم دكتور عبد الله درويش)

الموسيقى بقوله : « ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الاجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصداؤها — ماشبه بعضهم الخلق والنغم بالنأي فان الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ما ذجا... » (١)

ويرى الدكتور حسين نصار انه يقصد بقوله « ماشبه بعضهم » معناه وأظن انه يقصد التحليل وخاصة انه اللغوي الذي ألف في الموسيقى ، (٢).

وقد اتبع الخليل بن احمد هذا المنهج حين وضع العين :

أولا : جمع ألفاظ اللغة حسب مخارجها فبدأ بالحلقية ثم بالسانية ثم بالشفوية ثم بالحوفية ، وكان ترتيب هذه الحروف كالتالي :

ع ، ح ، ه ، خ ، غ ، ق ، ل ، ج ، ش ، ص ، ض ، ز ، ط ، د ،
ت ، ظ ، ث ، ز ، ر ، ل ، ن ، (ذ - ب م) ، و ، ا ، ي ،
همزة (٣) .

(١) سر صناعة الاعراب : لابن جنى تحقيق ابراهيم مصطفى ص ١٣ .

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج ١ ص ٢٣٢ .

(٣) مقدمة كتاب العين بقلم دكتور عبد الله درويش : مجلة معهد المخطوطات

المجلد التاسع عشر طبعة مايو ١٩٦٣ ص ١٥٢ ، وقد اختلف الباحثون

المحدثون في هذا الترتيب فالدكتور الخصيب يذكرها في مقال مجلة المجمع

اللغوي بدمشق بتقديم التاء على الدال والذال مع التاء والراء ، ويذكرها

الدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي ج ١ ص ٢٧ ، مثل نسخة

العين : وكذلك الدكتور محمد أبو الفرج في كتاب المعاجم العربية على

ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، ويختلف الدكتور ابراهيم نجما في

وسمى الخليل كل حرف من هذه الحروف كتابا — فبدأ المعجم بكتاب العين فكتاب الحاء فكتاب الهاء ... الخ ، وشهر الكتاب بعنوان الكتاب الاول وهو كتاب العين ، لاستهلاله به على عادة العرب في كثير من أسمائهم . ويتضح ذلك جليا في كثير من أسماء سرر القرآن الكريم وقد سمى أبو تمام كتابه بالحماسة لانه أول باب من أبوابه العشرة .

ونلاحظ انه بدأ بكتاب العين وهي ليست أدخل في الحلق من الهمزة ويناقد هذه المسألة السيوطي في المازهر وقد نقل عن المفضل بن سلمة السكوني ذكر صاحب العين انه بدأ كتابة بحرف العين لأنها أقصى الحروف مخرجا ، قال الذي ذكره سيبويه أن الهمزة أقصى الحروف مخرجا قال ولو قال بدأت بالعين لأنها أكثر في الكلام ، وأشد اختلافا بالحروف لكان أولى وقال ابن كيسان — سمعت من يذكر عن الخليل انه قال لم ابدأ بالهمزة لأنها يلحقها القص والتغيير والحذف ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، لأنها مهموسة خفية لأصوات لها فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أتصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في الألف (١) ،

ومخارج الحروف التي ذكرها الخليل تحتاج إلى تحليل فقد ناقش اللغويون المحققون هذه المسألة ويهتمون القدماء بأنهم لم يكونوا يفرقون بين دراسة فقه اللغة وعلم اللغة ويقسمون الأصوات الانسانية إلى نوعين

(١) المازهر في علوم اللغة : جلال الدين السيوطي تحقيق علي الهجواوي وآخرين

(١) علم الاصوات اللغوية Phonetics

وهي تبين طريقة نطق الاصوات ومخرجها من جهاز النطق الانساني دون التعميد بالذات .

(٢) علم وظائف الاصوات اللغوية Phonolgy

وتدرس فيه طريقة تأدية الاصوات لوظيفتها في اللغة : (١)

وسوف نوضح الامر تفصيلا ونحن نناقش كتاب جمهرة اللغة ، والاصوات كما يراها ابن دريد ويكفيها هنا رأى القدماء يتمثل فيما ذكره ابن جني في (سر الصناعة) عن مخرج الحروف فهو يقول عن مخرج الحروف : « وأعلم أن مخرج هذه الحروف ستة عشر ثلاثة منها في الحلق فأولها من أسنانه وأنصاء — مخرج الهمزة والالف والهاء هكذا يقول سيدييه — وزعم أبو الحسن أن ترتيبها — الهمزة وذهب إلى أن الهاء مع الالف لاقبائها ولا بعدها — والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيديويه أنك متى حركات الالف . اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسنن ، فقلبتهم همزة ولو كانت الهاء معها لقلبتهم هاء وهذا واضح غير خفي ومن وسط الحلق مخرج الدين والحاء ، وما فوق ذلك مع أول الفم ، مخرج الغين والحاء ، وما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف ويبين أسنن من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف (٢) ، وهكذا يستمر ابن جني في وصف مخرج الحروف حتى ينتهي إلى الخياشيم .

(١) المماجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : دكتور محمد أبو الفرج ص ٩٠ .

(٢) سر صناعة الأعراب لابن جني ص ٢٤ .

ثانيا : راعى الخليل عند ترتيبه تجريد الكلمات من الزوائد وأخضعها لأصل البناء فمثلا استغفر تحذف الهمزة والسين والتاء ويضع الكلمة في باب الغين .

ثالثا : استقصى الأبنية فيما بين الثنائى والخماسى فبدأ بالثنائى ثم الثلاثى فالرباعى فالخماسى يقول فى مقدمة الكتاب « قال النليث قال الخليل ان كلام العرب مبنى على أربعة أصناف ، على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى ، والثنائى على حرفين نحو قد ، لم ، هل ، لو ، بل ونحوه من الأدوات ، والثلاثى من الافعال نحو قراك ، ضرب ، خرج ، مبنى على ثلاثة أحرف ، ومن الاسماء نحو عمر ، جمل ، شجر ، مبنى على ثلاثة أحرف ، (١) .

وهكذا يستمر حتى الخماسى ، لقد رأى الخليل أن الكلام فى العربية مبنى على أربعة أصناف (الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى) أما الثنائى فهو الحروف والأدوات ولا يكون اسما ولا فعلا أما يد وفم فهى ثلاثة فى أصلها ويظهر ذلك فى ثنائيتها وجمعها وتصغيرها مثل فزان وأيد ، ويرى الخليل ان علامة سقرط الحرف الثالث فيها أنه ساكن .

وإذا كان الخليل يرى أن أقل الحروف التى يتألف منها الاسم والفعل ثلاثة وهو ما سار عليه النحويون بعده فإن الدكتور حسين نصار يذكر أن هذا رأى لقي هجوما عنيفا فى العصر الحديث ، فقد ظهر مذهب آخر يرى فى اللغة

(١) مقدمة كتاب الدين : مقال بقلم دكتور عبد الله درويش - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد التاسع ج ١ ص ١٥٢ مايو ١٩٦٣ .

كاننا حيا يولد طفلا ويشب صبيا ويمفع شابا ويمن شيخا وقد يموت إذا باغ
أرذل العمر ، ، فاللغة في هذا المذهب ظاهرة إجتماعية تطبق عليها القوانين التي
تسود المجتمعات (١) .

ونقد الخليل الصيغ الرباعية والخماسية وبين الاصيل فيها والدخيل في اللغة ،
وكان نقده قائما على الناحية الصوتية فيها وكأما اللغة تحولت عنده إلى أصوات
وأنغام فالمتناسق عنده عربي صحيح والماثل مولد دخيل ، فحروف الذلاقة
الستة وهي الراء ، اللام — النون ، الفاء ، الباء ، الميم ، لا تنحرف عن
واحد أو أكثر في الرباعي والخماسي الصحيح ، فإذا خلت منها كانت
محدثه مبتدعة ليست عربية ولو كانت على الاوزان العربية مثل الكشعشع
والكشعضع .

ونجمل القول في ترتيب الابدنية أنه بدأ بالشئى وذكر أنه يغاب في الادوات
ثم ذكر الثلاثي الصحيح مثل خرج وشرب ثم الثلاثي المعتل وهو ما فيه حرف
علة مثلا أو أجوف أو نافصا ثم اللينيف المفروق أو المقرون مثل وهى ،
وعى ، هوى ثم الرباعي مثل دحرج والخماسى مثل سهرجل ثم أنهى كل
بحث بالمعتل .

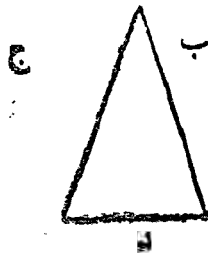
وقد رتب هذه الابدنية بنظام يسمى نظام التعليلات فقد رأى الخليل أن
حرف العين يمكن أن يغير صورته في الشئى مرتين وفي الثلاثى ثلاثا بأن يكون
أولا وثانيا وثالثا وفي الرباعي أربعا وفي الخماسى خمسا فإذا كانت العين في بناء
ثلاثى وكان معها حرفان — الباء والداال مثلا أمكن أن يأتي معها ٦ صور ، عبد ،

وبعد ، بدع ، عذب ، دعب ، دبغ وفي الرباعي (٢٤) صورة وفي الخماسي (١٢٠) صورة وقد شرح لنا ابن دريد في آخر الجهم - رة هذه الطريقة باستفاضة فقال :

وإذا أردت أن تؤلف بناء ثنائيا أو ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا ، فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ثم أدر دائرة فوق ثلاثة أحرف حوالها ثم فكها من عند كل حرف يمنة ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة فتخرج من الثلاثي ستة أبينية ثلاثية ، وتسعة أبينية ثنائية وهذه الصورة :



ويجعل السيوطي الرسم مثلثا :



(١) كتاب جهرة اللغة لابن دريد تحقيق السورى وكرنكو ج ٣ ص ٥١٣

(٢) المزهو للسيوطي ج ١ ص ٧٢

وإذا استخدمنا الشكل السابق (الدائرة أو المثلث) وأدرنا حروف مادة
ع ب د المكتوبة حوله أمكن التوصل إلى الوجوه الستة التي أشار إليها ابن
دريد وهي : ع د ب ، ع ب د ، د ع ب ، د ب ع ، ب ع د ،
ب د ع ، وليس من المحتم استخدام الوجوه الستة السابقة في معان وضعت لها
وانذلك أشار النحويون إلى المستعمل والمهمل وقد ذكر احمد أمين في « ضحى
الإسلام » هذا المنهج فقال « ثم رأى أن الكلمات الثنائية عقلا يمكن حصرها بأن
يفرض أن الحرف الأول مثلا (ا) فالحرف الثاني قد يكون باء أو تاء أو ثاء
... الخ فإذا ضربنا ١×٢٧ أمكن أن نحصر الكلمات الثنائية المبدؤه بالالف
ثم نأخذ الباء ونضربها في ٢٦ والياء ونضربها في ٢٥ وهكذا » ويذكر احمد أمين
انه بهذا ترك الكلمات المركبة من حرفين متماثلين مثل (ا) (ا) ،
ب ، ب ، (ا) .

وقد تتبع الخليل تقاليب كل بناء ووضعها في الحرف الأول مخرجا من
حروفها ليتيسر بذلك الحصر ولا يكرر شيئا منها ، وذكر أن كل مجموعة من
هذه التقاليب فصلا ، فالفصل في الثنائي يشتمل على مادتين وفي الثلاثي على
ستة ، وهكذا بعدد التقاليب ، وهو يشير إلى المستعمل والمهمل في الثنائي
والمهمل منها ، أما فيما عدا ذلك فاكفى بإيراد المستعمل ولم ينص على
المهمل لأنه شيء كثير ،

ولقد ظل المعجم مخطوطا — حتى قام بتحقيقه الدكتور عبد الله درويش
وطبع الجزء الاول والثاني في بغداد وقد بدأ الخليل الكتاب بحرف العين كما قدمنا

وافتحه الثنائي الصحيح أو المضاعف فهو يتناول عق و عك ويعالج دادة
 عق ومقلوبها مثل قع ، وينتقل إلى الثلاثي ويذكر الثلاثي مجردا ومزيدا ويدخل
 بعض الصيغ مثل دبدع في الثلاثي ثم ينتهي من الثلاثي ويخصص بابا يسميه
 اللثيف ويعتني في مرجعه باللفات أو المهجات العربية مثل عنعة تميم
 وكشكشة ربيعة لهجة طيء ، وقد اعتمد الخليل في كتابه على الشواهد ومنها
 الشعر وهو يكثر من الشعر أحيانا وقد يأتي بالبيتين أو الثلاث شاهدأعلى استعمال
 واحد وقد يأتي بالبيت من الشعر لتفسير المعنى دون أن يشرح معنى الشعر
 نفسه مثل قوله :

والاخضع والخضعا الراضيان بالذل قال العجاج :

وصرت عبدا للعرض أخضعا يمصني مص الصبي المرضعا

وقليلا ما يشرح البيت شرحا كاملا قال :

« القمعة حكاية صرت السلاح والترسة والحلى والجلود اليابسة والخطاف

والبكرة قال :

يسهد من نوم العشار سليمها الحلى النساء في يديه ققاع

القماع جمع قمعة وذلك أن المالدوغ يوضع في يديه شيء من الحلى
 حتى يحركه فيسلي عنه الهم ويقال يمنع النرم حتى لا يذب فيه السم فيقتله ، (١)

ولم يكن الخليل يذكر ظروف الحال التي قيل فيها الشاهد مثل قصة

(١) كتاب العين : الخليل بن أحمد تحقيق دكتور عبد الله درويش ص ٧٨

الخطيئة مع لزبرقان بن بدر وتدخل سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -
في الحكم بينها ولكن الخليل لا يذكرها عندما يستشهد بهجاء الخطيئة للزبرقان
ابن بدر .

ويستشهد الخليل بالطبقات التي يستشهد بشعرهم إجماعا وهي طبقة الجاهليين
وطبقة المسلمين ، ونلاحظ أنه يستشهد ببعض المولدين مثل حفص الأموي
وبشار بن برد وهو مالا يرضى عنه أكثر اللعويين .

ويستشهد الخليل بالحديث الشريف وقد ثارت ضجة حول شواهد الدين فقد
رماه أبو بكر الزبيدي بالاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين وأكثر من
الاستشهاد بالحديث الشريف ، وكان استشهاده بالحديث الشريف مشار نزاع
مارال حتى عصرنا الحاضر بين مؤيد ومنكر وسوف نفصل القول في ذلك
عند حديثنا عن شواهد الجهرة • وهو يستشهد بالقرآن الكريم والأمثال
والأقوال كثيرا وكان أميل إلى الاستشهاد بالقرآن والتعاليق على الشاهد
وشرحه .

هذا وسنفصل القول في الشواهد التي يعتمد عليها المعجم عند حديثنا عن
الجهرة . ونستطيع أن نشير هنا إلى أن كتاب العين قد اختلفت الآراء في نسبته إلى
الخليل وتتلخص هذه الآراء فيما يلي :

أولا : الخليل لم يؤلف كتابه العين ولا صلة له به ويعزى هذا الرأي إلى أبي علي
الغضالي واستأذه أبي حاتم • (١) واعتمد القائلون بهذا الرأي على

(١) المزهري في علوم اللغة للسيوطي ج ١ ص ٨٤ تحقيق البجاوي وآخرين ،
وقد ذكر روايات مختلفة تبين ذلك الرأي وروايات أخرى في تأليف العين .

أن الكتاب ليس له اسناد وأنه لم يكن معروفاً لتلاميذ الخليل
بعد موته .

ثانياً : الخليل لم يضع نفس كتاب العين ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه وأشهر
القائلين بهذا الرأي أبو منصور الأزهري صاحب الفهرست .

فقد ذكر الأزهري في مقدمة (التهذيب) بعد استعراضه للمكتب واللغويين
الذين اعتمد عليهم في كتابه وذكر الثقة وتحدث عن غير الثقة وكان منهم
الليث بن المظفر الذي نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينة فقه باسمه
ويرغبه فيه من حوله (١) .

ولكنه يناقض نفسه تارة أخرى في مقدمة التهذيب ويقرر أن الكتاب ليس
من صنع الليث ... (٢)

الرأي الثالث :

الخليل لم ينمرد بتأليف كتاب العين ولكن كان لغيره أيضاً عرب
في ذلك .

وقد قال أكثر القائلين بهذا الرأي إلى أن الليث هو الذي ساعد
الخليل في إتمام الكتاب وعم يتحدثون فيما بينهم في تفير اشتراك
الميث مع الخليل (٣) ، فابن المعتز يرى أن الليث إنما وضع الكتاب وذكر

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ص ١٤ تحقيق عبد السلام
هارون .

(٢) نفس المصدر (المقدمة) ص ٢٨ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٨ .

لنا رواية أشبهه بالخيال فقد ذكر قصة حب الخليل لجارية مما أغاظ زوجته فأحرق كتاب العين (١) ، وقد بالغت الرواية في إظهار أدلتها فذكرت أن زوجته أحضرت رماد الكتاب فلما رأى ذلك الليث استدرك النصف من حفظه وجمع النصف الباقي من علماء زمانه ويعتقد ابن المعتز أن الكتاب نصفان نصف متمم ونصف مقصر عن ذلك .

وطائفة ترى أن الخليل وضع كتاب التين ولكن الليث أكمله وينسب هذا الرأي إلى أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفى عام ٣٥١ هـ الذي يذكر روايته فيقول : « كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحاً وكان الخليل عمل من كتاب « العين » باب العين وحده فأحب الليث أن تنفق سوق الخليل فصنف باقي الكتاب وسمى نفسه الخليل » (٢) .

وطائفة ثالثة ترى أن الخليل رتب أصول الكتاب ثم وضع النص من بعده وينسب هذا الرأي إلى أبي بكر الزبيدي من المتقدمين وتبعه من المعاصرين يوسف محمد (٣) والمستشرق الألماني اهلوارات (٤) .

وقد بقي لنا الرأي الذي ينسب العين للخليل صراحة بالمعنى الكامل لكلمة

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٨ .

(٢) مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوي ص ٢١ ، تحقيق محمد أبو الفضل .

(٣) مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٩٤١ م مقال بقلم يوسف محمد .

(٤) كتالوج المخطوطات العربية في برلين ١٨٩٤ م ص ٢٢٧ .

مؤلف ، وقد اعتمد هذا الرأي على الرواية فقط فقد ذكر ابن النديم روايتين عن كتاب العين أحدهما عن ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ تفيد نسبة الكتاب إليه (١) .

وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أن ابن دريد كان من المتشككين في نسبة الكتاب للخليل ، ولكن ذلك لا صحة له فقد صرح ابن دريد بهذه النسبة إلى الخليل في مقدمة الجيزة فقال : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فأعجب من تصدى لغايته ، (٢) .

وكان من المؤيدين لنسبة الكتاب إلى الخليل ، ابن دريد وابن فارس صاحب المقاييس والجمع مل ومن المحدثين راوولتشن قال وقد أعجب بنظريات الخليل « إن نظام العين ليس غريبا أن يكون من عمل الخليل بل الغريب ألا يكون منسوباً إليه » (٣) .

وقد عاب اللغويون على كتاب العين عدة عيوب منها التصحيف وأخذ عليه أبو بكر الزبيدى في استدراكه وأحمد بن فارس أفراده بكثير من الألفاظ مثل قوله التامر عاء - اليوم التاسع من المحرم . وأخذ عليه أخطاها صرفية اشتقاقية وبعضهم يذكر أن الخطأ كان من الليث أو من الوراقين وأن اختلاف نسخ الكتاب واضطراب رواياته راجعوا

(١) الفهرست لابن النديم ص ٧٠ وقد ذكر روايات عن كتاب العين .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (المقدمة ص ٣) ج أول .

(٣) مجلة إسلاميات الألمانية مقال الأستاذ تلتشن SLAMICA

على حكايات من المتأخرين مثل كراع والزجاج واستشهاده بالمرذول من
أشعار المحدثين وإهماله أبذية مستعملة ولذا فقد كتبت كتب لتحليل نقصه
ومن ذلك :

١ - فائت العين للخليل ابن أحمد ، ذكره ابن النديم في الفهرست
ويشك بعض الباحثين في نسبته اليه .

٢ - الاستدراك على العين للسدوسي المتوفى عام ٢٠٢ هـ والجهضمي
المتوفى عام ١٨٧ هـ .

٣ - الجامع في اللغة للكرمانى .

٤ - فائت العين للمقرئى .

٥ - التكملة للخازرنجى .

وألفت كتب لنقد العين وإبراز نقصه منها :

(١) الرد على الخليل وإصلاح ما فات كتاب العين من الغلط والمحال

للمفضل بن سلة الكوفى المتوفى عام ٣٠٠ هـ .

(٢) استدراك الغلط الواقع فى العين لأبى بكر الزبيدى .

(٣) غلط العين للخطيب الاسكافى .

وقد دافع عن كتاب العين علماء منهم :

(١) ابن دريد المتوفى عام ٣٢١ هـ فى كتاب التوسط المفقود .

(٢) الرد على المفضل لفظويه المتوفى عام ٣٢٣ هـ .

(٣) الانتصار للخليل : للزبيدي .

هذا هو كتاب العين حازت أن أبين منهجه لنرى مدى تأثير ذلك المنهج في جمهرة اللغة والطريقة التي اتبعها ابن دريد لنرى هل كان كتاب الجمهرة شبيها به أم كان تكملة لقصصات في العين أم كان منهجا جديداً ابتدعه ابن دريد وسار عليه آخرون . وهذا ما نعرفه في حديثنا المقبل عن الجمهرة .

كتاب جمهرة اللغة

مقدمة : —

يعتبر كتاب جمهرة اللغة — أو جمهرة الكلام — أول معجم متكامل في اللغة العربية ، قد رتب على الطريقة الأبجدية لا على مخارج الحروف كما فعل الخليل بن أحمد في معجم العين ، . وقد ألف ابن دريد الكتاب لأبي العباس إسماعيل بن عبيد الله بن محمد بن ميكال وكان ابن دريد مؤدبه وقصد بهذا الكتاب أن يختار الشائع انقبول من كلام العرب وأن يترك الخوشى والنادر والمستعجن كما فعل الخليل في العين ، ورغم ما يراه ابن دريد في كتاب العين من صعوبة ومشقة فإنه يعترف بنصه ويعتمد عليه اعتماداً كبيراً ، ويعتمد أيضاً على بعض الرسائل الخفية المبكرة التي كانت تمهيداً لظهور فن المعجم العربية مثل كتب الأصمعي في الصفات وكتب أبي عبيدة وأبي زيد وغيرهم من العلماء الذين شاركوا في المرحلة الأولى لجمع اللغة .

ويعتبر الكتاب مصدراً أساسياً لكثير من المعاجم التي لحقت بابن دريد مثل البارع لأبي علي القالي والمختص لابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ ، وغير ذلك من المعاجم التي سبقتها فيها بعد ، ونال الكتاب منزلة عظيمة بين اللغويين بعد وفاة ابن دريد واعتمدت أكثر المصادر على أقراله في الجمهرة ، ورغم ذلك فقد هرجم المعجم — هاجمه أبو منصور الأزهري في التهذيب (١) ، وهاجمه أبو الفتح

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري تحقيق عبد السلام هارون .

المقدمة ص ٣١ ،

ابن جنى فى كتاب الخصائص (١) ولكن هجرته كان أخف فهو يعيب عليه
أخطاء صرفية كثيرة ورماء نطوبه بانتحال الجهره وسرقتها من العين فى الآيات
المشهورة التى ذكرناها قبل ، وبماجه بعض اللغويين (٢) المحدثين كما هاجموا كل
المعاجم العربية القديمة واتهموها بالقصور والوقوف عند زمن معين . ورغم
هجوم بعض اللغويين القدامى والمحدثين على جهرة ابن دريد فان الكتاب كان مصدراً
أساسياً لكثير من المعاجم التى أتت بعده وأصبح كلام ابن دريد مقدماً عند كثير
من اللغويين . يقول السيوطى فى كتاب المزهرة (٣) . إنه كان لابی على القالى نسخة
من الجهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى فاشتدت به
الحاجة فباعها بأربعين مثقالاً وكتب عليها هذه الآيات :

أنت بها عشرين عاماً وبعثها	وقد خال وجدى بها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها	ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولكن اعجز وافتقار وصية	صغار عليهم تستهل شئونى
فقات - ولم أملك سراق عبرى	مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات - يا أم مالك	كرائم من رب بهن ضنين

فأرسلها الذى اشتراها وأرسل معاً أربعين ديناراً أخرى - رحمهم الله .

(١) الخصائص لابن جنى ٣ ص ٤١ .

(٢) مقدمة المعجم الوسيط بقلم دكتور ابراهيم مدكور الجزء الأول وأيضاً
كتاب فقد اللغة دكتور عبد الواحد وافي وأيضاً دلالة الألفاظ دكتور ابراهيم
انيس ص ٥١ .

(٣) المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها : للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل
وأخريين ١ ص ٩٥ .

وقد اهتم المستشرقون بجمهرة اللغة إهتمامهم بمؤلفاته الأخرى التي كانت لم تر النور ، وحاول المستشرق فريتس كرنكو تصحيح الجمهرة وهي أصح طبعة لها من مجلس دائرة المعارف — حيدر آباد — الدكن عام ١٢٤٤ هـ .
وطبعت الجمهرة مرة أخرى في بغداد بالآلوفست .

أما مخطوطات الجمهرة (١) فهي عديدة منها نسخة في ليدن ونسخة أخرى في باريس ونسختان في دار الكتب السلطانية بالقاهرة ونسختان في جامع القرويين بمدينة فاس ونسخة في أيا صوفيا بتركيا وفي إستانبول ثمانى نسخ وفي بغداد في بعض المكتبات الخاصة نسختان وبعض هذه النسخ مكتوب من ألف عام وبعضها مكتوب منذ حوالى مائة وخمسين عاما ، وتختلف هذه النسخ المخطوطة في كثير من نصوصها ، وربما كان السبب الرئيسى لاختلاف نسخ الجمهرة أنه أملاها حفظاً عدة مرات ، وقد ذكر ذلك السيوطى في بغية الوعاة وفي المزهر قال في البغية (٢) « وقال غيره أُملى ابن دريد الجمهرة في فارس ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه فلذلك تختلف النسخ والنسخة المعول عليها هي الأخيرة ، وآخر ما صح نسخة عبيد الله بن أحمد فهي حجة لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه وقال في المزهر (٣) « وقال بعضهم أُملى ابن دريد الجمهرة في فارس ، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمة واللفيف » .

(١) مقدمة جمهرة اللغة : وصف كرنكو لمخطوطات الجمهرة وقد اطلعت على فهرس دار الكتب (المخطوطات) لرؤية هذه المخطوطة .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ص ٣١ .

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطى ج ١ ص ٩٦ .

وقال ابن النديم في الفهرست (١) : وله من الكتب كتاب الجهرة في علم اللغة مختلف النسخ كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه ببغداد من حفظه فلما اختلف الإملاء زاد ونقص .

وقد قام السيد محمد السورتى بمشاركة المستشرق كرنكو بجهد رائع في تصحيح الجهرة وجعله في أربعة أجزاء منها جزء للنهارس يفتح الباب أمام الباحث ويهد له الطريق . وقد ذكر كثير من الباحثين (٢) المحدثين معجم الجهرة على رأس مدرسة التقليبات الهجائية مثل كتاب المقاييس لابن فارس وكتاب المجمل لابن فارس أيضاً ووضع الدكتور حسن ظاظا (٣) كتاب الجهرة مع مدرسة المعاجم اللغوية الأبجدية أو المعاجم الغريب .

وبجمل القول فإن كتاب جهرة اللغة يعتبر فاتحه المعاجم العربية التي تسير على الطريقة الأبجدية وقد سبق بذلك غيره من اللغويين العرب .

سبب تأليف الكتاب واختصار عنوانه بالجهرة :

يذكر ابن دريد في مقدمة الكتاب سبب تأليفه — فقد وجد أهل عصره يزهرون في الأدب وإذا تملكوه فانهم مضيعوه ، فإذا كان عالماً قد أخذ حظاً من العلم ضيعه وإذا كان باحثاً مهتماً فإنه يشعل عن العلم بإيثار الشهوات وهو لذلك كان يروغ وروغان الثعلب بعلمه بين الجمال والعقلاء ، حتى تنامت به الحال إلى

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٨ المطبعة التجارية .

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره دكتور حسين نصر — ارج ١ ، وأيضاً المعاجم اللغوية دكتور إبراهيم فحما ص ٧٥ .

(٣) كلام العرب من قضايا اللغة العربية دكتور حسن ظاظا ص ١٢٨ ،

أبى العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال وشرع في مدح أبى العباس
فجعله حكيماً عالماً يحب العلم ولا يتخذ منه مظاهر الشباب والفتوة فأخرج ما في جعبته
من العلم أمام ابن ميكال بكتاب سماه جمهرة اللغة .

ونلاحظ هنا ان ابن دريد يهاجم رجال عصره ويصف بعضهم بالجهل تارة
وأخرى بالنسيان ولعل هذا سببه أن ابن دريد لم يلق من المكانة في البصرة
مالقيها في فارس عند أبى ميكال وأصابته حالة نفسية نلاحظها في مقصودته وفي
كثير من شعره وخاصة وقد هاجمه كثيرون في عصره وبعد مماته . ثم هو وفي
يحب الوفاء فيذكر أنه لا يطعن في السف ولا يزرى بالعلماء ويخص بالذكر منهم
الخليل بن أحمد ، فهو يتأسى بهم ويقتدى بقول ، فأعجب من تصدى لغايته وعن
من سما إلى نهاية ، فالمنصف له بالقلب معترف والمعاند متكلف وكل من بعده له
تبع أقر بذلك أم جحد ولكنه رحمه الله ألف كتاباً مشكلاً لثقوب فهمه وذكاه
فطنته وحده أذهان أهل دهره ، (١) .

وبتحليل رأيه في الخليل نراه يعترف بنسبة الكتاب إلى الخليل وقد مر بما
أن كثيراً من اللغويين أنكر نسبة الكتاب إليه ، ولكنه يرى في كتاب العين صعوبة
وإشكالا ولذلك فهو يضع في كتاب الجهرة تيسيراً للباحثين فهو يؤلفه على
الترتيب الأبجدي لا على الترتيب الزمني الذي صار عليه الخليل ، ولكن تصنيف
الأبذية هو تصنيف الخليل وقد يزيد قليلاً ،

ومنهجه في الكتاب يشابه منهج الخليل وإن كان يخالفه في أشياء سنوردها

(١) جمهرة اللغة : لأبن دريد بتحقيق محمد نجيب السورثي - خيبر أباد

١٣٥١ هـ الجزء الاول - المقدمة ص ٢ .

عند حديثنا عن منهجه ، وتحليل المواد ويذكر أنه ألف كتابه والمقص في الناس
 فاش ويذكر أيضاً سبب تسميته بالجمهرة فقال « وإنما أعرأه هذا الاسم لأننا
 اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشى المستنكر ، (١) . فهو يعنى
 أنه اختار له اسم الجمهرة لأنه ذكر فى كتابه الشائع فى الاستعمال أما الغريب فلم
 يذكره جملة وفصله عن الكتاب وجعله فى آخر ما كتبه ، وقد حذف جملة منه
 حين قال فى المقدمة عن النوادر « وما أشبه ذلك على أنا الغينا المستنكر واستعنا
 المعروف ، (٢) ، أما كلمة « جمهور » فقد ذكرها فى الجمهرة قال « وجمهور الشيء
 معظمه جمهور الشيء إذا أخذ جمهوره وهو معظمه ، (٣) ، وذكرت المعاجم أن
 الجمهور « هو الرملة المثرقة على ما حولها سميت بذلك لكثرتها وعلوها ، وفى
 حديث (جمهوروا قبره) أى جمعوا له التراب ومن ذلك قيل للخلق العظيم
 جمهور لكثرتهم والجمع جماهير ، (٤) .

ونفهم من كلامه أنه اختار الشائع من كلام العرب وأهمل الغريب وقد
 سمح لنفسه أن يكون قاضيا فى مواد اللغة يقضى فى بعضها بأنه جوشى مستنكر
 فيصرفه عن كتابه ، وأخر شائع فيئبته فى كتابه . وقد حدا ذلك إلى أن كثيرا
 من اللغريين أنكروا عليه مخالفته لما ذكر فقد اضطر إلى ذكر كثير من الغريب
 والنوادر بين ثنايا الكتاب ، ونحن مع هؤلاء الذين أنكروا عليه ذلك فلقد كان
 ابن دريد أكثر علماء اللغة فى عصره يهتم بالغريب ورأيناه فى كثير من

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد — الجزء الأول — المقدمة ص ٢ .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد الجزء الأول المقدمة ص ٢ .

(٣) الجمهرة الجزء الثالث ص ٢٢٤ .

(٤) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ج ١ ص ١٤٧ .

من شعره يذكر غريب اللثة وفي أحاديثه المتناثرة في كتاب الامام لابي علي القالي
كثير من الغريب والمستنكر .

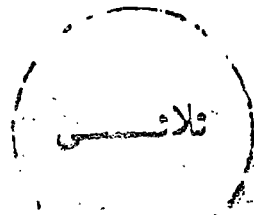
منهج ابن دريد في الجمهرة :

مهد الخليل ابن أحمد الطريق لكل من أتوا بعده بعد ان رسم على أسس علمية
دقيقة أول نهج لمعجم عربي وقد ترك الخليل هذا المنهج الغوين فمنهم من
اتبعه ومنهم من حاد عنه ومنهم من اتبعه ولكنه حاول أن يغير أو ييسر
للباحثين فأضاف جديداً ، وكان من هؤلاء محمد ابن دريد ، وقد رأيناه في مقدمة
الجمهرة يعترف بنضل من سبقوه من العلماء الذين مهدوا له الطريق ولا يطعن على
أحد منهم ويخمس بالذكر الخليل بن أحمد الذي سلك طريقاً صعباً ولكنه مقرر
بالتجربة له بفضل السبق عليه . ولم أجد في إنشاء هذا الكتاب إلى الاضرار بعلمائنا
ولا الظن في أسلافنا وأن يكون ذلك وإنما على مثالهم نحتذي وبسبيلهم نقتدي
وعلى ما أسلفوا نبتن وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي رضوان
الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدي لغايته وعنى من سما إلى نهايته فالمنصف
له بالقلب . معترف والمعايد متكلف وكل من بعده تبع أقر بذلك أم جحد ولكنه
رحمه الله ألف كتاباً مشكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل
دوره (١) . وكان رأى ابن دريد ان صعوبة (العين) كانت في سيرة على الطريقة
الهجائية الصوتية التي استنبطها الخليل بحسه الموسيقي المرفهف ، وهذه الطريقة
تفوز الباحث أن يتعلم أولاً مخارج الحروف ومدارجها ، فاختر ابن دريد
ترتيب كتابه على الطريقة الابداعية العادية وبذلك كان ابن دريد أول من صار على
الطريقة الابداعية العادية التي انتشرت بعد ذلك وما زالت إلى الآن ، وقد ذكر

ابن دزيد سبب اختياره للابجدية العادية فقال « وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة إذا كانت بالقلوب وفي الأسماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة وطالبها من هذه الجهة بعيداً عن الحيرة مشفقاً على المراد ، (١) .

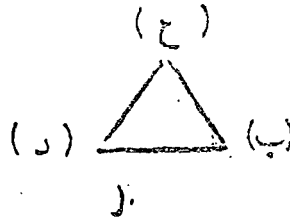
أما الأساس الثاني الذي سار عليه ابن دزيد وهو اتباعه نظام التعليلات الابجدية وهو لمجمع الكلمات المكورة من حروف واحدة . مهما اختلف ترتيبها في موضوع واحد . وهو يسير فيه على نظام الخليل بن أحمد ويخالفه في إتباعه الترتيب الهجائي ، وقد شرح ابن دزيد طريقة التعليلات وبناء الابنية في ختام كتاب الجمهرة فقال : « قال أبو بكر إذا اردت أن تولف بناء ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ثم أدر دائرة فوق ثلاثة أخرى حوالها ثم فكها عند كل حرف يمنة ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة فتخرج من الثلاثي ستة أبنية ثلاثية وتسعة أبنية ثنائية وهذه الصورة :

(١)



فإذا نقلت ذلك اسمك سميت من كلام العرب ما تكلموا به وما رغبوا

عنه (١). وإذا استخدمنا الشكل السابق شكل الدائرة أو المثلث :



وأدرنا حروف مادة ع ب د المكتوبة حوله أمكن التوصل إلى الوجوه الستة التي أشار إليها ابن دريد وهي « ع ب د ، ع ب د ، د ع ب ، د ب ع ، ب ع د ، ب د ع ».

والأساس الثالث في ترتيبه المعجم حسب الأبذية وهو يسير فيه على طريقة الخليل أيضاً مع بعض زيادات .

والأبذية عند ابن دريد ثلاثية ورباعية وخماسية كالخليل وملحقات كل صنف منها والثلاثي عنده هو الثنائي المضعف والثلاثي معاً .

والكتاب ينقسم بذلك إلى الثنائي المضعف وما يلحق به فالثلاثي وما يلحق به ، فالرباعي وما يلحق به ، فالخماسي وما يلحق به ، فإذا وجد الباحث مشقة في الأبذية السابقة فليُنظر في باب عقده ابن دريد وسماء اللقيف وهو يخالف الصرفيين في تسمية اللقيف فهو عند الصرفيين ما اجتمع فيه حرفا عله ، ويسمى مفروقاً إذ كان واوى العين يائي اللام نحر طوى ، ولكن تعريف ابن دريد للقيف يقول « وهو ما التقى بعضه على بعض » (٢) .

(١) جوهرة اللغة لابن دريد — الجزء الثالث ص ٥١٣ .

(٢) الجوهرة لابن دريد ص ٣٠٦ .

وقد عاب كثير من الباحثين اللغويين (١) المحمدين على ابن دريد هذا الاصطلاح واعتبروه غامضا غير واضح ، وذكروا أن مواد هذا الباب يمكن ادراجه في الأبواب الأساسية فمواد اللفيف فقيرة لا تبرر إضافة هذا الباب ليزيد إرتباك القارئ ، ويذكر ابن دريد منهجه هذا في مقدمة الكتاب فيقول :

« فن نظر في كتابنا فآثر التماس حرف ثنائي فليبدأ بالهمزة والباء ان كان الثنائي باء ثقيلة أو الهمزة والتاء وكذلك إلى آخر الحروف ، وأما الثلاثي فبدأنا بالـالم منه فن أحب أن يعرف حرفا من أبينته مما جاء على فعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل وفعل فليتبع ذلك ن جهور أبواب الثلاثي السالم ومن أراد بناء يلحق بالثلاثي بحرف من حروف الزوائد فنانا قد أفردنا له بابا في آخر الثلاثي تقف عليه مع المغفل ان شاء الله تعالى » (٢) ، ويستمر في ذكر منهجه في الرباعي والخماسي ثم يقول : « فان عسر مطاب حرف من هذا فليطأ به في اللفيف فإنه يوجد إن شاء الله تعالى وجمعنا النواذر في باب فسميناه (النواذر) لقلة ما جاء على وزن النماظ (نحو) (قهـ باه) و (طو باله) و (قرع بلانة) . أما باب النواذر الذي ذكره ابن دريد وجعله في آخر الكتاب وهو يهبوها في أبواب فرعية تدور كل منها حول موضوع خاص وهي تشبه ما جمعه أبو حاتم السجستاني والاصمعي وأبو زيد في نواذرهم ورسائلهم وكانت هذه الرسائل مقدمة لظهور فن المجامع فهو يذكر ما جاء من النواذر في القوس وصفاتها عند أبي عبيدة وصفات القسي وباب في صفة النحل وغير ذلك ويذكر في باب ما تكلمت

(١) المعاجم العربية : دراسة تحليلية : دكتور عبد السميع محمد ص ١٩ .

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ص ٢٠٥ .

به العرب من كلام المعجم (١) فينقل بعضها بما أخذ من العربية مثل الديابوز والنصافض ، من الرومية قومن والسنجل ومن النبطية المرعى ومن السريانية التلود وشرحجيل إلى غير ذلك . وهو يفيد الباحثين كثيراً بما ذكره في باب النوادر ، غير أن كثيراً من الباحثين المحدثين (٢) يعتبرون هذا الباب خارجاً عن نظام المعجم ولا يطلق عليه صفة المعجم فيسود هذا الباب الاضطراب ويذكر بعضهم (٣) أنه كان ينبغي على ابن دريد أن يضمه في كتاب مستقل ولكنهم يعتبرون ما ذكره في النوادر مرجعاً لما يفاد منه حين وضع المعجم الماريني .

ونستطيع أن نجمل أبواب الجهرة في ست عشر باباً هي :

(١) الثنائي الصحيح : ويذكر أن الثنائي الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثاني ثقل حتى يصير ثلاثة أحرف الانظر ثنائي والمعنى ثلاثي - مثل : أبب ، أت - ت ، أث - ث ، أج - ج .

(٢) أبواب الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر وهو ماضعف فيه الحرفان مثل : ب - ت - ب - ت ، ب - خ - ب - خ :

(٣) باب الثنائي المعتل وما تشعب منه وذلك ببناء الحرف الصحيح على أحد حروف العلة مثل ب أوي وت أوي ، ث أوي ، ج أوي :

(١) جهرة اللغة لابن دريد الجزء الثالث ص ٤٩٩ .

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ٢٨ ص ٤٠٥ وأيضاً المعاجم العربية للدكتور عبد السميع محمد ص ٢٠ .

(٣) المعاجم العربية دكتور عبد السميع محمد ص ٢١ .

(٤) الثلاثي الصحيح وما تشعب منه مثل : ب - ت - ث ، ب ت ج ، ب ت ح .

(٥) الثلاثي يجمع فيه حرفان مثلاً وأي موضع من الأسماء والمصادر وما تشعب منه وهو ملحق بما مضى من الثلاثي الصحيح مثل . ب ت ت - ب ت ث - ب ج ج ، ب ح ح - ب خ خ ، ب د د ، ب ذ ذ .

(٦) باب ما لحق بالثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين مثل : (بت - و اى) ، ب ث . و - اى .

(٧) الثلاثي المعتل

(٨) باب النوادر في الهمز وهو ما لحق بأبواب الثلاثي مثل أنت و رزا - .

(٩) باب اللفيف في الهمز مثل وزأ وبأ بأ والشناً .

(١٠) أبواب الرباعي الصحيح مثل جمعيب وجرب .

(١١) الرباعي وفيه حرفان مثلاً .

(١٢) الرباعي ما جاء على فعل وفعل وفعل ومنه علب ، خرب .

(١٣) باب ما يالحق بالرباعي مثل سطر - وضبطر ومنجل .

(١٤) الخماسي ولم يصرح ابن دريد بهذه التسمية إلا في آخر الباب إذ قال « هذا آخر ابنية الخماسي » (١) .

(١٥) السداسي ولم يذكر ابن دريد هذه التسمية وإنما ذكرها بقوله « هذه أبواب ألحقت بالخماسي » .

(١٦) اللغيف ويسميه لغيفاً لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض (١) .

مقدمة الجوهرة :

يبدأ ابن دريد كتابه بمقدمة تأثر فيها بالخليل تأثراً كبيراً وخاصة في المسائل الصورية ، ولقد حفظ في هذه المقدمة آراء ما عداها لها أهميتها في الدراسات الحديثة وذكر ابن دريد في المقدمة أنه لابد للباحث قبل أن ينظر في كتابه أن يعرف الحروف المعجمية وذكر أن الحروف تسعة وعشرون حرفاً مرجعاً إلى ثمانية وعشرين حرفاً - وهو يميز بذلك على طريقة اللغويين الذين رأوا أن أصول حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً .

إلا أن أبا العباس (المبرد) فإنه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفاً ويجعل أولها الباء ويدع الآلاف من أولها (٢) .

ويبين ابن دريد اختصاص العربية بحروف من هذه الحروف الثلاثة والعشرين فذكر أن العرب يختصون بالحاء والطاء .

قال ابن جنى في سر صناعة الاعراب : اعلم إن الطاء لا توجد في كلام النبط وإذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا البرطة ، وإنما هو ابن الظل ، (٣) ، ويشترك العرب مع العجم في قليل من الحروف ويذكر : أن هناك حروفاً تزيد على هذا العدد وقد اسمعنا العرب ضرورة فإذا اضطرروا إليها حولوها عند التكلم

(١) جوهرة اللغة لابن دريد - ٣ ص ٤٠٦ .

(٢) سر صناعة الاعراب لابن جنى تحقيق مصطفى السقا وآخرين - ١

ص ٤٦ .

(٣) نفس المصدر السابق - ١ ص ٢٣٢ .

بها إلى أقرب الحروف من مخارجها لها الحرف بين (الباء الفاء) مثل بور ويدخل مباشرة في لهجات العرب استعمالوها مثل الحرف بين القاف والكاف والجيم والكاف وقال « وهي لغة سائرة في اليمن مثل جبل يقال اذا اضطروا إليه قالوا كل ، (١) » .

ومثل الحرف الذي بين الباء والجيم وذكر البيت المشهور الراجز
وخالي عريف وأبو علج المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة فلن البرمج

وتسمى هذه الهمزة العجعة القضاية وذكر هذا البيت كثيراً في المصادر ويذكر أيضاً بانه النسبة يحملونها جميعاً فيقولون غلامج فاذا اضطروا قالوا غلامش . وتسمى هذه الهمزة الكشكشة وهي لبنى سمعد أو في ربيعة ، ثم ينتقل ابن دريد إلى ذكر صفة الحروف وأجناسها . ويذكر أن الحروف سبعة أجناس ينقسمان إلى قسمين .

المصمتة والمزلة ، والمزلة ستة أحرف والمصمتة اثنان وعشرون حرفاً ، منها ثلاثة حروف معتلة وتسمة عشر صحيحة ، ثم يذكر المصمتة حروف الخاق وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والحاء والظن ، ثم يذكر مخارج الهمزة والعين والحاء ويستشهد ببعض الشعر .

وينتقل إلى ذكر حروف أقصى الفم من أسنن اللسان وهي من المصمتة أيضاً فذكر القاف والكاف ثم الجيم ثم الشين ثم حروف وسط المسان عما هو منخفض وهي السين والزاي والصاد وذكر حروف أدنى الفم وهي عنده التاء والطاء والذال

وأدنى منها أيضا (الظاء والتاء والذال والغداد) . ثم ينتقل إلى ذكر الحروف المؤلفة وهي ستة ويقسمها إلى جنسين (جنس الشفة — وهي الفاء والميم والباء والجنس الثاني وهو بين اسمته اللسان إلى مقدمة الفك الأعلى (الراء والنون واللام) . وبعد أن يقدم طرفا من صفة الحروف وأجناسها انتقل إلى ذكر مخارج الحروف وأجناسها .

ويبدأ حديثه بذكر أفعال النحويين في مخارج الحروف وأجناسها فذكر أن الحروف لها ستة عشر مجرى للحلق ثلاثة : فأقصاء الهاء وأختها الهمزة والألف ثم العين والحاء ، والثالث الغين والحاء ، وينتقل إلى النعم فيذكر أدناه إلى الحلق القاف ثم الكاف ثم الجيم والثين من الهاء ثم الباء من وسط اللسان ثم السين والصاد والزاي ثم النون تحت حلقة اللسان واللام قريبة من ذلك والراء ادخل بطرف (التاء والعد والطاء) من طرف اللسان وأصول النايها ثم الفاء — من باطن الشفة — السفلى وأطراف النايها العليا ثم (الواو والباء والميم) من بين الشفتين ثم (النون الخفيفة) وهي من الخياشيم ثم (الظاء والذال والتاء) بطرف اللسان وأطراف اللسان ثم (الضاد) من وسط اللسان .

ثم يذكر صفات هذه الحروف وهي الهمس والجر والشدة والرخاوة والمد واللين والاطباق .

فالحروف المهموسة — الهاء والحاء والباء والسين والشين والكاف والصاد والتاء والفاء — ويذكر سبب تسميتها بالهموسة فيقول : « فانما سميت مهموسة لأنه انسع لها الخرج فخرجت كأنها متفشية » (١) .

ثم يذكر الحروف البهيمة فالرخوة ويذكر أنها سميت بمجهرية لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتا أما الرخوة فسميت رخوة لأنها تسترخى في الجارى أما حروف اللين فهي (الواو والياء والالف) .

والحروف المطبقة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والحروف الشديدة الطاء والسين والجيم .

وباستعراض ما ذكره ابن دريد زاه يقحمنا في وضع دام هو علم الأصوات الفوقية فقد درس العرب علم الأصوات اللغوية وبنوه على دراسة القراءات القرآنية ويذكر الدكتور عبده الراجحي أن دليل ذلك « ما نجده من عمل أبي الأسود الدؤلى في ضبط القرآن بالنقط من خلال ملاحظة حركة الشفتين » (١) ، وكان الخليل بن أحمد أول من صنف الأصوات بحسب موضع النطق أو حسب الاحياء والخارج . ثم واصل سيبويه طريق الدراسة الصوتية فقدم دراسة للأصوات أكثر دقة ، ويعتبر الدكتور عبده الراجحي (٢) أن دراسة الخليل وسيبويه دراسة علمية واقعية يظهر فيها المنهج العلمى الصحيح . ويرى الدكتور محمود السمران أن « التصنيف المنسوب إلى الخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم به تصنيف سيبويه لأصوات العربية حسب المخارج ولم يقتصر سيبويه على هذا بل صنف الأصوات على أسس أخرى » (٣) .

أما ابن دريد في وصفه للحروف وأجناسها فهو مقلد لنظام الخليل وتلميذه

(١ و ٢) فقه اللغة في الكتب العربية : دكتور عبده الراجحي ص ١٣٠ .

(٣) علم اللغة — مقدمة للقرائى العربى : دكتور محمد السمران

سيبويه وإن كان يتميز بتعريفات مثل : المهموس وهو ما اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية (١) .

ثم نرى عملاً رائعاً عند ابن جني في كتابه سر صناعة الاعراب فهو يدرس الأصوات على أساس أنها علم فقال عنه « علم الأصوات والحروف » ونرى عند ابن جني تفصيلات جميلة فقد فرق بين الصوت والحرف (٢) وذكر أيضاً تفصيلات دقيقة لأسماء الحروف وأجناسها ومخارجها وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبعة .

وإذا حللنا ما قاله ابن دريد عن الأصوات — واردنا أن نقارن بين ما قاله وآراء المحدثين في هذا الشأن — فأننا نجد تقارباً في بعض الآراء ، واختلافاً وتوسعاً في بعضها الآخر فإن دريد عقد للأصوات عنده بعنواين « الأول باب صفة الحروف وأجناسها ، وقد ذكر أن الحروف سبعة أجناس يجمعهم « المصمتة والمزلة » فلزلة ستة أحرف والمصمتة اثنا عشر وعشرون حرفاً ثلاثة منها معتلة واثنتان عشر حرفاً صحاح (٣) ، والمصمتة الصحاح حروف الحلق (الهمزة والهاء والحاء والعين والباء والغين) ونجد هنا يبين مخارج هذه الحروف رغم أنه عقد باباً آخر في مخارج الحروف وأجناسها . فالعين والحاء والغين مأخوذ من أفمى الحلق إلى أدناه والهمزة من مخرج أفمى الأصوات

(١) الجوهرة لابن دريد — المقدمة ص ٢ .

(٢) سر صناعة الاعراب لابن جني تحقيق مصطفى السقا وآخرين

(٣) جوهرة اللغة لابن دريد ص ١٠٩ .

والهاء تنبها وهي من موضع النفس والهاء أرفع منها ، ويذكر جنس حروف
أفمى الفم أسفل اللسان وهي عنده القاف والكاف ثم الجيم ثم السين ، وجنس
حروف وسط اللسان مما هو منخفض (السين والزاى والصاد) ، وجنس
حروف أدنى الفم التاء والطاء والذال ، وأدنى منها (١) أيضاً مما هو شاخص
إلى الخارج الأعلى (الظاء والتاء والذال والضاد) ثم يعنون عنوانا للحروف
المؤلفة وهي ستة عنده لها جنسان جنس الشفة ، الفاء والميم والباء ، والجنس
الإناني من المؤلفة بين أسلة اللسان إلى مقدمة الخار الأعلى وهي الراء
والنون والسلام .

أما باب مخارج الحروف وأجناسها ، فيذكر ابن دريد رأيا ليس له وإنما
يقول : ذكر قوم من النحويين إن هذه التسعة والعشرين حرفا لها ستة عشر
مجرى للحن منها ثلاثة لحروف (٢) الهاء والعين والحاء والغين والخاء ويذكر
مجرى النون أدناه إلى الخلق القاف ثم الكاف أسفل منها فليلا ثم الجيم والسين من
الهماء والباء من وسط اللسان ثم السين والصاد والزاى تحت اللسان الأيمن ثم
النون تحت حافة اللسان من الشق الأيمن واللام قريبة من ذلك والراء أدخل
بطرف ، ثم التاء والذال والطاء من طرف اللسان وأصول الثنايا . ،
ويذكر أن هذه الحروف يجمعها الهمس والجهر والشدة والرخاوة والمدة واللين
والإطباق ويسمى المهمومة لأنه اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متنفسية
والجهرية لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع له صوته والرخوة صميت

(١) من المصدر السابق > ١ ص ٧ .

(٢) الجهرة لابن دريد > ١ المقدمة ص ٨ .

رخرة لأنها تسترخى فى المجارى ، أما حروف المد واللين وهى الواو والباء والألف واما سميت لينه — لأن الصوت يمتد فيها فيقع عليها الترنم فى القرانى وغير ذلك .

والحرف المطبقة (الصاد والضاد والطاء والظاء) لأنها إذا لفظت بها اطبقت عليها حتى تمتع النفس ان يجرى منها (١) .

وكل الذى قدمه لنا ابن دريد حسب موضع النطق أو حسب الاحياز والمخارج يشبه ما قدمه لنا الخليل بن احمد وهو ما يسمى بالاصوات الصامتة Consonants والحركات (الاصوات الصامتة) Vowels .

والاصوات عند المحدثين تنقسم إلى قسمين :

١ — علم الاصوات اللغوية : Phonetics

وتبين فيه عادة طريقة نطق الاصوات ومخارجها من جهاز النطق الانسانى دون التقيد بلغة الذات .

٢ — علم وظائف الاصوات اللغوية Phonology

وتدرس فيه طريقة تأدية الاصوات لوظيفتها فى اللغة (٢) .

ويفرق الباحثون المحدثون بين المصطلحين الاوثنين Phonetics Phonology فيقول د. أبر كروبيج : إن دراسة الصوت اللغوى من جميع نواحيه

(١) الجمهرة لابن دريد ج ١ المقدمة ص ٩ ،

(٢) المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث دكتور محمد

أبر الفرج ص ٦٠ .

والتحركات الحسية التي تنتج الصوت هي مجال الصوتيات (Phonitica) (١) .

ونرى ج . فندريس يرى أن علم الصوتيات يجب أن يشتمل على ثلاثة أجزاء الجزء الخاص بإنتاج الصوت والجزء الخاص بانتقاله والجزء الخاص باستقباله (٢) .

ويجمل القول في هذه التفرقة ما ذكره دكتور كمال بشر في تعليقه على كتاب الدكتور السمران (علم اللغة) فيما يخص علم الأصوات فقد رأينا الدكتور السمران يذكر الأصوات شاملا لعلمى Phonology , phonatics فيذكر أن هذا الاتجاه نحو عدم التفريق بين هذين الفرعين هو ما سارت عليه المدرسة الانجليزية وهو ما يعارض إتجاهها أو إتجاهين آخرين مشهورين الاتجاه الأول : مرتبط كل الارتباط بفكرة الثنائية في الكلام الانساني ، بفكرة تقسيمه إلى مسامره اللغة Longe وإلى مسامره الكلام الفعلي Parole ، والرأى عند أصحاب هذا الاتجاه هو أن « الفوناتيک » Phonatics وظيفة دراسة اصوات

(١) Studies in Phonitics, Linguistics, ABercroube, p. 16

وقد فرق دكتور ابراهيم أنيس بين المصطلحين في كتابه الاصوات اللغوية وذكر أنطران مايبه في كتابه علم اللسان اننا اما أن ندرس النطق الصوتي بصرف النظر عن المعنى الذي يحمله الحديث فتكون دراستنا متعلقة بعلم الأصوات Phonolgy واما أن ندرس النطق كوظيفة للمعنى المعبر وعندها ندخل في باب النحو أو المعاجم (علم اللسان الطران مايبه ملحق بكتاب النظم المنهجي عند العرب للدكتور محمد المنصور)

(٢) اللغة ج . فندريس ترجمة الدواخلى والنصاص ص ٢٣

الكلام أى دراسته الاصوات الفعلية الحقيقية أما الفونولوجيا فتتناول أصوات اللغة أى الوحدات الصوتية للغة مخزونة فى ذهن الجماعة المعينة .

أما الاتجاه الثانى فينظر إلى الفوناتييك كما لو كان شيئاً لا يندرج تحت علم اللغة أو بحسب ما يفهم من كلامهم ليس فرعاً من علوم اللغة إنما هو علم له استقلال بنوع ما ولكن الدراسات اللغوية فى حاجة إليه حاجتها إلى بعض العلوم الأخرى (١) .

أما الأوصاف التى ذكرها بن دريد عن الجهر والهمس والمسد واللين والإطباق وقد ذكره المحدثون متقارباً مع القدماء ولكنهم اختلفوا فى تعاريف منها فالجمهور « وهر الصوت الذى تصحب نطقهذبذبة فى الأوتار الصوتية والمهموس وهو ما لا تصحب نطقه هذه الذبذبة ، والجهر والهمس ناحيتان تختلف فىهما الاصوات وتتقابل حتى لو اتحدت مخارجها (٢) .

وإذا كان الباحثون المحدثون يقسمون الاصوات فى اللغة إلى قسمين السوامت أو السواكن Consonants و"حركات أو المصوتات Vowels

(١) علم اللغة العام دكتور كمال بشر تقسم الثانى « الاصوات » ص ١١٠ دار المعارف — مصر ١٩٧٠ م .

(٢) علم اللغة : مقدمة للقارئ العربى دكتور محمود السمران ص ١٤٦ وقد فصل الدكتور السمران القول فى الاصوات اللغوية فذكر أعضاء اللسان وصنف الاصوات السوامت إلى انجارية وانجارية احتكاكية وشامه ومنحرفة وكررة واحتكاكية ومنهارة غير احتكاكية وأشياء صوامت (ص ١٦٥) وغلب فيه ذلك ، فحين يربك تفصيلاً لا فائدة منه .

وهي الالف والراو والياء والفتحة والضمة والكسرة والباقي صوامت . فانا نستطيع أن نميز رأى الباحثين فهم يتسمون هذه الاصوات إلى عدة اعتبارات .

(١) مخرج الصوت وهو المكان الذى يتقارب أو يلتقى فيه دارفان ، أعضاء النطق فلهذا نكث ثلاثة أقسام ، ويقسمون الصوامت حسب طريقة خروج الهواء إل الاقسام الآتية :

- | | |
|------------------------|------------------------------|
| أ — الانفجارية | ب — الانفجارية الاحتكاكية |
| ج — الغناء | د — المنحرفة |
| هـ — المكررة | و — المستلبة |
| ز — الاحتكاكية | ح — المتباددة غير الاحتكاكية |
| ط — أشباه الصوائت (١). | |

(٢) اهتزاز الاوتار الصوتية عند النطق

وقد ذكر المحذثون أصغر وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معانى الكلمات وسموها (فونيم) Phoneme كما تناولوا فى دراستهم للصوتيات النبر (Stress) والتشغيم Intonation .

هذا ما قاله المحذثون وهو يتقارب كثيراً فيما قاله ابن دريد وإن كانوا يختلفون معه فى التفاصيل وهو وغيره من علماء اللغة الاول فتحوا

(١) علم اللغة : مقدمة للمارى العربى : دكتور محمود السعوان

الطريق المحدثين للدرس والبحث ومعنا شاهد من المحدثين يعترف بعظمتهم
 هو الدكتور كمال بشر حيث علق على وصف ابن جني للمخارج فقال « وما
 يؤكد براعتهم ونبوغهم في هذا العلم أنهم قد توصلوا إلى ما توصلوا إليه من
 نتائج مذهشة دون الاستعانة بأية أجهزة أو آلات تعينهم على البحث والدراسة
 كما نفعل نحن اليوم (١) .

(١) علم اللغة العام القسم الثاني : الاصوات — دكتور كمال بشر دار
 المعارف ١٩٧٠ ص ١٠٩ و ١٢٠ .

مناقشة منهج ابن دريد في كتابه جهرة اللغة

بعد أن ذكر ابن دريد صفات الحروف ومخارجها في المقدمة ذكر لنا طرفاً عن الحروف الزائدة وباب الأمثلة وهي الأوزان الصرفية ابتداءً بذكر الثنائي الصحيح وقد ذكر « أن الثنائي الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثاني ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف ، اللفظ الثنائي والمعنى ثلاثي ، (١) »

ونستطيع أن ندرك أنه يتحدث عن الثلاثي المضعف ولكن ابن دريد لا يسير على الطريق الذي رسمه فقد كان عليه أن يذكر الثنائي وتقاليله مثل ب ت ت ، لكنه يقحم سائر المشتقات مما انبثق من اجتماع الحرفين وقد تعقب الدكتور عبد السميع محمد في كتابه « المعاجم العربية » حشو ابن دريد في الثنائي فذكر إنه قال « في مادة د ع ع ، ما سار عليه في بناء الثنائي ومقلوبها « د ع د » ، ولكنه شرح في تفصيل ما الحق بالرباعي من هذه المادة نفسها د ع د ع ، بتكرار حرفيه جميعاً ، وذكر نفس المادة في الملحق بالرباعي بنفس الألفاظ السابقة » (٢) .

وقد تعقبت ما ذكره الدكتور عبد السميع فرأيت أن ابن دريد قد ذكر المادة في باب « الثنائي الصحيح » وذكرها في باب « ما الحق بالرباعي » وقد أتى بعكس ذلك عندما ذكر في مادة خ ف ف قال « بعد الحق هذا بالرباعي فقلل منحنى الضبع وهو صوتها وذكر عن أبي الخطاب الاخشاش أنه قال الخفخوف

(١) جهرة اللغة : لابن دريد ج ١ ص ١٣

(٢) المعاجم العربية دراسة تحليلية : الكتاب الأول دكتور عبد السميع محمد

طائر ولم يذكره أحدا من أصحابنا غيره ولا أدري ما صحته ، (١) فإذا ما انتهى من الثنائي الصحيح وذكر أبواب الثنائي الملاحق ببناء الرباعي المكرر ذكر الحفحة صوت الضبع يقال سمعت حفحة الضبع وحفحتها أيضا ، وقد ذكرها بإسهاب في الثنائي الصحيح وأوجزها في الملاحق بالرباعي المكرر ، وبمناقشة بناء الثنائي الصحيح نراه يذكر حروفا محتلة في بعض المواد التي ذكرها مثل قوله في مادة كى ي « الكى مصدر كويت الجرح وغيره أكويه كيا » ، وقوله « في مادة لى ي « لوبت الشيء الويه ليا » وهذه الياء واو قلبت ياء ولويت الغريم ليا وليا إذا مطلته ، (٢)

فهو يذكر كوى ولوى في الثنائي الصحيح رغم أنه خصص بابا في الثنائي المعتل وما تشعب منه . (٣)

أما أبواب الثنائي الملاحق ببناء الرباعي المكرر فهو يقصر الشرح في المادة تارة مثل قوله في ب ث ب ث « يشبت التراب ونحوه إذا استثرت به بشبة » ويسهب الشرح في بعض المواد الأخرى مثل قوله في مادة بجيج « البجيجة من قولهم بدن بجاج وهو الممتلىء شحما قال الراجز :

بجاجة في بدنها البججاج

ومن معكوسها البجيجة وإذا انتقلنا إلى الثلاثي فقد قسمته إلى ستة أبواب وتشمل أبواب الثلاثي حوالى ثلثي المعجم ، أما أو أقسام الثلاثي وهو أبواب

(١) جهمرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٦٨

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٢١

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٦١

الثلاثي الصحيح وما تشعب منه فيذكر المراد حسب ترتيبها الا بجدى فيركب الباء والتاء مع حرف ثالث مما يليها من حروف الهجاء حتى ينتهي من الباب يمنع ذلك مع التاء ويجعل مع كل مادة معكوسها وقد وقع نفس الاضطراب والتكرار في أبواب الثلاثي فقد خلط المعتل بالصحيح مثل مادة ب ن ي ، ب و ه ، ب و ي ، ب ه ي ويذكر الدكتور عبد السميع محمد أن ابن دريد « قد اخطأ في اعتبار هاء التأنيث أحد الحروف الثلاثة في بناء الثلاثي الصحيح وهو خطأ دون شك » (١)

ونحن نوافق الدكتور عبد السميع محمد على رأيه ففي مادة ح م ه يقول « اللمة معروفة وقد استقصيناها في الثنائي واللمة مخنفة حرارة السهم وليست كما تسمى العامة حمة العقرب » (٢)

وقد اعترف ابن دريد بما أنه من الواجب عليه أن يذكرها في الثنائي بقوله « وقد استقصيناها في الثنائي » .

وأول باب في الملحق بالثلاثي هو « باب من الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلاً في موضع العين واللام ، أو العين والفاء أو الفاء واللام من الاسماء والمصادر وما تشعب منهم وهو ملحق بما مضى من الثلاثي الصحيح » (٣) .

فالعنوان مضطرب بعض الشيء وهو يذكر في أوله باب من الثلاثي ثم يذكر في نهاية العبارة وهو ملحق بما مضى من الثلاثي الصحيح ، وهو يذكر هنا

(١) المعاجم العربية : الكتاب الاول دكتور عبد السميع محمد ص ٦٢ .

(٢) جهرة اللغة لابن دريد ج ٢ ص ١٩٦ .

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ١٨٤ .

مردأ مثل ب ت ت ، ب ذ ذ ، وواضح أنها كانت تستحق أن توضع في أبواب الثنائي المضعف ، وقد نجد له عذرا ودوا أن هذه المواد التي ذكرها في المعقل الملحق بالثلاثي لا يدغم فيها المثلان ، فيعلم الدكتور - ين نصار على ذلك بقوله - وأبل باب في الملحق بالثلاثي ماسما هذا باب من الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان في موضع العين والسلام أو العين والفاء أو الفاء والسلام من الاسماء والمصادر وما تشعب منه ويضع فيه أمثال ب ل ل ، د د ن ، ك ك ع ، وواضح أن الاليق بها أن توضع في أبواب الثنائي المضعف السابقة ولكن المؤلف اكتشف فرقا بين ما أورده هنا وهناك فهناك يدغم المثلان أما هنا فغير مدغمين وفانه أنهما إذا كانا لا يدغمان في إحدى الصيغ فقد يدغمان في المشتقات الأخرى ، فيزول بذلك الفارق الماهرى الذى اكتشفه وكان عليه أن يتبين ذلك من هذه العبارة التى وردت على أسانه عفرا حين قال في آخر هذا الباب أهملت النون والواء والهاء والياء مع الحروف إلا فى الهوة وقد مر ذكرها فى الثنائي ، (١)

وفى الباب الثانى من الملحق بالثلاثي وهو « باب ما كان عين الفعل منه أحد حروف اللين » ثم ذكر أبواب ما ملحق بالثلاثي الصحيح فى حروف من حروف اللين وهو يخلط فيه خلطا كبيرا فقد كان من الواجب أن يضم البابين فى باب واحد ولكما نلتمس له العذر كما ذكر بنفسه أنه أملى هذا الكتاب ابن تجالا « لاعتى نسخة ولا تخليد فى كتاب قبله ومن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك فيعذر ان فيه تقصير او تكرير ان شاء » . (٢)

(١) المعجم العربى نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤١١

(٢) جهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٢

ثم ينتقل ابن دريد إلى باب النوارد في الهمز وهو يحشد فيها معلومات
لأحاجة بنا إليها في منهج معجمي وكان من الواجب أن توضع في النوارد عامة
التي ذكرها في نهاية المعجم .

فإذا انتقلنا إلى أبواب الرباعي فقد جعله أربعة أبواب أرلها الرباعي الصحيح
ثم باب من الرباعي فيه حرفان مثلاً ثم باب تعددت الأوزان التي جاءت
فيه المراد على مثالها والباب الرابع باب ما يلحق بالرباعي بحرف من حروف
الزوائد ، ونجد أبواب الرباعي منتظمة مرتبة غير أن الدكتور عبد السميع (١)
محمد عاب عليه فيه أنه حشد فيه مواداً ثلاثية كثيرة وأنه وضع فيه النواظ
رباعية أصولها من حرفين مكررين وهو ما ألحقه بالثنائي الصحيح من قبل مثل
قرقر وجد جد وأنه حشد في الرباعي أبواباً فرعية قصيرة مثل باب (ما جاء
في السدة والصلابة ، وما جاء في القعر وما جاء في السرعة وفي المضاء وفي
السعة والسهولة) (٢) ، ويرى الدكتور حسين نصار (٣) أنه رتب أبواب
الرباعي ترتيباً منظماً ولكنه يذكر أن ابن دريد لم يراع الترتيب في إيراد التقاليب
الستة ، وذكر ابن دريد في أبواب الرباعي أبواباً منها باب من الرباعي فيه
حرفان مثلاً مثل در دق ، وجد جد ، وقد كرر في هذا الباب ما سبق أن
ذكره في الرباعي المضاعف بعد باب الثنائي وباب من الرباعي على فعل وفعل
وفعل وقد أورد فيه الألفاظ الرباعي المضعفة ، الحرف الثالث ، والمدغمه ثم

(١) المماجم العربية : دراسة تحليلية : الكتاب الأول دكتور عبد السميع

نح ص ٦٥

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ج ٣ ص ٣٦٨

(٣) المعجم العربي نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ج ٢ ص ١٨٤

فرع من الباب عنوانا هو « وما يلحق بالرباعي » وذكر فيه كلمات على الأوزان السابقة ولكنها غير مضعفة مثل سبطر وضبطر .. الخ ثم ما جاء على فيعمل وفعل وما جاء على فمل وفعل ، ومن المالحق بالرباعي « باب ما يلحق بالرباعي بحرف من حروف الزوائد . وانتقل إلى باب « ما جاء من الرباعي على فعلمل » ولا تختلف الأبواب الملحقة بالرباعي عن الرباعي .

أما الخناسي فقد تخصص له عناوين مختلفة منها باب من الزوائد ومنها أبواب لأوزان خاصة مثل ما جاء على أفعيل ومنها ما جاء على أفعلة وأفعيلة وألحق بالخناسي ، وإن كان الأصل غير ذلك ، الخ وهو لا يحلل المواد في هذه الأبواب تحليلًا لغويًا ولا يعقب الدكتور عبد السميع محمد (١) على أبواب الخناسي عند ابن دريد ويعتبر الدكتور عبد السميع الملحق بالخناسي سداسيًا أما الدكتور حسين نصار (٢) فقد اعتبره مضطربًا في أبواب الخناسي وهذه مقتصرة

أما أبواب اللانيف فهي قصيرة فقد خصص كل باب لما جاء من مواد على وزن معين مثل باب « ما جاء على فعيلى ، وباب على ما جاء على فعلىل .. الخ وقد عرف اللانيف بقوله « اسمينه لانيقا لقصر أبوابه والالات بعضها إلى بعض على عكس تعريف الطرفين ، وفي اللانيف محمد حشدا بعض المراد خارجة عن ميدان المعجم أما الباب الذى يسمى « الضمائر » وقد جمع فيه مائتى باب يعالج فيها النوادر ويدور كل باب حول موضوع خاص فقد نقل فيه عن الأصمعى وأبى حاتم وأبى زيد فى نوادرهم ، وهو يعترف بذلك وهذا الباب باب جميل ولكنه يخرج عن نطاق

١ — المعاجم العربية الدكتور عبد السميع محمد الكتاب الأول ص ٦٥

٢ — المعجم العربى نشأته وتطوره : الدكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤١٩

المعجم فقد مر بنا رأى بعض الباحثين وهو الدكتور عبد السميع محمد (١) —
الذى يرى أنه يستحق أن يكون كتابا منفصلا ولا كنه يفيد دارس اللغة في هذه
المراد اللغوية التي ذكرها ابن دريد ويمكن أن يكون أساسا للمعجم التاريخي ؛
ويرى الدكتور حسين نصار أن أبواب العوادير لا تقوم في تقسيمها أو ترتيبها
على أساس معين بل مقسم مرة على الأبنية وأخرى على الموضوعات وثالثة على
بعض الظواهر اللغوية فـيما تحويه من الفاظ هي غاية من الاختلاط
والاضطراب ، (٢)

١ — المعاجم العربية دكتور عبد السميع محمد ص ٦٦

٢ — المعجم العربي نشأته وتطوره دكتور حسين نصار ج ٢ ص ٢٠٤

تحليل بعض مواد الجهرة

إذا أخذنا مادة من باب الثنائي الصحيح وهو أول أبواب المعجم مثل مادة (أرز) فيقول فيها : «از يؤز أزا ، والأز الحركة الشديدة وأزت القدر إذا اشتد غليانها وفي كتاب الله تعالى (تؤزهم أزا) والمصدر الأز والأزيز ، الأزاز ، قال رؤبه :

لا يأخذ التأسفك والتحنى فينا ولا طيخ العدى ذو الأز

(التأسفك) من قولهم أفك الرجل عن الطريق إذا ضل عنها وفي القرآن العزيز (يؤفك عنه من أفك) قال يصرّف عنه وقوله عز وجل (فأنى يؤفكرون) أى يصرفون والله أعلم ، (١) .

وقد بدأ ابن دريد المادة بالفعل اللازم وذكر مصدره وي-تشهد بالقرآن الكريم والشعر ولكننا نلاحظ أنه بدأ يشرح البيت ويستطرد دون اتمام معانى المادة .

وإذا أخذنا مادة من الثلاثى الصحيح وهو أكبر أقسام المعجم مثل (ترع) ورتع) نجد ابن دريد يبدأ المادة بقوله « ترع الرجل يترع الاناء إذا ملأته فهو مترع ، (٢) ، وقد بدأ ابن دريد المادة بالفعل اللازم وذكر مصدره ثم ذكر الفعل المتعدى فى قوله « اترعت الاناء إذا ملأته ، ونلاحظ انه يذكر للمادة معنيين ، حسى ومعنوى ، ويذكر اسم المنعول للفعل اترع ويذكر علما لمكان

(١) جهرة اللغة : لابن دريد ج ١ ص ١٧ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠ .

في قوله « التبعة قالوا الروضة وقال قرم الدرجة » ، « وهر أمين في عليه فلا ينسب
 قولاً لغيره إليه إذا لم يطمئن إلى قول قال « والله أعلم » أو قال « لا أدري ما صحته »
 ثم يذكر مقولب المادة مبتدئاً بالفعل مرة أخرى « فيقول : ورتعت المشاية
 ترتع رتوعاً ، ورتعا إذا جاءت وذهبت في المرعى فهي رتج ورتوع ورتواع
 ورتاع والمراتع مواضعها التي ترتع فيها وفي التنزيل (أرسله معنا غدا يرتع
 ويلعب) (١) وهو يذكر مقولب المادة كما نرى الفعل الماضي ومضارعه ومصدره
 ويذكر مصدرين للثلاثي ويذكر جمعا لمفرد لا يذكره في قوله « فهي رتج ورتوع »
 وراتع ورتاع » ويذكر اسم المكان « المراتع » ويستشهد بالقرآن الكريم ،
 ومن تقاليب المادة أيضا عرت ولكنه هنا يبدأ بالاسم فيقول : « والعرت الدالك
 عرت انفه إذا أخذه بأصابعه فذلك عرته يعرته عرنا ورحا عرات مثل عراص
 سواء وهو الذي يهتز إذا هزته من أوله إلى آخره وقالوا رمح عارت وعاتر
 أي صلب كأنه مقولب عن عارت » (٢).

وهو يستشهد بالشعر ويذكر تقاليب المادة مبتدئاً بالاسم فيقول : « والعتر
 الذبح يقال عتره يعتره عترا ، « ويذكر طرفاً من عادات العرب في الجاهلية
 فيقول « والنثيرة شاة كانت تذبح في الجاهلية في رجب يتقرب بها وكان ذلك
 في صدر الإسلام أيضا » (٣)

ويذكر مصدر عتر ويستشهد بالحديث الشريف (على كل مسلم أضحية

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد ج ٢ ص ١٠ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١١ .

وعتيرة) ويبين نسخ الحديث الشريف للعتيرة بالاضاحي ويستشهد بقول الحارث بن حلزة الذي كان قد حفظ ديوانه في صباه وقت غداء وهو :

عننا باطلا وظالما كما تعتر
عن حجرة الريض الظباء
وقول زهير بن ابي سلمى :

فز عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دى رأسه النسك

ويشرح ما يريد أن يستشهد به في البيت الاول ويذكر طرفا من عادات الجاهليين فيقول « وكان الرجل في الجاهلية يقول إن بلغت غنمي مائة عتريت عنها عتيرة فاذا بلغت المائة ضن بالغنم فصاد ظبيا فذبحها عنها (١) » .

وهذه المعلومات مصدرها أقوال العرب في الجاهلية وأخبارهم وتحفظ بعض الاشعار التي فقدت لبعض شعراء الجاهلية .

ولذا أخذنا مادة من الملاحق الثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين مثل (ث غ و ا ي) فهو يقول « الغناء ما جاء به السيل والغناء وصوت الغنم والغوث من قولهم غائه يفرثه غرنا وغيانا وأغائه يغنيه غائة وهو اللغة العالية وبه سمي الرجل غوثا وغيانا ومغينا ويغوث صنم معروف والغيث المطر وربما سمي ما نبت الربيع غيثا (٢) » .

وبتحليل هذه المادة نجده يبدأ بالاسم ويلو به مباشرة ثم يذكر الثلاثي من الأفعال ماضيا ومضارعاً ومصدره والرباعي ومصدره ويذكر أسماء

(١) جمهرة اللغة : لابن دريد ج ٢ ص ١١ .

(٢) نفى المصدر ج ٣ ص ٢١٩ .

الأعلام ويذكر غوثا وغياثا ومغيثا للرجال ويغوث للصنم ونجده في الملحق
بالتلثي يطيل في بعض المواد ويفصل في أخرى وكانت تحتاج إلى الإطالة مثل
هذه المادة .

وإذا انتقلنا إلى الرباعي الصحيح نجده يذكر في باب الباء والضاد في
الرباعي الصحيح وقد ابتدأ بالاسماء ولم يذكر فعلا قال « استعمل من وجوها
الضبعلى والضبعطى بالين والغين مقصورتان كلمة يفزع بها الصبيان يقولون قد
جاءك ضبعطى ويا ضبعطى خذه ويذكر أيضا الضبنطى القوى الغليظ والضبل
الصلب ليس بثبت ويستشهد هنا بقول الراجز :

وزوجها ذو ترك ذو ثرى يجزع ان فزع بالضبعطى
وقول الفرزدق :

إذا القنبضات السود طوفن بالضحى
رقدن عليها الحبال المسجدة

وفي أبواب الليف يذكر من المواد ما جاء على الأوزان فذكر مثلا ما جاء
على فعيل : شرحبيل اسم ودرخين ويقال درخيل وهو اسم من أسماء الداهية
وحقيق سىء الخلق وجد قيص قصير زرى .

وذكر في باب ما جاء على (فعلى) دفرى ومعزى ودفعلى نبت وحفرى
نبت وذكرى وحسمى موضع ، قال أبو بكر « نون ابو حاتم في كتاب المذكر
والمؤنث ذكرى ومعزى ونجده في باب الليف لا يطيل الشرح وهو يعترف
بذلك في تعريفه للمنى الليف ونراه أيضا يذكر عبارات غريبة وحوشية وهذا
يخالف المنهج الذى رسمه في اختيار الجهرة .

وإذا انتقلنا إلى آخر أبواب المعجم وهو باب النوادر نراه ينقل أخباراً عن النوادر من كتب الأصمعي وأبي حاتم وهو أمين في نقله لا يعزو شيئاً إلى نفسه ولا ينكر قولاً لصاحبه والباب أخبار لغوية ومصدر لأخبار العرب في الجاهلية ، وطرف من لمحهم وعاداتهم وهو يذكر مثلاً في باب « ما جاء من النوادر في صفة النصال » (١) « في النصل منخه وهو أصله وغيره وهو وسطه وأصلته وهو مستدقه » وذكر قول أبي عبيدة فيه « وزعم أبو عبيدة عن أبي خيرة أن العريض من النصال يسمى القهوبة » وهو يفرد أقوالاً لبعض اللغويين مثل قوله « باب من نوادر ما جاء في القوس وصفاتها عن أبي عبيدة معمر بن مثنى » (٢) و « باب قال الأصمعي أسماء رحاب الشجر » (٣) « وذكر لنا في باب من النوادر أشياء قال عنها « جمعناها في هذا الباب ليسهل فصلها » (٤) أسماء المحلات وأسماء الأيام في الجاهلية وأسماء الشهور في الجاهلية وأسماء القداح (قداح الميسر) .

ونستطيع أن نستخلص من تحليل هذه المواد أن ابن دريد كان يبدأ بالفعل بعد أن يجرده من الزوائد في أكثر المواد ويذكر مضارعه ومصدره وأنواع المصدر في الثلاثي ثم يذكر الأسماء ويستشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ويحكي الشعر القديم ، وهو لا يستشهد بالمولدين وهذا يحتاج إلى تفصيل .

(١) الجهرة لابن دريد ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٠٢ .

(٣) نفس المصدر ج ٤ ص ٥٠٠ .

(٤) نفس المصدر ج ٣ ص ٤٨٩ .

شواهد الجمهوره :

اعتمد ابن دريد في جمهرته على شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر ، أما القرآن الكريم فقد استشهد به في تفسير بعض المعاني اللغوية ، وإن كنا نعييب عليه أنه يفسر المعاني القرآني حسب المعنى اللغوي الذي يريده ، وقد اتضح ذلك جليا في دراستنا لكتابه « الملاحن » .

واستشهد بالحديث الشريف وكان الحديث الشريف قد نشأت منازعات في الاستشهاد به منذ استشهد الخليل به وكانت الخلافات تداول ما هو نوع الحديث الذي استشهد به وكان النزاع أكثر ما كان بين النحويين ، واستمر النزاع على رأي متوسط (١) .

(١) أفاض الشيخ محمد الخضر حسين في مجلة الجمع اللغوي الجزء الثالث في موضوع الاستشهاد بالحديث وقسم الحديث إلى ثلاثة أصناف :

(أ) صنف لا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج به وهو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ذاته والتي يتدل بها على فصاحته مثل حديث (حمى الوطيس) والأحاديث التي كان يتعبد أو أسر بالتعبد بها والأحاديث التي كان يخاطب بها كل قوم بانتهم إذا صح لفظها والأحاديث التي وجدت بأسانيد مختلفة . . . الخ .

(ب) الصنف الثاني : أحاديث لا ينبغي الاختلاف على صحتها وهي التي تأخر تدوينها إلى ما بعد فساد اللغة .

(ج) الصنف الثالث : وتختلف الآراء في الاحتجاج به وهو الحديث المدون في وقت مبكر ولكن بعد فساد اللغة في القرن الثالث تقريبا .

أما الشعر فقد كان ابن ذريرد يستشهد بنشاط حل الشغفراء وهو لا يستشهد
بالمولدين غير أنه ذكر بشار بن برد مرة واعتبره غير حجة (١).

وهو على العكس من الخليل في استشهاده بالمولدين بأن كان يتفق مع الخليل
في انشاد الشواهد الشعرية دون نسبة إلى فائلمها وقد بذل مصحح الجهرة جهداً كبيراً
في مراجعة كتب اللغة والأدب لمعرفة اسم الشاعر ، ومن أمثلة شواهد
للجاهليين قوله في مادة (ب) (٢) « الربابة العهد والمعاهدون اربة » ، قال الهذلي
أبو ذؤيب :

كانت اربتهم بهز وغرهم عند الحوار وكانوا معشر أغدرا
ويروى « نغيرهم عهد الجوار » وقال آخر هو علقمة :

وكنتم اسراً افضت اليك ربابتي وقبلك ربتي فضعت ربوب

ومن استشهاده للاسلاميين في العصر الأموي في مادة (ب س س) (٣)
قول الفرزدق :

ألم تعلم يا ابن الجسر نها إلى السيف تستبكي إذا لم تعفر

منا عيش البولي مرايب الثأى معاقير في يوم الشتاء المذكر

وما جبرت إلا على عنم يرى عرافيتها مذ غفرت يوم صوار

ومن استشهاده بلونج قوله في مادة (ب ش ش) (٤) قول الرازي :

(١) جهرة اللغة لابن ذريرد ج ١ ص ١٢٧ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٨ .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٣٠ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٣٢ .

لا يعدم السائل منه وفرا وقبله بشاشة وبشرا
 كال ابن دريد قد رجع إلى مراجع في كتب اللغة والأدب والتفسير والتاريخ
 ثبت انه استقى شواهد منها (١).

(١) ذكر محمد بن عمر البغدادي في خزانة الأدب ج ١ ص ٣٠ طبقات الشعراء
 التي يستشهد بها ولم يخصصها أن الجاهليين وهم من كانوا قبل الإسلام
 والمخضرمين وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام مثل لبيد ورحسان
 يستشهد بهما إجماعاً ، أما الطبقة الثانية وهم الإسلاميون الذين كانوا في
 صدر الإسلام مثل جرير والفرزدق والصحيح صحة الاستشهاد بكلامها
 أما المولودون أو المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا مثل بشار وأبي نواس
 الصحيح انه لا يستشهد بكلامها مطلقاً وقيل يستشهد بكلام من يؤثق
 بكلامه منهم ،

اللغات واللهجات في معجم الجمهرة

إهتم ابن دريد باللغات في معجمه إهتماماً كبيراً وبخاصة لغة اليمن وإذا فصلنا الأمر فإننا نقول انه اهتم باللهجات العرب وذكر لغات أخرى غير العربية في آخر كتاب الجمهرة عربية ومنقولة ودخيلة ، فقد ذكر في معجمه لغات الازد والانصار والبحرين ولغة تمميم وثقيف وأهل الجوف وأهل الحجاز وبني حنيفة وخزاعة وأهل الجوف وأهل السراة وطى وعبد القيس وقيس وأهل المدينة ولغة أهل مكة ومذبل وهمدان وهوازن ، وقد ذكر من لغة اليمن لغة حمير ، ولغة اليمن عامة في كثير من مواضع الجمهرة ، إنما يدل على تعصبه لقرمه على الرغم من أن بعض الباحثين المحدثين وهو الدكتور حسين نصار يعتبر ذكر لغات اليمن في الجمهرة من مظاهر الشك فيها يقول « وركز عنايته باللغة اليمنية خاصة فذكرها في قريب من ٢٢٠ موضعاً وأهل السبب في ذلك أنها لغته الأصلية ، وأنه كان متعصباً لأهله من اليمن وكانت هذه الكلمات اليمنية من أهم أسباب ما دار حول الجمهرة من شك ونقد لعدم اتساقها مع المعروف من لغة الشمال ، (١) .

واهتم ابن دريد بالمعرب والدخيل عن الرومية والسريانية والعبرية والفبطية والحبشية والفارسية وقد عقد له فصلاً في الأبواب الملحقة بالمعجم واعتمد أبو منصور الحواشي عليه في كتابه « المعرب » .

ومن مميزات الجمهرة أنه ذكر لغة الرسول — صلى الله عليه وسلم — فذكر في الجمهرة مادة (د ف و) من الثلاثي الصحيح فقال : « الدفوف مصدر دفوت الجريج ، ادفوه دفوا ، إذا أجهزت عليه ، ودففت عليه تدفيفاً وفي الحديث أن

(١) المعجم العربي نسأله وتطوره : الدكتور حسين نصار ص ٢٩٠ ص ٢٩١ .

قوما من جهينه جاموا إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — بأسير وهو يرعد من
البرد فقل أدفوه ، وهو لغته بخير همز فذهبوا به فقتلوه ، وإنما أراد عليه السلام
أدفئوه من البرد وليس في لغته عليه السلام الهمز ، (١) .

فاذا استقصينا ما ذكره من لغات العرب فمن الاسد يقول في مادة (بعل)
« والعلبة بكسر العين والجمع علب . غن عن غنايم من شجرة يتخذ منه مقطرة
كلغة أسدية » ، (٢) .

وفي مادة (دعن) « والدعن لغة أسدية وهو سفع بعضه إلى بعض ويرمل
بالشريط ويبسط عليه التمر » ، (٣) وغير ذلك من المواضع .

أما لغة الانصار فقد ذكرها في موضع واحد (مادة بدأ) قال : « وبديت
الشيء وبدوت به إذا قدمته بالفتح والكسر وفي بديت وهي لغة الانصار ،
وأنشده أبو عبيدة لبيد الله بن رواح الانصاري رضى الله عنه :

باسم الاله ربه بدينا ولو عبدنا غيره شقيننا

فحبذا ربنا وحب ديننا (٤)

أما لغة البحرين فقد ذكرها في عدة مواضع منها مادة (جبر) فقال تعليقا
على قول ابن أحرر البا لي :

ابعد عطيتي ألفا تماما من الحبـار آزرها اله راه

(١) جهرة اللغة لابن دريد ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣١٦ .

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٤) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٠٢ .

قال : والمراء بلغة أهل نجد الفسيل بغيمته وأهل البحرين زعموا أن المراء
الطالع ، (١) .

ويستمر في ذكر لغات العرب فيذكر متلا لغة قيس في ثلاث مواضع قال
في باب « من النوادر » وقال قيس طسم الرجل وحفس إذا أغم ، (٢) .

أما لغة اليمن فهي أكثر اللغات وروداً في المعجم فقد ذكر لغة حمير مرات
ولغات يمنية أخرى كثيراً جداً ومن أمثلة ما ذكره في لغة حمير ما ذكره في الثلاثي
المضعف مادة (حل) قال : « الحل الخلال ومنه قولهم هذا لك حل وبل » ،
وقال بعض أهل اللغة بل اتباع وقال آخرون بلل المباح لغة حميرية ، (٣) .

وقال في موضع آخر في الثلاثي المضعف في مادة (بل) « وقولهم حل وبل
قال قوم من أهل اللغة بل هاهنا اتباع وقال قوم بل البل المباح لغة يمنية » ، (٤)
ونلاحظ هنا أنه يكرر ما ذكره من قبل في الثلاثي المضعف مادة (حمل) في
لغة حمير وهو خاط من جانبه وذكر لغة اليمن بعامة في الثلاثي الصحيح فقال في
مادة (ت خ ف) « الختف السذاب فيما زعموا لغة يمانية » ، (٥) .

وفي الرباعي الصحيح قال في باب الباء والخاء في الرباعي « وخرباش
وخرباش يقال وقع القوم في خرباش أى في اختلاط وضخب لغة يمانية » ، (٦) .

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٧٩ .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٦٤ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٣٨ .

(٥) نفس المصدر ج ٢ ص ٧ .

(٦) نفس المصدر ج ٣ ص ٣٠٢ .

أما اللغات الأجنبية التي ذكرها ابن دريد في معجمه فقد ذكرها في آخر المعجم مع باب النوارد في باب (ما تكلمت به العرب من كلام المعجم خفي صار كاللغة) (١).

فمن الفارسية يذكر (الديابوذ) وهو الدوابوذ بالفارسية أي ثوب ينسج على نيرين ومن الفارسية أيضا الكرد العنق وهي كردن بالفارسية والفصافص فارسية معربة وهي الرطبة أسفت ، ومن الرومية قومس وهو الأمير والسجنجل روى معرب وهي المرأة والقراميد الآجر يسمى بالرومية قريميدى والاسفط درب من الخمر فيه أقاويل روى معرب ومن النبطية (المرعزى) وأصلها بالنبطية (مرىزى) . ومن السريانية (التامور) و (الرازوق) وهو السطر من النخل وغيره .

ولكن هل كان ابن دريد يعرف لغات أجنبية غير العربية ؟ يرى الدكتور عبد السميع محمد في كتاب المعاجم العربية ، أن ابن دريد على ما يبدو لم يعرف غير اللغة العربية فقال « ويبدو أن ابن دريد لم يعرف غير اللغة العربية فقد تحدث عن الحروف التي استعملتها العرب في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات فقال إنها تسعة وعشرون حرفا مرجعون إلى ثمانية وعشرين حرفا منها حرفان يختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والظاء ، ثم يقول وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة وبذلك ليس زعما فالحاء موجودة في اللغات الثلاثة ، (٢) .

(١) جهرة اللغة لابن دريد ٣٠ ص ٩٩ ، وقد نقل نصوصا كثيرة للنساء

الأجنبية وقد أخترت بعضها ٢٠ ص ٥٠٠ و ٥٠١ .

(٢) المعاجم العربية دراسة تحليلية الكتاب الأول دكتور عبد السميع محمد

ونعته قد أن ما رآه الدكتور عبد السمیع محمد یمیل إلى الصواب وان ابن درید كان ینقل عن شیوخه ما سمعه أو یدکر كلمات قد شاعت بین العرب وبنهم ذلك من عنوان الباب الذی تحدث فیه عن اللغات الأجنبية وقد ذکر ابن درید كثيراً من المعرب فی معجمه فی مواضع متفرقة غیر الباب الذی ذکر فیه ما تكلمت به العرب من كلام العجم وقد ذکر ابن درید البهرج فی باب (الباء والجیم) فی الرباعی « والبهرج قد تكلمت به العرب وان كان فارسیا و كأنه الردیء من الشیء (١) » وقد ذکر البهرج فی باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم فقال « البهرج الباطل و هو بالفارسیة نبره » (٢).

وقد علق أحمد محمد شاكر فی تحقیقه لمعرب الجوالیقی علی كلمة « البهرج » كما ذكرها ابن درید فذكر أنها ذكرت مرتان مرة « البهرج » بفتح الباء ومرة البهرج « بضمها » رغم أن المعنی واحد ورأى أن ضم الباء خطأ من الناسخ أو المصحح » (٣).

وذكر ابن درید فی الرباعی الصحیح « وكرهلاء موضع لا أحسبه عربیا محضاً والبهر كان أيضاً كساء برنكانی لیس بعربی » (٤).

وذكر ابن درید فی باب الثنائی الصحیح فی مادة د ت ك ك ، « والتكة لا أحسبها عربية محضة ولا أحسبها إلا دخیلاً وإن كانوا قد تكلموا بها قديماً » (٥)

(١) جوهرة اللغة لابن درید ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ٥٥١ .

(٣) المعرب : أبو منصور الجوالیقی تحقیق أحمد محمد شاكر هامش ص ٩٦ .

(٤) جوهرة اللغة لابن درید ج ٣ ص ٣٠٩ .

(٥) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٤١ .

وقد علم أحد شاكر على كلمة « التكة » كما ذكرها ابن دريد فقال « وهذا ظن من ابن دريد لم يأت عليه بدليل واصل المادة مستعمل في العربية » (١).

وذكر ابن دريد « الكفور » في مادة « ر ف ك » فقال « فأما الكفور من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض ولأنهم ربما قالوا القنور والقفور ، وقد جاء في التنزيل « مزاجهم كافورا » والله أعلم بكتابته » (٢).

ويرى أحمد محمد شاكر « ان ابن دريد لم يأت بدليل على عجمة الكلمة إلا الظن فيه فقال ادى شير فارسيتها كافر أى كالمفطر وايس هذا دليلا كافيا فاحتمال نقل الاسم من العربية إلى الفارسية أقوى ثم أن أصل المادة عربي وقد سمى العرب وعاء طلع النخل كافورا ، (٣) وذكر ابن دريد « المقلد » فقال « المقلد المفتح فارسي معرب لغة في الاقليد والجمع مقاليد » (٤) ويرى أحمد شاكر ان الكلمة عربية خالصة (٥).

ويذكر الدكتور عبده الراجحي في كتابه « اللهجات العربية في القراءات القرآنية » ان المعاجم بطبيعة مادتها تعتبر مصدرا هاما للهجات فقال « وتعتبر المعاجم بطبيعة مادتها مصادر هامة للهجات ولكن كثيراً منها لم يهتم بعزوها إلى قبائلها ، فصاحب اللسان مثلاً لا يكاد يذكر إلا قليلاً جداً من لهجات القبائل

(١) المغرب : للجوابيقي تحقيق أحمد محمد لرا كهامش ص ١٣٨ .

(٢) جوهرة اللغة : لابن دريد ج ٢ ص ٤٠١ .

(٣) معرب الجوابيقي تحقيق أحمد شاكر هامش ص ٢١٣ .

(٤) جوهرة اللغة لابن دريد ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٥) معرب الجوابيقي تحقيق أحمد شاكر هامش ص ٣٦٢ .

بل إنه يكتفى بقوله لغة فيه أو عند بعض العرب ، والمعجمان اللذان نعتبرهما مصدرين هامين للهجات وبخاصة لهجات اليمن هما : (١) الجمهرة لابن دريد إذ تنتشر فيه لهجة أكثرها من اليمن والغريب إنه لم يذكر من لهجات قبيلة الأزدي إلا سبعة عشرة مادة . (٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لذيوان بن سعيد الحميري وهو في رأينا أهم مصدر لدراسة اللهجات اليمنية (١) .

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية دكتور عبده الراجحي ص ٥٤ دار المعارف سنة ١٩٦٨ .

الغريب والمهمل في معجم الجهرة

ذكر ابن دريد في مقدمة معجمه انه اختار من اللغة الشائع المستعمل وأرجأ الوحشى المستنكر وجعله ملحقا بأبواب كتابه ، ولكننا نلاحظ أنه كثيراً ما يستعمل الغريب والوحشى في ثنايا معجمه ، وإذا أردنا أن نعرف الغريب والوحشى والمهمل والمستنكر وهذه الألفاظ متقاربة المعنى وتختلف في وجوه ، أما الغريب فهو « أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها ويحتاج إلى معرفتها إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطه » (١) والوحشى من الكلام « ما نفر عنه السمع » (٢) ويقال له وحشى وهو بمعنى الريب ، أما المهمل فتد ذكره السيوطى في المزهرة وقسمه قسمين « درب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة ، وذلك كجسيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدم على جيم ، وكعين مع غين ، أو حاء مع هاء أو غين ، فهذا أمر ما أشبهه لا يأتلف والدرب الآخر ما يجوز تألف حروفه ، ولكن العرب لم تقل عليه وذلك كإرادة مرید أن يقول عضخ فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر » (٣) .

فأما الغريب والوحشى عند ابن دريد في الجهرة فنجد أنه أدر ما نجده في باب الرباعى على الأوزان مثل ما جاء على فيعل وفعل وما جاء على فعيلى . . الخ مثل قوله رجل حيفس وضخم آلام حيشم صلب شديد ورجل زيفن طويل وفى باب ما جاء على فوعلى « الكومج المتراكم الاسنان فى الفم والتولج والدولج وهو الكناس وهردل والهدولة الاقتراب والشوحت نبت تتخذ منه القسى فاذا كان جبلياً

(١) المزهرة : جلال الدين السيوطى ج ١ ص ١٨٥ .

(٢) العمدة : ابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محى الدين ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٣) المزهرة : جلال الدين السيوطى ج ١ ص ٢٤٠ .

فهو نبع وإذا كان مهملًا فهو شوحط والحوزل فرخ الحمام وحرشب وهو الرجل العظيم النهدي الجنبين ، (١) .

أما المهمل فقد ذكر ابن دريد المادة المهمة ونص على إهمالها وفيل ذلك في كل مواد معجمه ، فن الثائي المضعف الصحيح ذكر (ب ظ) و (دف) ونص عليها بقوله « أهملت » وقد يذكر بعض استعمالات المادة من مشتقات المادة المهمة .

ومن أبواب الثلاثي الصحيح يذكر المواد المهمة مثل مادة « ب ث ظ » و « ب ث ث » بقوله « أهملت » ، وأحيانًا ينص على أنها مهمة في الثلاثي فقط مثل مادة سحج ، وسحق قال « أهملت في الثلاثي » ، ويذكر أحيانًا أنها مهمة من جميع الوجوه أو إهمالها مع حروف أخرى مثل قوله في « شحظ » (أهملت) ، وكذلك حالها مع العين والغين .

أما الرباعي الصحيح فيقل المهمل عند ابن دريد وقد ذكر استعمال بعض المواد من وجوها مثل قوله « في باب الباء والشين في الرباعي الصحيح استعمال من وجوها لشنذب » وفي باب الباء والطاء في الرباعي الصحيح استعمال من وجوها القعطبة ، وفي باب الفيف و باب النوادر فيذكر ابن دريد أنواعا من المهمل ونراه يذكر موادًا غاية في الغرابة تحتاج إلى معجم آخر يشرحها ، ونجمل القول أن ابن دريد خالف منهجه في اختياره الشائع فقط ، فقد ذكر موادًا غريبة وحرشية في معجمه وإن كان قد أثار من المستنكر والحوشي في نهاية المعجم ، كما ذكر في مقدمة الكتاب :

معنى الكلمة ومدلولها في معجم الجمهرة

قبل أن ندرس الكلمة ومعناها عند ابن دريد يجب أن نشير إلى دراسة المعنى أو الدلالة عند المحدثين فقد ذكروا علم الدلالة أو علم المعنى أو علم السيمانتيك . فيذكر الدكتور تمام حسان في كتابة مناهج البحث في اللغة « إن علم الدلالة أو علم المعنى أو علم السيمانتيك فرع من فروع الدراسات التي تناولها بالبحث أنواع من العلماء مختلف موضوعاتهم فالفلاسفة والفلاسفة والعلماء النفس والأشروبولوجيا والادباء والفنانون والاقصاصاديين وعلماء الدراسات الطبيعية ، (١) ، ويذكر الدكتور تمام حسان أيضا انه اختلف في الاسم والأفكار الدالة في نطاق العلم فيذكرون الاسماء .

وقد حدد هذا العلم وأفكاره الأولى بريال على أساس تاريخي ويقسم الدكتور تمام حسان علم الدلالة إلى علم الدلالة التاريخي وعلم الدلالة الوصفي والأول يدرس تغير الدلالة من عصر إلى عصر أما الثاني فيدرس المعنى في مرحلة معينة من مراحل تاريخ اللغة . وقد كتب الدكتور محمود السعران عن علم الدلالة فقال : أنه فرع من فروع علم اللغة وهو غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية (٢) . ويذكر الدكتور محمود السعران أن تغير المعنى غالباً ما يكون صدى لتغير الميول الاجتماعية ومن أنواع التغير الدلالي الذي يذكر :

١ — التغير الانحطاطي أو الخافض وهو ما كان في نظر الناس قويا نسبياً ثم

(١) مناهج البحث في اللغة : دكتور تمام حسان ص ٢٤٠ .

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، الدكتور محمود السعران ص ٢٨٥ .

تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك حرفية ثم التغير المتساوى وهو عكس التغير السابق .

٢ — التغير نحو التخصيص أو تخصيص المعنى وهى ألفاظ تستعمل للدلالة على طبقة عامة من الأشياء ثم أصبح مجالها ضيقا .

٣ — التغير نحو التعميم أو تعميم المعنى .

٤ — التحول نحو المعانى المضادة وهو ما يعرف فى لغتنا بالأضداد وهناك التغير الدلالى والاستعمال النحوى والتغير الدلالى والتاريخ الثقافى (١) .

ويقسم الدكتور ابراهيم انيس فى كتابه دلالة الألفاظ (٢) بعد أن حلل عبارة لغوية أنواع الدلالات إلى :

١ — دلالة صوتية وهى تستمد من طبيعة الأصوات ومن مظاهرها ما يسمى بالنغمة الكلامية Intonation وتلمب هذه النغمة فى بعض اللغات دورا هاما .

٢ — دلالة صرفية .

٣ — دلالة نحوية .

٤ — دلالة معجمية .

وقد اهتم المحدثون بالدلالة الاجتماعية فجعلوا منها فرعا دراسيا مستقلا سموه Semantics ، ويميل بعضهم إلى التفرقة بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية ، إذ أن المعاجم وإن كانت مهمتها الأساسية هى

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، الدكتور محمود السمران ص ٢٥٥ .

(٢) دلالة الألفاظ ، الدكتور ابراهيم انيس ص ٤٤ .

توضيح تلك الدلالة الاجتماعية غير أنها تعرض لببحث مسائل تجرى على غير المؤلف ويرى من الضروري النص عليها ولقد أدرك هذه الحقيقة العلمية معظم أصحاب المعاجم العربية القديمة وهم في غالب الأحيان لا ينصون إلا على الصيغ الغربية على القياس والاضطراد في ظواهر اللغة ، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس « إن معاجمنا العربية القديمة لم تلتزم هذا الطريق السوى في عرض مفرداتها بل جمع بعضها بين المفرد القياسي والشاذ والسماعي في كثير من الأحيان (١) . أما الدكتور على عبد الواحد فيذكر في كتابه علم اللغة أنواع التطور الدلالي فيقسمه إلى ثلاثة أنواع أحدهما تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكرين العبارة وثانيها تطور يلحق بالأساليب وثالثها تطور يلحق معنى الكلمة نفسه (٢) .

ويذكر الدكتور عبده الراجحي في كتاب فقه اللغة في الكتب العربية عن

(١) دلالة الألفاظ الدكتور إبراهيم أنيس ص ٥١ .

(٢) علم اللغة الدكتور على عبد الواحد وفي ص ٣٨٧ ، ٢٨٨ هذا وقد وضع صورة تفسير المعنى في المعاجم العربية الدكتور محمد أبو الفرج في كتاب المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث من ص ١٠٠ إلى ص ١١٥ وذكر وسائل تفسير المعنى للمعاجم العربية إلى خمسة أقسام : ١ - تفسير بالمغايرة ٢ - تفسير بالترجمة . ٣ - تفسير بالمصاحبة . ٤ - تفسير بالسياق « السياق اللغوي » - السياق الاجتماعي - السياق السببي ٥ - التفسير بالصورة وهي دعوة حديثة لم تذكرها المعاجم القديمة .

ارجع إلى كتاب المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث الدكتور محمد أبو الفرج من ص ١٠٠ إلى ص ١١٥ .

فضية المعنى « أما العرب اهتموا اهتماما كبيرا بقضية المعنى لأنه يتصل بالاصل الذي صدرت عنه حركتهم الفعلية كلها بما نفاه في كتب التفسير والاصول والفقه والشروح — المختلفة التي وضعوها للفقن القول شعره ونثره ومع أن هذه الاعمال كانت تعرض لأسباب النزول أو لمراتب البيان أو لمعنى الحال أو غير ذلك من الجوانب التي تهم ظروف الكلام من قريب فان دراستهم على المستوى الدلالي لم تكشف عن منهج واضح (١) ، وإذا حاولنا أن نستكشف مفهوم المعنى أو الدلالة عند ابن دريد في معجمه فاننا نرى أنه كان يسير بمفهوم المعنى كما نرى عند تحليلنا لبعض مراده ومثال ذلك في مادة جرس « الجرس صوت خفي يقال ما سمعت له جرسا أي ما سمعت له حسا فإذا قالوا ما سمعت له حسا ولا جرسا كسروا واتبعوا اللفظ وسمعت جرس الغدير إذا سمعت صوت مفاخيرها على شيء تأكله وفي الحديث فيسمعون جرس طير الجنة (٢) . وهو هنا يذكر السياق المغوى والتفسير بالسياق ويهتم بالتفسير بالترجمة فقال « والجرس والجمع أجراس التي تسميه البجاءه جرسا بالصاد واشتقاقه من الجرس أي الصوت والحس وليس يجتمع في كلام العرب جيم وصاد في كلمة ثلاثية ولا رباعية إلا ما لا يثبت فاما الجرس فنارسي معرب (٣) . وهو هنا يذكر الكناية المعربة وهي الجرس ويشرحها ونجدده أمينا حين يقول ولا أدري ما صحته . ولا يهتم ابن دريد بالدلالة الاجتماعية إلا ما يذكره من انغات العرب في بعض المواد ولا يهتم بالدلالة النحوية أما ما ذكره من الدلالة الصرفية فعليه هجوم كبير وخاصة من جانب ابن جني الذي هاجمه في كتاب الخصائص جرما صرفيا محضاً .

(١) فقه اللغة في الكتب العربية - الدكتور عبده الراجحي - طبع بيروت ١٦٩

(٢) الجهمرة - ابن دريد ٢٥ ص ٧٥ .

(٣) نفس المصدر ٦ ص ٧٦ .

المهاجمون للجمهرة

هوجت جمهرة اللغة أيام ابن دريد وبعده على يد علماء ثقات وكان أول المهاجمين ابراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه المتوفى عام ٣٢٣ هـ . وكان نفطويه معاصراً لابن دريد ويذكرون عنه ، إنه كان صدوقاً حافظاً وكان متقماً في العلوم وكان ينكر الاشتقاق في كلام العرب . (١)

وقد تهاجى ابن دريد ونفطويه وكان نفطويه قد هجا ابن دريد بقوله :

ابن دريد بقرة وفيه عى وشرة
ويدعى من حقه وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

ويرد عليه ابن دريد بهجاء طريف فيقول :

لو أنزل الوحى على نفطويه لكان ذاك الوحى مسخفاً عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه مستأهل للصفع فى أخذه عليه
اف على النحو وأربابه قد صار من أربابه نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صراخاً عليه (٢)

ونفهم من هجاء نفطويه لابن دريد أنه يتهمة بسرقة كتاب العين وتغييره وتعميته بالجمهرة ولكن هجرم نفطويه لم يقم على أساس ولا دليل ولذلك فقد ذهب الدكتور حسين اعداد إلى ضعف رأى نفطويه وقال مقارناً بين ابن دريد

(١) أنباء الرواة فى أنباء النحاة للقفطى ج ٤ ص ١٦٥ .

(٢) المزهى فى علوم اللغة لجلال الدين السيوطى ج ١ ص ٤٧ .

وبين الخليل « وسبب اختلاف الاثنين في الصوغ والشواهد رجوع ابن دريد إلى مراجع أخرى غير العين ولدينا فهرس بهذه المراجع في آخر المجلد الرابع يظهر منها أنه اطلع على كتب في اللغة والأدب والتفسير والتاريخ ويتضح من المواد نفسها أنه استمد كثيراً من شواهد القرآنية وتفسيرها بل أكثرها من أبي عبيدة وإن تخرز من بعضها وشك فيه وكل هذا يجعلنا ننكر على نفطويه طعنه في الجهرة وأدعائه أنها مسروقة من كتاب العين (١) . وقد دافع السيوطي عن ابن دريد معلقاً على هجرم نفطويه عليه فقال : « وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الاقران في بعضهم لا يتدح (٢) ونستطيع أن نجمل القول أن رأى نفطويه في الجهرة واعتبارها مسروقة من العين لا يقوم على دليل فهو يقوم على غير شخصية وعداوة مستكنة لابن دريد فكتاب الجهرة يختلف عن كتاب العين في وجوه كثيرة وقد اعترف ابن دريد في مقدمة الجهرة أنه ينير على درب الخليل ولو كان سارقاً لآخى ملاح السرقه ثم أن في الجهرة زيارات كثيرة على العين كانت من الكثرة بحيث اعتمد عليها التبان في كتابه الموعب ثم ان نفطويه هو الوحيد الذي اتهم ابن دريد بسرقة الجهرة ولم يتهمة كبار اللغويين في عصره وبعد موته بالسرقه بل ان كثيراً من اللغويين اللاحقين اعتمدوا على الجهرة في تأسيس معاجمهم مثل ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة والمجمل .

وكان ثاني المهاجرين أبو منصور الأزهري المتوفى عام ٢٧١ هـ في كتاب التهذيب ، وقد ذكر الأزهري الأئمة الذين اعتمد عليهم فيما جمع من الكتب

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره الدكتور حسين نصار ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٢) المزهرة في علوم اللغة ج ١ ص ٩٤ .

في مقدمة المعجم فنذكر من الطبقة الأولى أبو عمرو بن العلاء وخاف الأخر
والمنفصل الضبي ومن الطبقة الثانية أبو زيد الانصاري وأبو عبيدة معمر بن المثنى
والكسائي وأبو عمرو الشيباني والاصمعي ومن الطبقة الثالثة أبو عبيد الاسم
بن سلام إلى غير ذلك من العلماء الذين اعتمد عليهم في كتابه (١) . وبعد أن
فرغ من ذكر الاثبات المتقنين في رأيه بدأ في ذكر أقوام اتموا بسمه المعرفة
وعلم اللغة وأنفوا كتباً أو دعواها الصحيح والثقبل وحشوها بالمازالم المفسد
والمصحف المغير الذي لا يتميز ما يصح منه إلا عند التقارب المبرز والعالم الفطن
لنحذر الاغمار اعتماد ما دونوا والاستقامة إلى ما ألفوا وذكر أول ذلك الليث
بن المظفر يقول عنه انه الذي نحل الخليل بن احمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه
باسمه ويرغب فيه من حوله (٢) ، ثم يهاجم الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ وابن قتيبة
المتوفى عام ٢٧٦ هـ ثم يهاجم ابن دريد هجوما عنيفا فيقول « وعن ألف في
عمرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول
وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد
الازدي صاحب كتاب الجهرة وكتاب اشتقاق الاسماء وكتاب الملاحن وحضرته
في داره غير مرة فرأيت يروي عن أبي حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن أخي
الاصمعي فسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عنه فاستخف به ولم
يوثقه في رواية ودخلت يوما عليه فوجدته سكران لا يكاد يستمر لسانه على
الكلام من غلبة السكر عليه وتصفحت كتاب الجهرة له فلم أره دالا على معرفة

(١) مقدمة تهذيب اللغة لأبي منصور الازهرى ج ١ ص ٥٤ وغيرها تحقيق

عبد السلام هارون .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٨ .

ثاقبة وعُثرت منه على حروف كثيرة ازالها عن وجعها وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفا كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها فأثبتها من كتابي في مواقعها فيه لأبحث عنها أنا وغيرى ومن ينظر فيه فان صححت لبعض الائمة اعتمدت وان لم ترجد لغيره وقفت (١).

وبعد أن يهاجم آخرين مثل الخارزنجي وأبا الازهر البخاري يذكر انه سيبين ما أخذوا فيه ابن دريد أو ما شككه فيه فيقول « ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صح لي سماعا منهم أو رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتى اللهم إلا حروفا وجدتهما لابن دريد وابن المظنر في كتابيهما فتبينت شكى منهما زارتيا بي بها وسترها في مواقعها من هذا الكتاب (٢).

ونستطيع أن نلخص التهم التى وجهها أبو منصور الازهرى لابن دريد فى الجمهرة فى الآتى :

١ — افعال العربية وتوليد الالفاظ التى ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم وانه طبع أن نفهمها بمعنى الكذب وصنع الالفاظ وندافع عن ابن دريد ونقول انه لم يكذب فى كتابه فإنه كان ينقل عن العلماء الثقات ويذكر كتبهم وإذا لم يعرف أصل الكلمة أو صحتها يقول ولا أدري ما صحتها وأما إدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم فيقصد

(١) مقدمة تهذيب اللغات لأبى منصور الازهرى — تحقيق عبد السلام

هارون ج ١ ص ٢١ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٠ .

به المعرب والدخيل والمولد فلم يذكره ابن دريد من تأليفه وإنما نقلها
وكان دائماً يقول وما أدري ما صحتها أو هكذا يقولون . وأما اعتماد
الازهرى على نخطويه في الهجوم على ابن دريد فقد فصلنا فيما سبقا وعرفنا
انها كانتا عدوين وكان نخطويه يحقد على ابن دريد ويغار منه .

٢ — شرب ابن دريد للخمر وهى تهمة شخصية محضة ونستطيع أن نقول أن
— الناحية الشخصية لا تنقص علم العالم ولا نستطيع أن نصدق أن رجلاً
مثل ابن دريد أخرج لنا من أمهات الكتب مثل الجهرة والاشتقاق والمجتبى
قد اختل عقله أو سقط قدره .

٢ — التصحيف ، وأما التصحيف فهو ما يقع فيه العلماء وقد ذكروا لابن
دريد تصحيفاً وقد أشار الناشر إلى مواضع مصحفة من الجهرة ومن
الالفاظ التى أنكرها الازهرى على ابن دريد فى معجمه ما قال فى باب
العين والهاء مع الطاء « وقال ابن دريد المطيع الطريق الواسع قلت ولم
أسمع المطيع بمعنى الطريق لغيره وهو من مناكيره التى ينفرد بها (١) » .
وفى باب العين والحاء مع الشين « وقال ابن دريد خشع الرجل خراش
صدره إذا رمى بها قلت جعل جشع واقعاً ولم أسمعه لغيره وقال مادة
قذع « وقال ابن دريد ذعقه وزعقة إذا صاح به وافزعته قلت وهذا من
زيادات ابن دريد . وأحياناً يذكر الازهرى رأياً لابن دريد ويعترف
بصحته فلا يعلق عليه قال فى مادة عرض « وقال ابن دريد يقال جعلت

(١) تهذيب اللغة أبو منصور الازهرى — تحقيق عبد السلام هارون

فلانا عرضه لكذا وكذا أى نصيره له قلت هذا قريب مما قاله
التحريون (١) :

ونستطيع أن نرى أن الازهرى كان مضطربا فى الهجوم على ابن دريد فهو
حاقد عليه ويريد أن يكون كتابه صاحب المنزلة الاولى بين المعاجم التى سبقته
والذى لحقته — هو يريد أن يمحى جهود اللغريين الاولين الذين شاركوا فى
رفع أسس العربية وفرق كبير بين الازهرى وابن دريد الذى مدح السابقين من
اللغريين واعترف بفضلهم وافتدى بهم وبين الازهرى الذى هاجم كتاب العين
ولكنه سار على منهجه وينكر على ابن دريد ألفاظا ويثبت أخرى وهو لا يفسر
ما يريد أن يهاجمه هجوما غامضا لا أدلة معه ولا إقناع .

أما الهجوم الثالث فكان من ابن جنى المتوفى عام ٣٩٢ هـ فى كتاب —
الخصائص الذى هاجم الجهرة من الناحية العرفية ، يقول ابن جنى فى كتاب
الخصائص : « وأما كتاب الجهرة فغفية أيضا من اضطراب التصنيف وفساد
التصريف مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ولما كتبه وقت فى
متونه وخراسيه جميعا من التنبية على هذه المراضع ما استحسنت من كبرته ثم انه
لما طال على أو مات إلى بعضه وضبت البتة عن بعضه (٢) .

ونفهم من كلام ابن جنى انه يهاجم جهرة اللغة فى شيئين :

١ — اضطراب التصنيف (ونستطيع أن نفسر ذلك بالاضطراب الذى وقع فيه

(١) تهذيب اللغة : أبو منصور الازهرى — تحقيق عبد السلام هارون

ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) الخصائص ، ابن جنى ج ٣ ص ٢٨٨ .

ثاني ابن دريد في منهجه كما وضعنا سابقا وهو محق في هجوه هذا.

٢ — فساد التصريف ويعني به ابن جنى فساد الأبنية العمرية في كتاب الجماهرة ونفهم من حديثه أنه كتب الجماهرة بخطه وأنه كان معترفا بها ومواعها بالنظر فيها فاجتلب نسخة لنفسه وخطها وأنه أشار إلى خطأ ابن دريد في التصريف وقد رآه كثيراً فاضرب عن بعضه وأشار إلى بعضه الآخر ولم تصلنا نسخة ابني جنى من الجماهرة التي أشار إلى الخطأ فيها وإذا نظرنا إلى أهم كتب ابن جنى مثل الخصائص وسر صناعة الاعراب وشرح كتاب التصريف للمازني لم نجد إلا قليلا من الهجوم على ابن دريد ففي كتاب التصريف للمازني الذي شرحه ابن جنى ذكر ابن جنى اختلاف أهل اللغة في لفظ منجنيق ثم ذكر رواية ابن دريد حول هذا المعنى قال: «وأخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة واحسب أن أبا عثمان أيضا أخبرنا به عن التوزي عن أبي عبيدة قال سألت اعرابيا عن حروب كانت بينهم فقال كانت بيننا حروب عون تفدأ فيها العيون مرة ثم منجنيق وأخرى نرشق قال فقوله منجنيق دال على أن الميم زائدة ولو كانت أصلية لقال نمنجنيق على أن المنجنيق أعجمي معرب فهذا قول ابن دريد كما تراه (١)».

ثم يعلق على رأى ابن دريد ويخبره ، ويدافع عن ابن دريد جلال الدين السيوطي بعد أن ذكر رأى ابن جنى في الجماهرة فقال «قلت مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف وذكر المواد في غير محالها كما تقدم في العين ولهذا قال أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر يعني أن ابن دريد قصير

(١) شرح كتاب التصريف الذي ألفه أبو عثمان المازني — شرح ابن جنى

الباع في اللغة وكان ابن جنى في التفسير إماما لا يشق غباره ، فلذا قال ذلك ، (١) .

ونستطيع أن نذكر المآخذ التي وجهها جميع المهاجرين الجمهرة وتتلخص فيما يلي :

١ — الكذب وصنع الالفاظ : وقد رماه الأزهرى كما رأينا بهذه التهمة ورددنا عليه ذلك .

٢ — انبراده بأشياء لم توجد في كتب المتقدمين قال المسعودى فى مروج الذهب « أورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين (٢) . وقد اهتم ابن دريد بظاهرة الأفراد فذكر فصلا فى معرفة الأفراد ونقل كثيرا منها فى الجمهرة فن إفراد أبى زيد الأنصارى قال فى الجمهرة « المنشبة الممال هكذا قال أبو زيد ولم يقله غيره (٣) ، ومن أفراد الخليل قال فى الجمهرة الرت والجمع رتوت وهى الخنازير الذكور ولم يحى به غير الخليل (٤) .

٣ — إكثاره من الالفاظ المولدة والمريبة وقد عقد السيوطى فى المزهرة فصلا سماه « النواع العاشر معرفة الضعيف والمذكر والمتروك من اللغات ، وقد اعتمد السيوطى على الجمهرة فى أغلب الأحيان .

٤ — التصحيف وقد اتهمه الأزهرى بذلك كما مر بنا ورأينا انه كان محقا فى

(١) المزهرة فى علوم اللغة للسيوطى ج ١ ص ٩٣ .

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص ٤٣٢ تحقيق محمد محي الدين .

(٣) الجمهرة ابن دريد ج ١ ص ٢٩٤ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٤٠ .

اهتمامه ببعض الشيء. ولكن يمكن أن ابن ديد أملى الجمهرة من حفظه عدة مرات فلا يسلم من الخطأ.

٥ — مخالفته لمنهجه الذى رسمه واضطرابه فى خطته التى ذكرها وقد أوضح أنه قصد الجمهور السائع وأرجأ الغريب المستنكر ولكن من يعنى بقراءة الجمهرة يرى بين ثناياه اهتماماً بالغريب والشاذ.

٦ — تقصيره فى شرح الانفاظ الدالة على الحيوان والنبات والآلات مكتفياً بالتعقيب عليها بأن هذا شيء معروف وهذا أمر درج عليه اللغويون فى كتبهم ويظهر أن عدم معرفتهم فى الأشياء أو وضوحها لدى الافهام فى هذه الحقبة جعلتهم يقفون هذا الموقف.

٧ — ذكره تقاليب الكلمة فى موضوع واحد مما يجعل البحث فيها عسيراً ونستطيع أن نضيف إلى هذه العيوب ما يهاجم به المحدثون أغلب المعاجم العربية القديمة وابن دريد إمامهم ، فقد ذكروا أن هذه المعاجم لانواجه تماماً حاجة العصر ومقتضياته فى شروحه غموض وفى بعض ته اريفه خطأ وفى تبويبه لبس وأبى أصحاب المعاجم إلا أن يقنوا باللغة عند حدود زمنية ومكانية ضيقة ففقدت كثيراً من معالم التطور (١). وذكر الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتاب علم اللغة عن المعاجم العربية القديمة ، وهذا النوع من المعجمات قليل الفائدة للباحث فى علم اللغة وذلك أن مؤلفيها قد وجهوا كل عنايتهم إلى ذكر معانى الكلمات والاستشهاد عليها أحياناً فى القرآن والحديث والمأثور من كلام العرب

ولكنهم أغفلوا اغفلاً تاماً تعقب كل كلمة في مراحل حياتها وشرح تطورها في مختلف العصور وبيان الأصول التي انحدرت منها وما إلى ذلك من مسائل اليكسيكولوجيا والانيمرولوجيا التي تشغل الآن أكبر حيز في المعجمات الأفرنجية الحديثة (١).

وإتصافاً لابن دريد نذكر مميزات الجمهرة وقيمتها اللغوية من خلال دراستها :

١ - اهتم ابن دريد اهتماماً كبيراً بشرح الألفاظ شرحاً مستفيضاً مع ذكر تقاليد الكلمة في سهولة ويسر فخلد لنا تراثاً لغوياً كان من الممكن أن ينقده الزمن .

٢ - استشهد بما نثر كلام العرب والقرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب الخالص وكان يحاول شرح الأبيات ويعلق عليها وبذلك جمع لنا تراثاً أدبياً لشعراء لم يكن لهم ديوان أو ضاع ديوانهم .

٣ - اهتم بالقراءات القرآنية وتوجيهها وقال في مادة (برك) « والكبر ضد الصغر كبر كبراً إذا أسن وتكبر إذا تعظم وكبر الشيء معظمه وقد قرئ قوله جل وعز « والذي تولى كبره وكبره والذي قرأ كبره حميد بن قيس (٢) » وقال في مادة (برو) « والربوة والرباة واحد وهو العلو من الأرض وقد قالوا ربوة وربوة وقد قرئ « إلى ربوة وإلى ربوة » فأما ربوة فقرأ

(١) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٦٨ .

(٢) الجمهرة لابن دريد ج ١ ص ٢٧٤ .

به ابن عباس وأما ربوة فلا أدري قرىء به أم لا وقال بعد ذلك
قرئت بثلاثة أوجه (١).

٤ - واهتم ابن دريد باللغات الواردة عن "قبائل العربية" فقد ذكرنا ذلك سابقا
وبخاصة لغة اليمن فذكرها فيما يقرب من ٢٢٠ موضعا وقد اهتم أيضا
باللغات الأجنبية فاهتم بالإشارة إلى المعرب والدخيل من الرومية أو
الخبثية أو العبرية أو السريانية وهو بذلك مصدر هام للهجات
والمعرب.

٥ - واهتم ابن دريد بأمثال العرب مثال ذلك مادة (عقن) في الثلاثي
«والعناق من المعز خاصة والجمع عنق وعنوق ومثل من أمثال لهم التئوق
بعد النوق (٢) وفي باب الرباعي الصحيح باب الياء والزاي في الرباعي
الصحيح «وزعبل اسم واشتقاقه من قولهم صبي زعبل إذا كان سيء الغباء
كادى، الشباب ومثل من أمثالهم لا يكلم زعبل (٣).

ومن ميزات الجهرة باب النوادر وهو يقدم لنا نصورا نادرة للعربية نقلها
عن علماء ثقات ريمت فيها أيضا وصف العرب الخالص لبعض أدواتهم مثل
القوس والسهام والنعل وفيه أيضا مفردات لغوية بمرادفات ودقتها
اللغوية.

(١) الجهرة لابن دريد ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ١٣٢.

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ٢١٠.

وقد كان للبعجم أثر بارز وفضل كبير على العربية والمهتمين بها وقد كتب علماء حول الجهرة ومنهم :

- ١ - أبو عمر الزاهد المتوفى عام ٣٤٥ هـ وقد كتب فائت الجهرة .
 - ٢ - صاحب ابن عباد المتوفى عام ٣٨٥ هـ وقد اختصر الجهرة وسمى كتابه جوهرة الجهرة وافتخر بكتابه هذا وقال عند اتمامه :
 - لما فرغنا من نظام الجوهرة اعورت العين ومات الجهرة ووقف التصنيف عند القنطرة
 - ٣ - ابن التيماني المتوفى عام ٤٣٦ هـ وكتابه الموعب .
 - ٤ - أبو العلاء المعري المتوفى عام ٤٤٩ هـ وكتابه نشر شواهد الجهرة وقد شرح الشواهد .
 - ٥ - يحيى بن معط المتوفى عام ٦٠٨ هـ وكتابه نظم الجهرة .
 - ٦ - شرف الدين محمد بن نصر الله بن عنين الانصارى الشاعر المتوفى عام ٦٣٠ هـ وكتابه مختصر الجهرة .
- وكل هذه الكتب مفقودة وقد ذكر أبو العلاء المعري عن ابن دريد في رسالة الغفران وسماه اخادوس وجعله من الندامى الذين اصطفاهم من أدباء الفردوس (١) .

ولقد كان كتاب الجهرة منهلا ينهل منه أصحاب المعاجم اللاحقين له

(١) رسالة الغفران : أبو العلاء المعري - تحقيق الدكتور طه حسين

وغير ذلك من كتب الاسماء والطبقات والادب . وقد اتبع منهج ابن دريد فى معجمه بعض اصحاب المعاجم ومنهم احمد بن فارس المتوفى عام ٢٩٥ هـ . والذى ألف معجمين هما كتاب المقاييس وكتاب الجمل وقد اتخذ ابن فارس منهجاً فى كتاب المقاييس يقترب من أسس ابن دريد فى تقسيم كتابه وترتيبه وقد اختلف معه فى بعض الأمور فقد سار على الترتيب الهجائى ولكنه خالفه فى اتخاذه ددا الترتيب الاساس الاول للتقسيم وقد ذكر فى مقدمة كتابه انه اعتمد على أشرف السكتب وأعلاها منها كتاب العين وكتاب الجهرة أما كتاب الجمل فيشترك مع كتاب المقاييس فى مادته وقد حاول ابن فارس أن ييسر طريقة المعجم فى الجمع والترتيب فلم يجمع المواد والصيغ والشواهد ويستكثر منها بل أراد منها الاجمال .

ولقد سارت المعاجم بعد ابن دريد متأرجحة بين منهج ابن دريد فى الجهرة وبين منهج الخليل فى العين فألف أبو على القالى المتوفى عام ٣٥٦ هـ معجمه البارع وسار فيه على طريقة الخليل وسار على منهج الخليل أيضا أبو منصور الازهرى المتوفى عام ٣٧٠ هـ فى كتابه التهذيب وكتب ابن سيده — الأندلسى المتوفى عام ٤٥٨ هـ كتابه المحكم ويسير به على طريق الخليل أيضا وتطورت بعد ذلك حركة المعاجم فى القرن الرابع وما بعده حتى عصر متأخر فقد اختاروا القافية أساسا للمعجم وقد نهج الجوهري المتوفى عام ٢٩٨ هـ هذا النهج فى كتابه تاج اللغة وصحاح العربية ثم أتى ابن منظور المتوفى عام ٧١١ هـ وأخرج لنا موسوعته المعجمية « لسان العرب » ثم أخرج لنا الفيروزباده المتوفى

عام ٨١٧ هـ القادوش المحيط ومن الذين ساروا على منهج يشابه ابن دريد وهو منهج الأبجدية العادية منهم الزخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ فى كتابه أساس البلاغة ويتميز بإظهار المعانى الحقيقية عن المجازية وسار تأليف المعاجم حتى العصر الحديث بين منهج التلميذات والأبجدية ذات التعليلات والثقافية والأبجدية العادية وفى العصر الحديث نجد بعض اللغويين اللبنانيين يكتبون المعاجم منها محيط المحيط لبطرس البستاني المتوفى عام ١٨٨٢ م وقد اختصر بطرس البستاني محيط المحيط فى معجم سماه قطر المحيط ومن المعاجم اللبنانية معجم أقرب الموارد للشرتوني ومعجم المنجد لأب لويس المعلوف .

ثم أخرج لنا مجمع اللغة العربية المصرى قاموس «المعجم الوسيط» وقد حاول فيه أن يتخلص من قيود الماضى وهاجم المعجم أغلب المعجمات القديمة واتهمها بالوقوف عند حد مكافئ وزمانى معين وانها لا تسير العصر وقد أدلى المستشرقون بدلوهم فى الدلاء فقد كتب ادوارد لين Edward Lane قاموساً وسماه (مد القاموس) .

ومعجم Hanswehr وقد ظهر بالألمانية والانجليزية وقد حاول أ . فيشر أن يضع معجماً تاريخياً ومن مبادئه (١) التى نوى أيضاً احكامها لى يكون المعجم ممتازاً .

١ - المفردات ينبغى أن يسجل من مفردات اللغة ما يعرف باسم الفصح .

(١) المعاجم العربية : دكتور عبد الله درويش ٢٨٥ ومقدمة المعجم الوسيط
يتلم دكتور ابراهيم مذكور ص ٥ .

٢ - جمع المواد ينبغي أن توضع جزازات يشتمل عليها الكلمات المختلفة .

٣ - ترتيب الكلمات ينبغي أن يتبع في ذلك ترتيب الابدادية العادية .

أما المنهج الذى أراد أن يتجه اليه فن الناحية التاريخية فان فيشر وجد أن كل كلمة فى اللغة العربية لها تطورها الخاص ويجب أن تقيد على حسب الترتيب التاريخى بين أقدم الشواهد وأحدثها ومن الناحية الصرفية فيشمل تصريف الاسماء والافعال مع ذكر الصيغ المختلفة ككل كما ينبى على تمييز الكلمة من ناحية الافراد والجمع والتذكير والتأنيث . ومن الناحية النحوية ترتيب كلمات لها مواضع معينة مثل فقط وانما ومن الناحية الاسلوبية وهى تتمثل فى بيان مدى سعة استعمال الكلمة .

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد فهذا هو ابن دريد والجمهرة رسم به الخطى لكل من سار بعده اما مقلدا
أو مخالفا ونستطيع أن نقول إن كتاب الجمهرة رغم الهجوم عليه ورغم بعض
العيوب يعتبر ترانا خالداً لازهى فترات العربية ونهضة علومها ومن خلال دراستي
لحياة العصر الذى نشأ فيه ابن دريد وحياة ابن دريد ومؤلفاته العامة نستطيع أن
نستخلص النتائج الآتية :

إن ابن دريد كان نابغا منذ نعومة أظفاره وكان حبه للعلم يفرق كل شئ وأنه
كان متعلقاً بقومه فى كثير من الاحيان ولدينا قصيدتان من ديوانه تتعلقان بقومه
ولدينا اهتمام باخبار اليمن فى كتاب الجمهرة ولكننا نعجب أنه لم يذكر لغة الازد
وهى أصله إلا مرات قليلة وقد اهتم بذكر أخبار حمير وبعض أخبار أهل اليمن
والتي رواها عنه تلميذه أبو على الفارابى فى كتاب الامالى ووجدت أن ابن دريد
لم يجد شهرة إلا بين يدى ابنى ميكال وفى نعيمها كتب أهم مؤلفاته (الجمهرة
والمقصورة) وكان ابن دريد يحس دائماً بأنه لم يأخذ حظه فى بغداد ولذا فهو
يرى بعض علماء عصره بالجهل وقد كتب فى شعره عن أخلاق الناس وفى
مقصودته نجده يتحدى الزمن ويتحمل الشدائد ومن دراستنا لحياته نستنتج أنه
كان يشرب الخمر وان كان قد تاب عنها فى آخر حياته أما حياته الخاصة فلم نعلم
عنها شيئاً — هل تزوج أم لا وهل كان له خلف فلم تذكر كتب الطبقات شيئاً
عن ذلك . أما عن حياته العلمية فنستنتج أنه كان مرسوعة لغوية فقد تنوعت
أعماله وكثرت وشارك فى النهضة العلمية التى كانت تؤتى ثمرها وتؤسس علوم
العربية التى يحتاجها القرآن الكريم والحديث الشريف وقد شارك ابن دريد فى
مراحل الجمع الاولى للغة فكاتب رسالتين أولاهما فى صفة السرج واللجام والثانية

في صفة السحاب والغيث وقد نشر الرسالتين مستشرقاً هو رايت ونحن نطالب
 بذثر هاتين الرسالتين وإعادة طبعهما في مصر باعتبارهما من الجهود المبكرة للنهضة
 اللغوية في العصور الأولى . وقد شارك ابن دريد أيضاً في كتاباته في غريب
 الحديث والقرآن الكريم والأمالى وقد ضاع معظم هذه الرسائل . أما كتاب
 الاشتقاق فيعد أول كتاب من نوعه في متن اللغة يحلل الاعلام ويشرح أصول
 اشتقاقها أسماء المتشابه منها وقد جمع فيه مجموعة رائعة من مرادفات اللفظة وأشعار
 العرب وأخبارهم وهو ذخيرة حية لكل باحث يريد ضبط الاعلام ومعرفة أخبار
 العرب وقبائلهم ونجدته في كتاب الملاحن ينفرد بطريقة خاصة لمعالجة اللغة
 والتحليل عليها وهو يفيدنا في دراسة تطور الكلمة ومعانيها الاصطلاحية والمجازية
 والحقيقية . أما ابن دريد شاعراً فقد استنتجت أنه كان ينظم الشعر إذا دعت
 الحاجة إلى ذلك وأنه كان يفرق في الغريب ببعض اللفاظ لإظهار تمكنه من اللغة
 أو لتعليم الناشئة وأما مقصورته فنستنتج أنه أول من اخترع هذا الفن من
 القصائد الطوال التي يشتمل أغلبها على المقصور في اللغة وقد تبعه كثيرون وسموا
 قصائدهم مقصورات على نمط ابن دريد وكان ابن دريد في مقصورته مضطرب
 النفس بحس بلوغة الأسى لأنه لم يصل إلى العلو والشهرة بين علماء بغداد . أما
 دراسة المعجم الجهرية فنستنتج أنه كان أول من ألف معجماً على الترتيب الهجائي
 في اللغة العربية بمعناء المكتمل وأن عيوب المعجم من النصحيف والخلط في المنهج
 وعدم نسبة الأبيات إلى قائدها والاختفاء الصرفية وتكراره المواد وخطئه بينها
 في كثير منها هذه العيوب هي نفسها عيوب المعجم القديمسمة ولا ينفرد بها ابن
 دريد وحده .

ولكننا نستطيع أن نلتفت بالجهرية في كثير من الوجوه فهو يجرى بجموعه من
 المفردات اللغوية التي كان ينطقها العرب الخالص ويحوى أيضاً تراثاً شعرياً لشعراء

ضاع شعرهم ويفيدنا في دراسة اللهجات العربية فقد ذكر في معجمه **كثيراً** من اللهجات وأغات القبائل . وإذا كان المحدثون يرون في أن المعجم العربي القديم على غرارة مادته وتنوع أساليبه أضحي لا يواجه حاجة العصر ومقتضياته في شروحه غرض وفي بعض تعاريفه خطأ وفي تبويبه لبس (١) . ويذكرون أن أصحاب المعاجم القديمة أبوا إلا أن يقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة فقدت كثيراً من معالم التطور فهل يعد معجم ابن دريد لا قيمة له في عصرنا الحديث وماذا يريد المحدثون من المعجم ؟

إن دراسة التراث القديم ضروري جداً لفهم اللغة ومعرفة أصولها ثم التقدم بعد ذلك إلى المنهج الحديث وإذا كان المحدثون يرون أنه لا يمكن أن يكون المعجم مكتملاً فلا بد من فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق وتجزؤ وإرتحال وإطلاق القياس وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع والاعتداد بالألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء (٢) . إذا كان هذا رأيهم في المعجم الحديث فإن المعاجم القديمة مازالت صرحاً شامخاً يزخر بالمفردات اللغوية الفصيحة ويحوى تراثاً خالداً للشعر والحديث الشريف وأخبار العرب ومعيناً لكل باحث .

(١) مقدمة المعجم الوسيط الدكتور إبراهيم بيومي مدغور ص ٥

(٢) نفس المرجع ص ٧ .

المصادر والمراجع

- ١ - أخبار الحلاج : تصحيح عبد الحفيظ محمد مدني هاشم ، مطبعة باب الخلق القاهرة ١٩٥٠ .
- ٢ - أخبار النحويين البصريين ، للسيراني ، نشره كرنكو في الجزائر وباويس ١٩٣٥ ، ونشره محمد خنماجي بالقاهرة ١٩٥٥ .
- ٣ - إسلام بلا مذاهب : دكتور مصطفى الشكدة ، بيروت ١٩٧٢ .
- ٤ - الاشتقاق : محمد بن دريد ، طبعة جوتنجن ؛ ١٨٥ م ثم حققه عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٥ - الاشتقاق والتعريب : عبد القادر المغربي ، لجنة التأليف ١٩٤٦ .
- ٦ - الألفاظ الكتابية : عبد الرحمن الهمداني ، مطبعة الجالية ، الطبعة الأولى ١٣٣٣ هـ .
- ٧ - الأملال : لأبي علي القالي ، دار الكتب ١٩٢٦ م .
- ٨ - الأملال : عبد الرحمن الزجاجي ، مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ .
- ٩ - انباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ ، ١٩٥٥ ، ١٩٧٢ .
- ١٠ - أنوار الربيع في أنواع البديع : على صدر الدين بن معصوم المدني ، النجف الاشرف - بغداد ١٩٦٠ .
- ١١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٢ — تاج العروس من جواهر القاموس : السيد مرتضى الزبيدي ، القاهرة
١٣٠٧ هـ .

١٣ — تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر الجوهري ، طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ
وتحقيق احمد عطار ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٤ — تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمه عبد المليم النجار ، دار
المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ / ١٩٦٢ .

١٥ — تاريخ الإسلام السياسي : الجزء الثالث ، دكتور حسن ابراهيم حسن ،
مطبعة النهضة المصرية ١٩٦٠ .

١٦ — تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) ابن جرير الطبرى ، مطبعة
الحسينية ١٣٢٦ هـ .

١٧ — تاريخ بغداد : (أو مدينة السلام) للخطيب البغدادي : د ٤ أجزاء ،
مطبعة السعادة ١٣٩١ هـ .

١٨ — تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان ، ترجمه نبيه فارس ، منير
البلعكي - بيروت .

١٩ — تاريخ النقد الأدبي عند العرب : دكتور عبدالعزيز عتيق ، بيروت ١٩٧٤ .

٢٠ — تجارب الامم لابن مسكويه ، نشره ه . ن . امدرود ، القاهرة
عام ١٩٢٥ .

٢١ — الانجازات الشعرية في القرن الثاني الهجرى : دكتور محمد مصطفى هداره -
دار المعارف ، القاهرة .

٢٢ — تحفة الاعيان في سيرة أهل عمان : محمد بن علوم السالمى ، الطبعة الاولى
١٣٣٢ هـ .

٢٣ — تهذيب اللغة : أبو منصور الأزهري تحقيق عبد السلام هارون وآخرين
القاهرة ١٩٦٤ / ١٩٦٧ .

٢٤ -- التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى القرن الثاني
الهجري : دكتور عثمان مواتي ، مؤسسة الثقافة باسكندرية ١٩٧٣ .

٢٥ — جهرة اللغة : محمد بن دريد تحقيق كركو ومحمد السيد الندوى ، حيدر اباد
الدكن ١٣٣٤ هـ وأعاد طبعه بالوفست مكتبة المثنى ببغداد .

٢٦ — حديث الأرباء : دكتور ظه حسين : جزء ثان ، دار المعارف ١٩٥٢ .

٢٧ — الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متز ، ترجمة دكتور
محمد أبو ريده .

٢٨ — الحياة الأدبية في العصر العباسي : محمد عبد المنعم خنماجي ، القاهرة
١٩٥٤ :

٢٩ — خزائن الأدب : عبد القادر بن عمر البغدادي : طبع القاهرة ١٢٩٩ هـ
١٩٣٠ م ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٧ .

٣٠ — الخصائص : ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب
١٩٥٢ .

٣١ — الخليل بن أحمد الفراهيدي : تأليف مهدي الخزومي ، بغداد
١٩٦٠ .

٣٢ — دلالة الألفاظ : دكتور ابراهيم أليس ، مطبعة مكتبة الانجلو ،
القاهرة ١٩٥٨ م .

٣٣ - دول الاسلام : شمس الدين الذهبي ، القاهرة ١٣٣٢ هـ ، وأصدرته دار
الشعب بالقاهرة في أجزاء صغيرة عام ١٩٧٥ .

- ٣٤ - ديه ان ابن المعتز : تحقيق الخياط ، المكتبة العربية ، دمشق ١٣٧١ هـ
- ٣٥ - ديوان أبي تمام : تحقيق محمد عزام : دار المعارف بمصر .
- ٣٦ - ديوان محمد بن دريد : تحقيق محمد بدر العلوى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٥ هـ .
- ٣٧ - رأى فى المقامات : دكتور عبد الرحمن ياغى ، طبعة بيروت ١٩٧١ .
- ٣٨ - رسالة فيما ورد فى القرآن الكريم من لغات العرب : أبو عبيد القاسم ابن سلام (هامش تفسير الجلائن - طبع الحلبي ١٣٤٢ هـ) .
- ٣٩ - زهر الآداب وثمر الآلباب : أبو اسحق الحصرى ، القاهرة ١٩٢٥ .
- ٤٠ - سر صناعة الاعراب : ابن جنى ، تحقيق مصطفى السفا وآخرين ، طبع الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ٤١ - شرح شواهد المغنى : جلال الدين السيوطى : طبع بتصحيح الشنقيطى القاهرة : ١٣٢٠ هـ .
- ٤٢ - شرح مقصورة ابن دريد ، التبريزى ، دمشق ١٩٦١ .
- ٤٣ - صفة السحاب والخيمث ، صفة السرج واللجام : محمد بن دريد ، (ضمن مجموعة حرزة الخاطب وتحفة الطالب بإشراف وإيم رايت ليدن) ١٨٨٢ م) .
- ٤٤ - الاصوات اللغوية : دكتور ابراهيم أنيس ، مكتبة النهضة ١٩٦١ .
- ٤٥ - ضحى الإسلام : أحمد أمين ، النهضة المصرية ، القاهرة .
- ٤٦ - طبقات الشافعية : ابن تقي الدين السبكي : مطبعة الحسينية ١٣٢٢ هـ .
- ٤٧ - طبقات الشعراء : لابن المعتز تحقيق عبد الستار فرج ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ .

٤٨ - طبقات الصوفية : عبد الرحمن السلى تحقيق دكتور أحمد الشرباصى ؛
مطبعة الشعب ١٣٨٢ هـ .

٤٩ - طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدى ، تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم : طبع السعادة ١٩٥٤ .

٥٠ - ظهر الإسلام : أحمد أمين : النهضة المصرية ، القاهرة .

٥١ - العربية : يوهان فك ، ترجمة دكتور عبد الحليم النجار ، مطبعة الخانجى
بمصر ١٣٧٠ هـ .

٥٢ - العقيدة والشرعية فى الإسلام : اجناس جولد تسيهر ، ترجمة دكتور على
عبد القادر أحمد وآخرين ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٥٣ - العقد الفريد : ابن عبد ربه ، القاهرة ١٣٤٦ هـ :

٥٤ - علم اللغة : مقدمة للقارئ العربى : دكتور محمود السمران ، دار المعارف
بمصر ١٩٦٤ .

٥٥ - علم اللسان : أنطوان ماييه (ملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب)
للدكتور محمد مندور ، القاهرة ١٩٥٥ .

٥٦ - العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيروانى : تحقيق
محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة التجارية ١٩٦٣ .

٥٧ - فرق الشيعة : النوبختى ، مطبعة النجف الأشرف ١٩٣٦ .

٥٨ - فقه اللغة وسر العربية : أبو الثعالبي ، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم
الابيارى ، القاهرة ١٩٣٨ .

٥٩ - فقه اللغة فى الكتب العربية : دكتور عبده الراجحي ، مطبعة النهضة ،
بيروت ١٩٧٢ .

- ٦٠ — الغلاكة المنملر كون : الدلحى ، طبعه الشعب ١٢١٢ هـ .
- ٦١ — الفن ومذاهبه فى الشعر العربى : دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف سنة ١٩٦٠ .
- ٦٢ — الفن ومذاهبه فى النثر العربى : دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف سنة ١٩٦٠ .
- ٦٣ — الفهرست : لابن النديم تحقيق فلوجل ، ليبزج ١٨٧١ ، ونشر بالقاهرة عام ١٣٤٨ هـ .
- ٦٤ — القرآن الكريم .
- ٦٥ — الكامل فى التاريخ : ابن الاثير ، القاهرة ١٢٥٣ هـ .
- ٦٦ — كلام العرب من قضايا اللغة العربية : دكتور حسن ظاظا ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- ٦٧ — لحن العوام : أبو بكر الزبيدى : تحقيق دكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ٦٨ — لسان العرب : ابن منظور طبعة بولاق ١٣١٠ ، وطبعة بمصوره عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٢) .
- ٦٩ — اللثة : ج : فندريس ترجمة الدراخلى والقصاص ، مكتبة الانجلو ١٩٥٠ .
- ٧٠ — اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : دكتور عبده الراجحى ، دار المعارف ١٩٦٨ .
- ٧١ — متن الغاية والتقريب : ابن الحسين الاصفهانى ، مطبعة الجمالية عام ١٩٤١ .
- ٧٢ — المجتنى : محمد بن دريد : تحقيق السيد الندوى ، حيد آباد ١٣٤١ هـ .

- ٧٣ — المخصص : ابن سيده لاندلسي ، برلاق ١٣١٨ هـ .
- ٧٤ — المدارس النحوية : دكتور شوقي ضيف : دار المعارف ١٩٦٢ :
- ٧٥ — مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوي : تحقيق محمد أبو الفضل مطبعة نهضة مصر ١٩٧٥ هـ .
- ٧٦ — مروج الذهب ومعادن الجوهر : علي بن الحسين المسعودي تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السمادة ١٢٦٧ هـ .
- ٧٧ — المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل وآخرين ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٧٨ — المستشرقون : نجيب العقيلي ، دار المعارف ١٩٦٤ جزء أول جزء ثان وجزء ثالث عام ١٩٦٥ .
- ٧٩ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : الفيومي المطبعة الاميرية القاهرة ١٩١٢ .
- ٨٠ — معاني الشعر : أبو عثمان الاشغداني ، دمشق ١٩٢٢ ، وتحقيق صلاح المنجد القاهرة ١٩٦٤ .
- ٨١ — المعاجم اللغوية : دكتور ابراهيم نجا ، طبع القاهرة ١٩٦٩ .
- ٨٢ — المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دكتور محمد أبو الفرج : بيروت ١٩٦٦ :
- ٨٣ — معجم الادباء : ياقوت الحموي ، تحقيق أحمد فريد رفاعي : ١٩٣٦ .
- ٨٤ — معجم البلدان : ياقوت الحموي : تحقيق فستنهلد ليبزج ١٨٦٦ —
- ١٨٧٠ م

- ٨٥ — معجم الشعراء : المرزباني ، تحقيق عبد الستار فرج ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٨٦ — المعجم العربي : نشأته وتطوره : دكتور حسين نصار ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٨ .
- ٨٧ — المعجم الوسيط : (مجمع اللغة العربية) : باشراف ابراهيم مصطفى وآخرين ، مصر ١٩٦٠ .
- ٨٨ — العرب : أبو منصور الجواليقي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٢ .
- ٨٩ — المقامة (من فنون الادب العربي) دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٥٤ .
- ٩٠ — مقاييس اللغة : ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبع الحلبي ، ١٣٧٨ هـ . القاهرة .
- ٩١ — الملاحن : محمد بن دريد ، نشره ابراهيم أطفيش الجزائري ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ٩٢ — مناهج البحث في اللغة : دكتور تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٩٣ — المنصف في شرح كتاب التصريف : للهازني ، (شرحه أبر الفتح ابن جني) تحقيق ابراهيم مصطفى وآخر ، طبع الحلبي ، القاهرة ١٨٥٢ .
- ٩٤ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ، دار السكتب ١٩٦٤ .
- ٩٥ — النثر الفني في القرن الرابع الهجري : دكتور زكي مبارك ، المطبعة التجارية عام ١٩٥٧ .

٩٦ — نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ابن الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٠ .

٩٧ — نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : دكتور على سامي النشار ، دار المعارف
عام ١٩٦٠ .

٩٨ — نهاية الأرب في فنون الأدب : النويري ، نسخة مصورة من طبعة دار
الكتب ، وزارة الثقافة عام ١٩٦٥ .

٩٩ — وفيات الأعيان : ابن خلكان : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة
عام ١٩٤٢ .

١٠٠ — يتيمة الدهر : أبو منصور النعالي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،
القاهرة ١٩٥٦ .

الدوريات والمخطوطات

- ١ — صحيفة الجامعة المصرية ، ابريل ١٩٢٠ م
- ٢ — مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الاول ١٩٥١ م .
- ٣ — مجلة المجمع العلمي العربى بدمشق ، ابريل ١٩٧٠ م والجزء الثانى مجلد (٤٠) كانون الثانى ١٩٥٦ .
- ٤ — مجلة مجمع اللغة العربية المصرى . المجلد الحادى عشر ١٩٥٩ م .
- ٥ — أخبار ابن دريد ، تأليف محمد بن دريد ، مخطوط بقلم الشنقيطى مكتبة كلية الآداب ، الاسكندرية ، تحت رقم ١٠ م .
- ٦ — تجميع المقصورة الدريدية ، تأليف محمد السعيد الجوارى المشهور بابن الملا جرجيس ، مخطوط مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٩٣٧ (د) .
- ٧ — شرح مقصورة ابن دريد : (لا يعلم . ولفها) مع ثلاث قصائد لذى الرمة ، مخطوطة ببلدية الاسكندرية رقم ١٢٧٧ (ب) .
- ٨ — شرح مقصورة ابن دريد : تأليف محمد بن هشام النخعى ، تحت عنوان (الفوائد المقصورة فى شرح المقصورة) مخطوطة مكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٢٨٨ (ب) .
- ٩ — شرح مقصورة حازم ، مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم ١٠٤٥ (ب) .

مراجع أجنبية

1. Studies in Phonetics, linguistics, Oxford, Abercrombie.
2. Whats linguistics, London 1969, Crystal, David.
3. Language Truth ; and logic, A. J. Ayer.
4. Aspects of language study by ALI G. E. AZZAT, BEIRUT 1973.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥

الباب الاول

الفصل الاول :

الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في عصر ابن دريد	١١
أولا : الحياة السياسية	١٣
ثانيا : الحياة الدينية في عصر ابن دريد	٢٧
١ — علوم القرآن الكريم	٢٧
٢ — علوم الحديث الشريف	٣٠
٣ — الفقه	٢٤
الحركات والمذاهب الاسلامية الاخرى :	٢٦
أ — المعتزلة	٣٦
ب — الاشاعيلية	٣٨
ج — الخوارج	٤١
د — المتصوفة	٤٢
ثالثا : الحياة الادبية	٤٨
أ — الشعر وأعلام الشعراء	٤٨
ب — النثر والقد	٥٩
ج — اللغة والنحو والعلوم الاخرى	٦١
رابعا : الحياة الاجتماعية	٦٩

الفصل الثاني :

خيامة ابن دريد ١٥

الباب الثاني

الفصل الاول :

آثاره ١٢٧

١ - كتاب الاشتقاق ١٣٠

٢ - كتاب المجتنى ١٤٣

٣ - كتاب الملاحن ١٥١

٤ - كتاب صفة السرج والجام وصفة السحاب

والغيث ١٦٢

٥ = الديوان ١٧٦

٦ - المقصورة الدريدية وسروجهما ١٩٨

٧ - أخبار ابن دريد (مخطوط) ٢١٤

الفصل الثاني :

كتاب جمهرة اللغة ٢٢٣

١ - نشأة المعاجم العربية ٢٢٥

٢ - منهج الخليل في كتاب العين ٢٤٤

٣ - كتاب جمهرة اللغة ٢٦١

الموضوع	الصفحة
أ — منهج ابن دريد في الجهرة	٢٦٧
ب — مقدمة الجهرة	٢٧٣
ج — مناقشة منهج ابن دريد في جهرة اللغة	٢٨٤
د — تحليل بعض مواد الجهرة	٢٩١
هـ — شواهد الجهرة	٢٩٦
و — اللغات واللهجات في معجم الجهرة	٢٩٩
ز — الغريب والمهمل في معجم الجهرة	٣٠٦
ح — معنى الكلمة ومدلولها في معجم الجهرة	٣٠٨
ط — المهاجمون للجهرة	٣١٢
الخاتمة ونتائج البحث	٣٢٧
المصادر والمراجع	٣٣١
الفهرست	٣٤١



المطبعة العصرية

٥ شارع كافور بالخرزة - اسكندرية